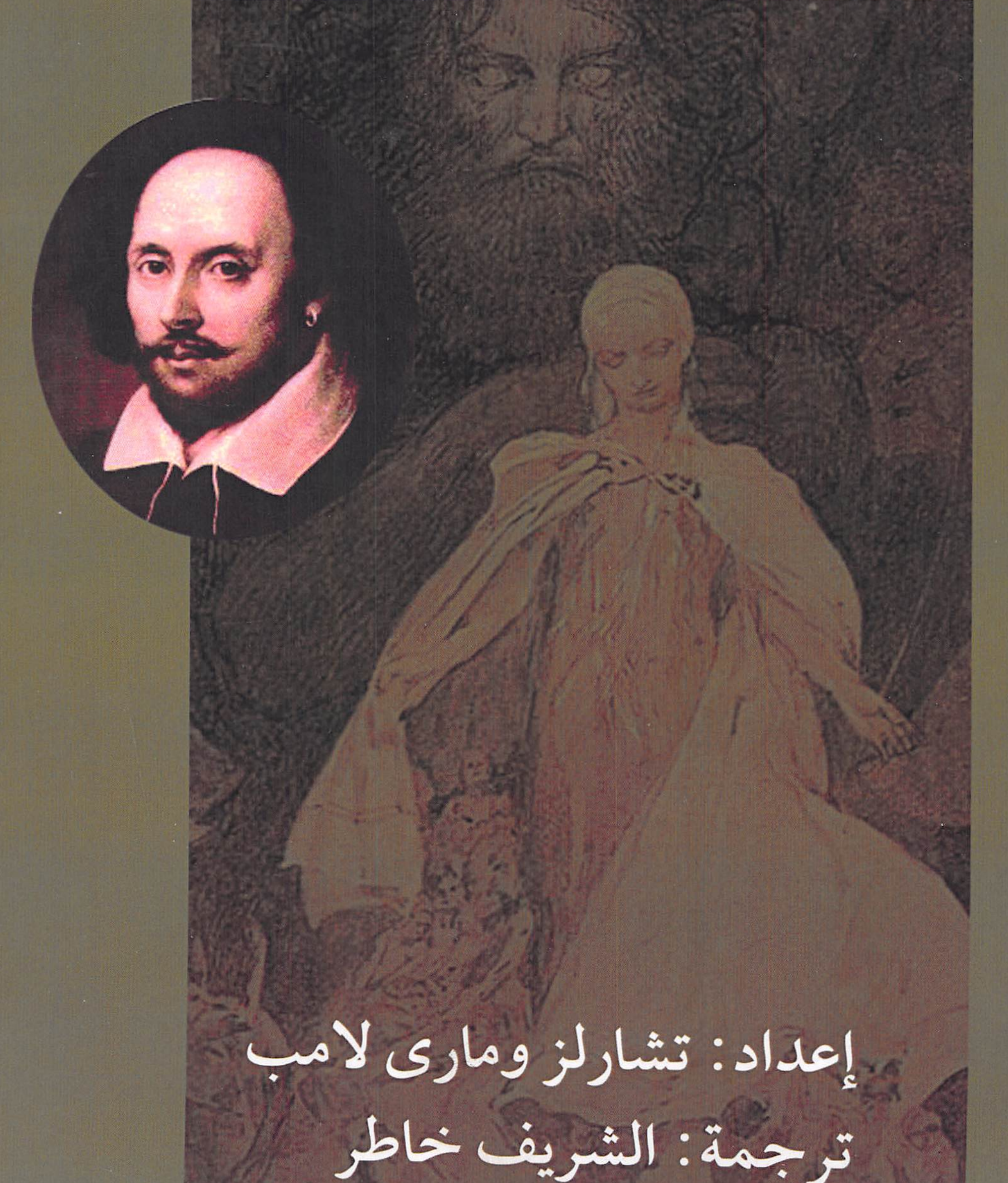
المركز القومى للترجمة

حكايات من

شكسبير



إعداد: تشارلز ومارى لامب

ترجمة: الشريف خاطر

1536

TALES FROM

SHAKESPEARE

CHARLES AND MARY LAMP

الهدف من تقديم الحكايات التالية أن يقرأها الشباب لتكون بمثابة تمهيد للتعرف على شكسبير، خاصة عندما تستخدم مقتطفات من كلماته عندما تتاح لها إمكانية وضعها فى سياق الحكايات بشكل متناسق، مع الأخذ فى الاعتبار اختيار المقتطفات التى لا تقطع مسار تسلسل الحكاية، ولاتشوش على سلاسة ومذاق اللغة الإنجليزية الجميلة التى كتبت بها؛ لذا فإن العبارات التى وضعت منذ زمانه، لم يكن من الممكن إغفالها على الإطلاق.

ماذا تعنى هذه الحكايات بالنسبة إلى شباب القراء؟ إنها تعنى رغبة من قاما بالإعداد، بأن المسرحيات الأصلية لشكسبير قد تبرهن لهم أنه كان في العصور القديمة ثراء فى الخيال ودعم للفضيلة ورفض للأنانية والجشع، ودرس لكل الأفكار والأفعال النبيلة، لنتعلم اللطف والكياسة والكرم والإنسانية، تلك الفضائل التى تزخر بها صفحات شكسبير.

حكايات من شكسبير

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة : طلعت الشايب

- العدد : حكايات من شكسبير
- تشارلز ومارى لامب
- الشريف خاطر
- الطبعة الأولى 2009

هذه ترجمة رواية :

Tales From shakespere

By charles and mary Lamb

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

حكايات من شكسبير

إعداد : تشارلز ومارى لامب

ترجمة : الشريف خاطر



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

شكسبير ، وليم ، ١٥٦٤ - ١٦١٦ .
حكايات من شكسبير / ، إعداد : تشارلز لامب ، ومارى لامب ، ترجمة : الشريف خاطر .
القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
٢٨٨ ص ، ٢٤سم .
١ - القصص الإنجليزية .
٢ - شكسبير ، ويليام .
(أ) لامب ، تشارلز (مُعد) .
(ب) لامب ، مارى (مُعدة) .
(جـ) خاطر ، الشريف (مترجم) .
(د) العنوان ٨٢٢,٣

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢٢٠١٢
الترقيم الدولى I.S.BN.978-977-479-698-3
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

حكايات من شكسبير

الهدف من تقديم الحكايات التالية أن يقرأها الشباب لتكون بمثابة تمهيد للتعرف على شكسبير ، خاصة عندما تستخدم مقتطفات من كلماته عندما تتاح لها إمكانية وضعها فى سياق الحكايات بشكل متناسق ، مع الأخذ فى الاعتبار اختيار المقتطفات التى لا تقطع مسار تسلسل الحكاية ، ولا تشوش على سلاسة ومذاق اللغة الإنجليزية الجميلة التى كتبت بها : لذا ، فإن العبارات التى وضعت منذ زمانه ، لم يكن من الممكن إغفالها على الإطلاق .

فى الحكايات التى أُخذت من ترجيدياته ، يستطيع شباب القراء أن يستوعبها جيداً ، عندما يتعرفون على مصادرها التى استُمدت منها ، خاصة وأن السياق اللغوى لشكسبير مع قليل من التغيير يتضح تماماً من خلال السرد وكذلك فى الجمل الحوارية. أما بالنسبة للأعمال الكوميدية فقد أكتشف المعدان عدم قدرتهما الكافية لتحويل الحوار إلى الشكل السردى؛ ولذا فقد كان هناك خشية فى الأعمال الكوميدية ، خاصة وأن الحوارات تم استخدامها كثيراً ، ألا يمكن إدراكها من قبل الشباب الذى لم يتعود على الشكل الدرامى للكتابة. لكن هذه الغلطة ، إذا كانت تعد غلطة ، تمت بسبب الشغف والاهتمام الكبير ، لاستخدام أكبر كم من حوارات شكسبير بقدر الإمكان ، وإذا تساءل "أحدهم" أو "إحداهن" ثم أجاب على تساؤله ، بأن وقع الحوارات كانت مملة أحيانا بالنسبة لأسماعهم ، فينبغى عليهم أن يتجاوزوا عن ذلك ، لأن تلك هى الطريقة الوحيدة التى يمكن من خلالها أن نقدم لهم لمحات قليلة ، وبعض المذاق للبهجة الكبيرة التى يتوقعونها فى سنوات حياتهم المقبلة ، عندما يتوصلوا إلى

الكنوز الثرية التى تُستخرج منها العملات الصغيرة التى لا قيمة لها ، دون إدعاء فضيلة أخرى سوى ذلك الوميض الأسر والسمات الدالة للوحات شكسبير التى لا نظير لها ، تلك الصور الدالة ينبغى أن نسميها كذلك . لأن جمال لغة شكسبير تُدمر بشكل واضح إزاء ضرورة تبديل الكثير من كلماته الرائعة إلى كلمات أقل تعبيراً بكثير عن إحساسه الحقيقى، لنجعلها تُقرأ كنوع من النثر ، وأحيانًا وفى بعض الأماكن القليلة ، عندما تُستخدم عباراته الشعرية الخالصة تجدها واضحة تمامًا وتخدع الشباب ويعتقدون أنهم يقرأون نثرًا ، ولأن لغته غرست فى غير تربتها الطبيعية واقتلعت من حديقته الشعرية البرية ، وبالتالى ينتقص الكثير من جمالها الطبيعى .

وقد كانت هناك رغبة فى جعل هذه الحكايات سهلة القراءة للأطفال الصغار . ودائمًا ما كانت فى ذهن تشارلز ومارى لامب ، لكن طبيعة معظم هذه الحكايات جعلت ذلك مهمة صعبة جداً . فلم يكن من السهل جعل هذه الشخصيات التاريخية من رجال ونساء مجرد شخصيات مألوفة حتى تدركها عقول الأطفال الصغار .

كما كان هناك توجه أساسى أيضًا للفتيات بصفة خاصة لقراءة هذه الحكايات ، لأن الشباب كان مسموح لهم بصفة عامة استخدام مكتبات أبائهم فى مرحلة عمرية مبكرة ، أكثر من الفتيات ، ولديهم الفرصة للاضطلاع على أعمال شكسبير ، قبل أن يُسمح لشقيقاتهم بقراءة مثل هذه الأعمال. ولذلك وبدلاً من التوصية بقراءة هذه الحكايات بتمعن من قبل الشباب ، الذين باستطاعتهم قرائتها بشكل أفضل فى نصوصها الأصلية فإن مساعدتهم لشقيقاتهم تكون مطلوبة لشرح بعض الأجزاء الصعبة على فهمهن ، وبهذه المساعدة فى التغلب على هذه الصعاب قد يكون من المحتمل أن يقوموا بقراءة هذه الأعمال لهن ، (والاختبار بحرص للأعمال التى تناسب أسماعهن) مثل بعض الأجزاء التى تسعدهن من هذه الحكايات ، بنفس كلمات المشهد المختار ، والمتوقع أن يكون جميلا ، كما أن الاختيارات التى يقرأونها لشقيقاتهم

ستكون أكثر فهمًا واستمتاعًا ، لأنهن سوف يأخذن فكرة عامة عن مضمون القصة بشكل أفضل مما لو قرأنها فى شكلها المختصر ، ولو حدث ذلك ، فسوف تتحقق المتعة والبهجة لأى قارئة ، ومن غير المحتمل أن ينتج عن ذلك تأثير سيىء سوى أن يتمنوا أن يكونوا أكبر سنا ، حتى يُسمح لهم بقراءة المسرحيات فى نصوصها الأصلية . وعندما يتقدم الزمن ويغادرنا الأصدقاء المتميزون ، ويقرأن الحكايات ، سيكتشفن أنها مختصرة (لم تقدم الكثير وهناك أجزاء أهملتها) أحداث كثيرة مبهرة ومتنوعة تم إغفالها .

أحداث مدهشة وتحولات سعيدة ، إلى ما لا نهاية من النوعيات التى لا يمكن أن يحتويها هذا الكتاب الصغير ، بالإضافة إلى شخصيات مسرحية ، رجال ونساء ، ومواقف فكهة افتقدت ، خلال محاوله اختصار هذه الأعمال .

ماذا تعنى هذه الحكايات بالنسبة لشباب القراء ، إنها تعنى رغبة من قاما بالإعداد ، بأن المسرحيات الأصلية لشكسبير قد تبرهن لهم أنه كان فى العصور القديمة – ثراء فى الخيال ودعم للفضيلة ورفض للأنانية والجشع ، ودرس لكل الأفكار والأفعال النبيلة ، لنتعلم اللطف والكياسة والكرم والإنسانية ، على سبيل المثال ، لنتعلم هذه الفضائل التى تزخر بها صفحات شكسبير .

العاصفة

فى جزيرة ما بالبحر، كان يعيش رجل عجوز، اسمه بروسبرو، مع ابنته ميراندا، وهى فتاة جميلة جدا.

كانا يعيشان فى كهف من الصخور، مقسم إلى عدة أقسام، منها قسم كان يسميه بروسبرو ركن القراءة، حيث يحتفظ فيه بكتبه التى تهتم أساسا بالسحر، هذا النوع من المعرفة الذى كان ذا نفع كبير له. والصدفة المحضة هى التى ألقت به فوق هذه الجزيرة، التى كانت تحت سيطرة ساحرة تدعى "سيكوراس". وقد استطاع بروسبرو بواسطة قوة ما تعلمه من فن السحر، أن يطلق سراح العديد من الجان الطيبين، التى قامت سيكوراس بحبسهم داخل جذوع أشجار كبيرة، لأنهم رفضوا إطاعة أوامرها الشريرة. وأصبح هؤلاء الجان الطيبون طيعين له ورهن إشارته دائما. وكان من ضمن هؤلاء رئيسهم آريل.

لم يكن آريل المرح، شريرا بطبيعته، إلا أنه كان يسعد جداً لمداعبة مسخ دميم يدعى "كالبان"، مداعبة ثقيلة، وذلك بسبب كراهيته له لأنه ابن عدوته القديمة "سيكوراس".. وقد وجد بروسبرو "كالبان" هذا فى الغابة، وهو كائن غريب مشوه، أبعد ما يكون عن شكل الإنسان وأقرب إلى شكل القردة . فأخذه معه إلى الكهف، وعلمه الكلام، ورغم عطف "بروسبرو" عليه، إلا أن طبيعته الشريرة التى ورثها عن أمه "سيكوراس"، لم تسمح له بتعلم أى شيء طيب أو نافع. ولذلك كان يستخدم كالعبد، لإحضار الخشب، والقيام بالأعمال المجهدة، وكانت كل مهمة آريل تنحصر فى إجباره على القيام بتلك الأعمال.

ولما كان "كالبان" كسولا ولا يرغب فى القيام بعمله، فقد كان آريل (الذى لا يراه أحد سوى بروسبرو) يأتى من خلفه ويقرصه. وأحيانا يلقى به فى الطين، عند ذلك يظل أريل على هيئة قرد يقلب شفتيه سخرية منه. ثم يبدل هيئته فى سهولة، ليصير قُنْفدا، ويقذف بنفسه فى طريق "كالبان"، الذى يفزع من أشواك القنفد التى قد تصيب قدميه العاريتين... وبكثير من هذه الألاعيب كان أريل يداعبه، عندما كان كالبان يفشل فى أداء مهمة يكون بروسبرو قد كلفه بها.

ولما كان "بروسبرو" يتمتع بطاعة هؤلاء الجان، فقد كان فى مقدوره وبواسطتهم أن يأمر الريح، وأمواج البحر لتثور. وإطاعة لأوامره فقد أثاروا عاصفة هوجاء، وجعل ابنته ترى فى وسطها سفينة كبيرة تصارع أمواج البحر الشرسة، التى تكاد تبتلعها فى أى لحظة، وقال لها أبوها، إن هذه السفينة مليئة بمخلوقات مثلهم.

فقالت الفتاة : "أوه، يا أبى العزيز، إذا كنت بفن سحرك قد أثرت هذه العاصفة الفظيعة، فأرجو أن تضع حدا لمأساتهم الحزينة وتشفق عليهم... أنظر! .. إن السفينة على وشك أن تتحطم إلى أشلاء.. ياللمساكين! سوف يغرقون جميعا... لو كانت لدى القدرة، لأمرت البحر أن ينحسر، حتى لا تتحطم السفينة، بكل تلك الأرواح الغالية الموجودة عليها".

فقال بروسبرو : "إن الأمر ليس بهذه الخطورة، يا ابنتى "ميراندا"، لن يصيبهم أى ضرر، فلقد أصدرت أوامرى توا، بألا يصاب أحد ممن على السفينة بأذى. وما فعلت ذلك إلا من أجل خاطرك، يا ابنتى العزيزة.. أنت لا تعرفين من تكونين، أو من أين أتيت، ولا تعرفين الكثير عنى سوى أننى أبوك، وأننا نعيش فى هذا الكهف الفقير. هل تستطيعين تذكر الوقت، قبل أن نأتى إلى هنا؟ أعتقد أنك لا تستطيعين، لأن سنك لم يكن يتعدى الثلاث سنوات حينئذ".

فأجابت ميراندا: "بالتأكيد، أتذكر، يا أبى".

فسألها بروسبرو : لكن ماذا تتذكرين ؟ أتتذكرين الناس أم المنازل... أخبرينى بما يمكن أن تتذكريه، يا طفلتى؟!

فقالت ميرندا: "يبدو لى ذلك وكأنها ذكرى حلم. لكن ألم يكن لدى أربع أو خمس سيدات، يقمن على خدمتى؟!.

فأجاب بروسبرو :"فعلا، بل وزيادة . كيف تظل هذه الذكرى عالقة برأسك؟ هل تذكرين كيف جئنا إلى هنا؟ ".

فقالت ميراندا: " كلا، يا سيدى، لا أذكر شيئا أكثر من ذلك؟ "

أكمل بروسبيرو حديثه فقال : " منذ اثنى عشر عاما يا ميراندا، كنت دوق ميلانو، وكنت أنت الأميرة، وطفلتى الوحيدة... وكان لى شقيق أصغر منى، يُدعى أنطونيو، وثقت فيه وسلمته كل شئون الدولة، ولما كنت شغوفا بالهدوء والدراسة العميقة، فتركت تصريف أمور الدولة لعمك، شقيقى الغادر (لأنه حقيقة أثبت ذلك).. أما أنا، فقد أهملت كل اهتماماتى الدنيوية، ودفنت نفسى داخل كتبى، وأعطيت كل وقتى لصقل تفكيرى ... أما أخى وقد أصبح مالكا لكل سلطاتى، فقد بدأ يظن أنه الدوق الحقيقى فالفرصة التى أتحتها له بأن يكون محبوبا من أعوانى، أيقظت فى نفسه الشريرة، نزعة غرور ليسرق منى دوقيتى (مملكتى). وسرعان ما نفذ ذلك بمساعدة ملك نابولى، وهو حاكم متسلط، كان عدواً لى".

فسألته ميراندا: "ولماذا لم يقتلونا، فى هذه الأثناء؟ ".

فأجاب الأب : " لم يجرؤ على ذلك يا طفلتى، لأن شعبى كان يحبنى حبا جما، فحملونا على سطح سفينة، وعندما أصبحنا على بعد عدة أميال داخل البحر، أجبرونا على النزول فى قارب صغير، دون مجاديف أو قلاع أو حبال.. وتُركْنا هناك، ظنا منه، أننا سنموت. لكن لوردا طيبًا من بلاطى، يدعى "جوانزالو"، كان يحبنى، وضع سرا فى القارب، ماء وطعاما وملابس، وبعض الكتب التى كنت أفضلها أكثر من مملكتى".

فقالت ميراندا : "آه، يا أبى، لابد أننى سببت لك كثيرا من المتاعب حينذاك؟ .

فقال بروسبرو : "كلا، يا حبيبتى، فلقد كنت الملاك الحارس بالنسبة لى كانت ابتسامتك تجعلنى أتحمل بشجاعة حظى العاثر. وظل الطعام معنا حتى رسونا على

هذه الجزيرة المهجورة، ومنذ ذلك الحين كانت بهجتى الكبيرة، تنحصر فى تعليمك يا ميراندا، ومن خلال هذه الدروس تعلمت الكثير".

فقالت ميراندا : "جزاك الله خيراً، يا أبى العزيز، والآن قل لى، عن سبب إثارتك لهذه العاصفة؟".

فقال أبوها : " سأقول لك، هذه العاصفة، ستجبر أعدائى، ملك نابولى، وأخى الشرير، على الالتجاء إلى شاطئ جزيرتنا هذه ".

وما أن قال بروسبرو ذلك، حتى لمس ابنته برقة بعصاه السحرية، فنامت فى التو والحال، لأن الجنى آريل كان قد حضر أمامه، ليعطيه تقريرا عن العاصفة، وماذا فعل بركاب السفينة، ورغم أن ميراندا لم يكن فى استطاعتها رؤية آريل، إلا أن بروسبرو لم يكن يرغب فى أن تسمعه وهو يتكلم معه، لأنه سيبدو لها، وكأنه يتكلم مع الهواء...!

فقال بروسبرو لآريل : "حسنًا، أيها الجنى الشجاع، كيف نفذت مهمتك؟".

فقدم آريل تقريرا مفصلا عن العاصفة، وعن الخوف الذى انتاب البحارة، وكيف أن ابن الملك فرديناند كان أول من قفز إلى البحر، وظن أبوه أن الأمواج قد ابتلعت ابنه، وغرق..

وواصل آريل حديثه قائلا ": لكنه أُنقذ... ويجلس هناك فى ركن من الجزيرة ويداه ممدوتان فى حزن، يبكى لفقدان والده الملك، الذى يظن أنه غرق، لم تمس شعرة واحدة من رأسه، وحتى عباءته الملكية، رغم أنها مبتلة من أثر مياه البحر، فإنها تبدو أبهى من ذى قبل".

فقال بروسبرو : "هذا ما كنت أريده يا آريل. أحضره إلى هنا، فابنتى يجب أن ترى هذا الأمير الشاب. لكن أين الملك، وأين أخى؟"

فأجاب آريل : "لقد تركتهما يبحثان عن فرديناند، ولديهما القليل من الأمل فى وجوده، ظنا منهما أنهما شاهداه يغرق. أما بحارة السفينة، فلم يغرق منهم أحد، رغم

أن كل واحد منهم يظن نفسه الوحيد الذى أنقذ، أما السفينة نفسها، فبالرغم من أنها بعيدة عن الأنظار، فهى سليمة تقف فى الميناء".

فقال بروسبرو: "لقد قمت بمهتمك على خير وجه يا آريل، لكن هناك عمل آخر عليك القيام به ".

فقال آريل : "عمل آخر !، دعنى أذكرك يا سيدى، بأنك قد وعدت بإطلاق سراحى بعد هذه المهمة. لقد قمت بخدمتك بكل إخلاص، لم أكذب عليك، ولم أرتكب أخطاء، خدمتك دون أن تبدر منى أية غلطة قولا أو فعلا!".

فقال بروسبرو : "ماذا؟ أوتنسى ذلك العذاب الذى خلصتك منه، وتلك الساحرة الشريرة سيكوراس، التى انحنت تماما بفعل الزمن وأفعالها الشريرة؟ أين ولدت تلك الساحرة؟ تكلم: قل لى".

فقال آريل: " فى الجزائر، يا سيدى " .

فقال بروسبرو : "آه، فى الجزائر؟ ينبغى على أن أذكرك بالوضع الذى كنت فيه، إذا كنت قد نسيت . لقد طُردت هذه الساحرة الشريرة من الجزائر، بسبب أعمالها السحرية البشعة التى آذت مسامع الناس، وتركها البحارة هنا على هذه الجزيرة، ولأنك كنت جنيا طيبا لم يطاوعك قلبك لتنفيذ أوامرها الشريرة، لذا فقد حبستك داخل جذع شجرة، حيث وجدتك تعوى كالذئب، تذكر أننى أنقذتك من هذا العذاب".

– " اغفر لى، يا سيدى العزيز"، قال آريل ذلك وهو يشعر بالخجل لظهوره بمظهر الناكر للجميل، ثم استطرد قائلا: "سوف أطيع أوامرك".

فقال بروسبرو : "إذن نفذ ما أقول، وبعدها أطلق سراحك". بعد ذلك أعطاه أمرا بالأشياء التى ينبغى عليه القيام بها، ثم انصرف آريل، متجها أولا إلى حيث ترك فرديناند، فوجده مازال جالسا على العشب فى نفس الحالة الحزينة.

فقال له آريل عندما رآه: "أيها الشاب الرقيق، سوف أنقلك من هنا حالا. إذ ينبغى أن تكون أمام الفتاة ميراندا، حتى تستمتع بمرآك الجميل. هيا، يا سيدى، اتبعنى".

وقام الأمير باتباع صوت آريل وكله حيرة ودهشة حتى وصل إلى حيث كانت تجلس ميراندا ووالدها تحت شجرة وارفة، ولم تكن حتى هذه اللحظة قد رأت رجلا من قبل أبدا سوى والدها.

قال بروسبرو: "ميراندا، إلى أى شيء تتطلعين هناك؟ "

فقالت ميراندا بدهشة غريبة : "أوه، يا أبى، هذا جنى بالتأكيد، يا إلهى! انظر كيف يبدو شكله ! صدقنى، يا سيدى، إنه مخلوق جميل. وليس جنيا؟"

فأجابها والدها : "كلا، يا ابنتى، إنه يأكل وينام وله حواس مثلنا تماما. هذا الشاب الذى ترينه أمامك كان على ظهر السفينة. وهو يبدو متغيرا بعض الشئ بسبب الحزن، لكنه جميل كما ترين، لقد فقد رفاقه، وهو يتجول بحثا عنهم.

أما ميراندا التى كانت تعتقد أن كل الرجال لهم وجوه حزينة ولحى رمادية مثل أبيها، فقد سعدت كثيرا بظهور ذلك الأمير الشاب الجميل. على حين اعتقد فرديناند، عندما رأى تلك الفتاة الجميلة فى هذا المكان المهجور، أنه فوق جزيرة مسحورة، وأن ميراندا هى إلهة ذلك المكان، وبدأ يتحدث إليها على هذا الأساس.

كانت تجيب عليه بشئ من الخوف بحكم أنها ليست إلهة، وإنما مجرد فتاة بسيطة، وكادت أن تحكى له قصة حياتها، عندما قاطعها أبوها، الذى كان سعيدا جدا، لاكتشافه أن كلا منهما قد أعجب بالآخر، بل وبوضوح (كما نقول) إنهما قد وقعا فى الحب من أول نظرة. لكنه لكى يختبر إخلاص فرديناند، قرر أن يلقى فى طريقهما ببعض الصعاب. فتقدم مخاطبا الأمير بلهجة حادة، قائلا له، إنه قد أتى إلى هذه الجزيرة، بصفته جاسوسا، ليستولى عليها من صاحبها الحقيقى، أى بروسبرو نفسه.

وقال له : " اتبعنى، سوف أربطك من عنقك، وقدميك، سوف تشرب من ماء البحر : أما طعامك فسيكون من الأصداف وجذوع الأشجار الجافة".

فقال فرديناند : "كلا، سوف أقاوم حتى أرى خصما أكثر قوة "، وسحب سيفه، لكن بروسبرو لوح بعصاه السحرية، فجعله يجمد فى مكانه الذى يقف فيه، حتى لم يعد بإمكانه أن يتحرك.

فتعلقت ميراندا بوالدها قائلة : "لماذا تقسو عليه هكذا؟ أشفق عليه، يا أبى، وسوف أضمنه. هذا هو الرجل الثانى الذى رأيته فى حياتى، وأرى أنه إنسان صادق".

قال الأب : "اسكتى، لو قلت كلمة أخرى، فسوف أغضب منك، يا فتاتى ! ماذا ! أتدافعين عن جاسوس؟ أنت تظنين أنه لا يوجد رجال فى مثل وسامته، لأنك لم ترى إلا هو فقط وكاليبان، وأقول لك أيتها الحمقاء، إن أغلب الرجال يفوقونه فى الجمال".

لم يقل بروسبرو ذلك، إلا ليختبر عواطف ابنته، التى أجابت : " أنا لا أرغب فى رؤية من هو أحسن منه".

فقال بروسبرو للأمير : "هيا، أيها الشاب، فليس لديك من القوة، ما يجعلك تعصى أمرى".

فأجاب فرديناند: "بالطبع ليست لدى قوة".

لم يكن يعلم أن قوته على القتال قد سلبت منه بفعل السحر، الأمر الذى جعله متحيرا للغاية من نفسه ليجد نفسه مجبراً على اتباع بروسبرو وإطاعة أوامره. وأثناء ذهابه خلف بروسبرو فى طريقه إلى الكهف، تطلع إلى ميراندا على قدر ما يستطيع، وقال لنفسه : " إن كل حواسى مقيدة، كما لو كنت فى حلم، لكن كلمات ذلك الرجل القاسية، والضعف الذى استشعره، كل ذلك يهون بالنسبة لى، لو أمكننى أن أتطلع إلى تلك الفتاة المخلصة، من خلال سجنى فى يوم من الأيام".

لم يحتفظ بروسبرو بفرديناند كثيرا فى الكهف، إذ سرعان ما أطلق سراح سجينه، وعهد إليه بعمل شاق، مع مراعاة أن تقوم ابنته بمراقبة ما يقوم به، ويتظاهر هو بالذهاب إلى القراءة، على حين يقوم هو بمراقبتهما سراً.

أمر بروسبرو فرديناند بأن يقوم بنقل بعض كتل الخشب الثقيلة، لكن ابن الملك ولم يكن معتاداً على مثل تلك الأعمال الشاقة، فسرعان ما اكتشفت ميراندا أن حبيبها يكاد يموت من الإجهاد.

فقالت : "وأسفاه، لا تجهد نفسك هكذا، فوالدى مستغرق فى قراءته، أنت الآن

فى أمان لمدة ثلاث ساعات، فأرجو أن تريح نفسك".

فقال فرديناند : "أوه يا سيدتى العزيزة، أنا لا أجرؤ على ذلك. لابد أن أنهى عملى قبل أن آخذ راحتى"..

فقالت ميراندا : "لو تجلس أنت قليلا، فسأقوم أنا بنقل الكتل فى فترة وجيزة". وبناءً على ذلك وافق فرديناند دون تردد. وبدلا من أن تقوم ميراندا بمساعدته، أصبحت معوقا له، لأنهما شرعا فى حديث طويل، فجرت عملية نقل الأخشاب ببطء شديد.

أما بروسبرو، الذى عهد إلى فرديناند بهذه المهمة، كاختبار لحبه، فلم يكن يقرأ فى كتبه، كما كانت تظن ابنته، لكنه كان يقف مختبئا بالقرب منهما ليستمع إلى كل ما يقولانه.

سألها فرديناند عن اسمها، فأخبرته به، وقالت إن ما فعلته الآن ضد رغبة والدها.

ابتسم بروسبرو لأول تمرد تقوم به ابنته ضده، لأنه كان بفعل سحره السبب فى وقوعها فى الحب فجأة، ولذلك لم يغضب منها لأنها باحت بحبها وأظهرت عصيانها لأوامر أبيها. واستمع أيضا وكله سعادة إلى مناجاة طويلة من فرديناند، عبر خلالها عن حبه لها الذى يفوق حب كل من رأى من فتيات.

وردا على ثنائه واطرائه لجمالها، الذى قال عنه إنه أروع جمال رآه فى العالم أجابت : " أنا لا أذكر أننى رأيت وجه امرأة، ولم أر كذلك أى رجال فيما عداك أنت، يا صديقى العزيز، وأبى العزيز، لكن صدقنى، يا سيدى أنا لا أرغب فى أى صديق آخر سواك فى العالم، ولا أستطيع أن أتخيل أحدا غيرك لكى أحبه. لكن، يا سيدى أخشى أن أكون قد تكلمت بحرية زائدة، ونسيت أوامر والدى".

عند ذلك ابتسم بروسبرو، وهز رأسه، كما لو أنه يقول : " إن الأمور تجرى وفق ما أتمنى، وستكون ابنتى ملكة نابولى"!.

بعد ذلك أخبر فرديناند ميراندا من خلال مناجاة طويلة رقيقة (لأن الأمراء

يتكلمون بلغة ملكية مهذبة) بأنه سيكون ملك نابولى القادم، وبالتالى ستكون مليكته!.

فقالت : "آه، يا سيدى، من الحماقة أن أبكى من شدة فرحى، لذا سأجيبك بكل وضوح، وصراحة تامة. سأكون زوجتك لو طلبتنى للزواج".

وقبل أن يهم فرديناند بشكرها ظهر بروسبرو أمامها.

وقال : " لا تخش شيئا يا بنى، لقد سمعت كل ما قلتماه، وإذا كنت قد قسوت عليك كثيرا يا فرديناند، فسأعوضك عن ذلك بسخاء، بأن أقدم لك ابنتى. وكل ما صادفته من متاعب، لم يكن إلا مجرد اختبار لحبك، ولقد قدمت الدليل بنبالة وشرف. تقبل منى ابنتى هدية، جزاء حبك الحقيقى لها، وأرجو ألا تسخر منى إذا قلت لك إنها تفوق كل ثناء ومديح".

ثم قال لهما، إن لديه بعض المشاغل فى مكان آخر، وطلب منهما أن يجلسا ويتحدثا سويا، حتى يعود، وبالطبع لم تستطع ميراندا أن تعصى هذا الأمر.

عندما تركها بروسبرو، استدعى تابعه آريل، الذى ظهر بسرعة أمامه، وكله شغف ليحكى له ما فعله مع شقيق بروسبرو وملك نابولى، وقال آريل إنه تركهم فى حالة من الاضطراب والخوف، بسبب المتاعب الغريبة التى سببها لهم ورأوها وسمعوها. فعندما أضناهم التعب من التجوال، وكادا يموتان جوعا من قلة الطعام، وضع آريل أمامهم وليمة فاخرة فجأة. وما أن هما بالشروع فى الأكل، حتى ظهر أمامهم فى هيئة وحش شرس مجنح، واختفت الوليمة فى الحال، بعد ذلك، ولدهشتهم الشديدة، بدأ الوحش يكلمهم طالبا منهم أن يتذكرا قسوتهم لطردهم بروسبرو من مملكته، وتركه هو وابنته الطفلة ليموتا غرقا فى البحر، قائلا لهما، إن هذه الأشياء المرعبة تحدث لهم الآن، لهذا السبب.

وبدأ الشعور بالأسف يجتاح كلاً من ملك نابولى وأنطونيو، للظلم الذى أنزلاه ببروسبرو.. وقال آريل لسيده إن الندم الذى أبدوه كان ندما حقيقيا، ورغم أنه جنى إلا أنه يرى أن يسامحهم.

فقال بروسبرو : "إذن، أحضرهم إلى هنا، وإذا كنت أنت لست إلا جنى، وتشعر

بمدى حزنهم، أفلا أشعر أنا، وأنا إنسان مثلهم بذلك؟ أحضرهم بسرعة، أيها العزيز أريل".

سرعان ما عاد أريل بالملك، وأنطونيو، والعجوز جونزالو، الذى يتبع أريل، مسحورا بتلك الموسيقى التى كان يعزفها فى الجو ليجذبهم إلى المكان الذى يجلس فيه سيده. وجونزالو هذا هو نفس الشخص الذى ساعد بروسبرو وأمده فيما مضى بالطعام والكتب، عندما تركه أخوه الشرير، ليموت فى ذلك القارب الصغير، كما كان يعتقد.

جمد الحزن والرعب حواسهم، لدرجة أنهم لم يتعرفوا على بروسبرو، الذى أتاح فى البداية لجوانزالو العجوز أن يتعرف عليه، إذا أنه ناداه بمنقذ حياته، حينئذ عرف أنطونيو والملك، أنه بروسبرو الذى حاولا قتله.

طلب أنطونيو العفو من أخيه، والدموع تنهمر من عينيه والحزن والندم والخجل الحقيقى، يشيع فى كلماته، وقال الملك، إنه أيضا يشعر بالأسف الشديد لأنه ساعد أنطونيو فى طرد أخيه. وعفا بروسبرو عنهما، وعندما وعداه برد مملكته، قال لملك نابولى : " إن لدى هدية أحتفظ بها لك"، وفتح الباب، وأراه ابنه فرديناند يلعب الشطرنج مع ميراندا.

لم يكن هناك فرح يعدل فرحة الأب بابنه فى مثل هذا اللقاء غير المتوقع، لأن كلا منهما اعتقد أن الآخر قد غرق فى العاصفة.

وقالت ميراندا : "شىء رائع! يا لهذه المخلوقات النبيلة! لابد أن العالم الذى يعيشون فيه عالم رائع بالتأكيد".

انبهر ملك نابولى بالجمال الأخاذ لميراندا، فقال: "من هذه الفتاة ؟ يبدو وكأنها الالهة التى فرقتنا، وجمعتنا سويا!".

فأجاب فرديناد وهو يبتسم : " كلا، يا أبى"، لأنه أحس أن والده وقع فى نفس الخطأ الذى وقع هو فيه عندما رأى ميراندا لأول مرة. واستطرد قائلا : " إنها مجرد إنسانة، وهى لى بحق الله، ولقد وقع اختيارى عليها دون أن آخذ رأيك، اعتقادا منى

أنك لم تعد على قيد الحياة. إنها ابنة بروسبرو، دوق ميلانو المعروف، الذى سمعت عن شهرته كثيراً، ولم أكن قد رأيته حتى الآن . ولقد وهبنى حياة جديدة، وكان بمثابة الأب الثانى لى، وأعطانى ابنته العزيزة".

فقال الملك: "ينبغى إذن أن أكون والدها، لكن! كم سيكون غريبا أن أطلب العفو من ابنتى".

وقال بروسبرو : "لا داعى لمثل هذا الكلام، دعونا ننسى متاعبنا الماضية، طالما أنها انتهت نهاية سعيدة". وقام بروسبرو بتقبيل أخيه، وأعلن للمرة الثانية عفوه عنه، وقال إن حكمة ما لا يعلمها إلا الله كانت وراء طرده من دوقيته الصغيرة فى ميلانو، حتى تصبح ابنته ملكة لنابولى، لأن هذا اللقاء فى تلك الجزيرة المهجورة كان السبب فى أن ابن الملك أحب ميراندا.

كانت هذه الكلمات الطيبة التى نطق بها بروسبرو، مبعث راحة لشقيقه أنطونيو، الذى أحس بالخجل والأسف، لدرجة أنه بكى وفقد القدرة على الكلام. وكذلك بكى جونزالو العجوز تأثراً من ذلك الموقف السعيد الذى تلاقت فيه القلوب، وأدى صلاة لتحل البركة على الشابين السعيدين.

وأخبرهم بروسبرو أن سفينتهم لم يصبها أى سوء وتقف فى الميناء، والبحارة كلهم على ظهرها، وسوف يعود هو وابنته معهم إلى الوطن صبيحة اليوم التالى.

وقال : "وفى نفس الوقت خذوا من الطعام بقدر ما يوجد فى كهفى المتواضع، أما بالنسبة لقضاء الأمسيات، فسوف أقص عليكم تاريخ حياتى منذ اللحظة التى وصلت فيها إلى هذه الجزيرة المهجورة".

ثم نادى على كاليبان لإعداد شىء من الطعام، وترتيب الكهف، واندهش الجميع من مظهر ذلك المسخ البدائى، لكن بروسبرو قال إنه الخادم الوحيد الذى يعتمد عليه.

وقبل أن يغادر بروسبرو الجزيرة، أطلق سراح آريل من خدمته، ليتحرر فى عالمه.

ورغم أنه كان خادما مخلصا لسيده، لكنه كان يتوق إلى لحظة الحرية هذه، ليتجول فى الفضاء دون قيد، مثل الطائر البرى، بين الأشجار الخضراء والفاكهة الشهية ورائحة الزهور الطيبة.

وقال له بروسبرو عندما أطلق سراحه : "سوف أفتقدك، يا عزيزى أريل، إلا إن ما يعزينى عن ذلك، هو حصولك على حريتك".

فقال أريل : "أشكرك، يا سيدى العزيز، لكن اسمح لى بالتحليق فوق سفينتك فى أثناء عودتها للوطن، قبل أن تقول وداعا لخادمك المخلص، بعدها أكون حرا، أنطلق وأعيش فى مرح".

بعد ذلك قام بروسبرو بدفن كتبه السحرية وعصاه فى باطن الأرض، حيث اكتشف أنه لم يعد بحاجة على الإطلاق لاستعمال فنه السحرى، والآن لم يعد ينقصه شىء بعد أن انتصر على أعدائه، وتوثقت الصلة بينه وبين أخيه وملك نابولى، إلا أن يرى وطنه، ويحكم مملكته، ويحضر الزفاف السعيد لابنته ميراندا والأمير فرديناند، حيث صرح الملك بأن الزفاف سيقام على أكمل صورة من الأبهة والفخامة بمجرد رجوعهم إلى نابولى...

وبعد رحلة سعيدة. كان آريل يحلق خلالها فوق السفينة ليدلها على الطريق الصحيح، حتى وصلوا إلى نابولى...!

حُلم منتصف ليلة صيف

كان هناك قانون فى مدينة أثينا باليونان، يعطى الحق للمواطنين أن يجبروا بناتهم على الزواج بمن يرضون هم عنهم، وإذا حدث ورفضت إحدى الفتيات الزواج من الذى اختاره أبوها ليكون زوجا لها، يكون من حق الأب قانونا أن يطبق عليها عقوبة الموت. ولكن لما كان أغلب الآباء لا يرغبون فى قتل بناتهم، رغم اعتراضهم أحيانا، لذا فإن هذا القانون كان من النادر جدا أن يوضع موضع التنفيذ.

وهناك حكاية تروى عن رجل عجوز، اسمه إيجوس، ذهب إلى تيسيوس (حاكم دوقية أثينا فى ذلك الوقت) يشكو من أن ابنته هرميا ترفض إطاعة أوامره بالزواج من ديمتريوس، وهو شاب من عائلة نبيلة فى أثينا، لأنها تحب شابا أثينيا آخر، يسمى ليساندر، وطلب ايجوس من تيسيوس تطبيق العدالة، وأبدى رغبته فى تنفيذ ذلك القانون القاسى على ابنته.

وكان دفاع هرميا أن ديمتريوس قال ذات مرة أنه يحب صديقتها هيلينا، وأن هيلينا تحب ديمتريوس إلى حد الجنون . لكن هذا التبرير المعقول جدا، الذى قدمته لعدم طاعتها لأوامر أبيها، لم يقنع إيجوس العنيد، على الإطلاق. ورغم أن تيسيوس، كان حاكما عظيما ورحيما، إلا إنه كان لا يملك سلطة تغيير القوانين فى بلاده. وكل ما استطاع أن يفعله، هو أن يعطى هرميا مهلة لمدة أربعة أيام لتفكر فى الأمر وفى نهاية هذه المدة، إذا ظلت رافضة للزواج من ديمتريوس، فسوف ينفذ فيها حكم الموت!

وعندما تركت هرميا مجلس الحاكم، ذهبت إلى حبيبها ليساندر، وأخبرته عن الخطر الذى يتهددها، وأنها إما أن تتخلى عنه وتتزوج ديمتريوس، وإما أن تفقد حياتها بعد أربعة أيام.

وانتاب ليساندر حزن كبير لسماعه هذه الأنباء السيئة. لكنه تذكر أن لديه عمة تعيش بعيدا عن أثينا بمسافة كبيرة. وهناك فى ذلك المكان لا يسرى ذلك القانون الجائر على هرميا. فاقترح عليها أن تتسلل سرا من منزل أبيها تلك الليلة، وتهرب معه إلى منزل عمته، حيث يستطيع الزواج بها هناك...

وقال لها : "سوف أقابلك، فى الغابة على بعد عدة أميال خارج المدينة، تلك الغابة الرائعة حيث كنا نتنزه دائما مع هيلينا فى شهر مايو الرائع".

ووافقت هرميا على هذا الاقتراح بفرح شديد، ولم تخبر أحدا بنيتها على الهرب سوى صديقتها هيلينا . ولما كانت هيلينا (فتاة مندفعة سنجد أنها ستقوم بأشياء تضر العاشقين)، فقد قررت دون تعقل أن تذهب لتخبر ديمتريوس بذلك، رغم أنها لن تستفيد شيئا من إفشاء سر صديقتها، سوى تلك السعادة المؤقتة فى تتبع حبيبها إلى الغابة، لأنها كانت تعلم أن ديمتريوس لابد أن يذهب وراء هرميا.

كانت الغابة، التى من المفروض أن يتقابل فيها كل من ليساندر وهرميا، هى المكان المفضل لالتقاء تلك الكائنات الصغيرة المعروفة باسم الجنيات، حيث كان أوبرون ملك الجان وتيتانيا الملكة، يعقدون رقصات منتصف الليل فى تلك الغابة مع باقى أتباعهم الصغار.

وحدث أن قام نزاع حاد فى تلك الفترة بين ملك وملكة الجان، ولم يعودا يتقابلان تحت ضوء القمر فى الممرات الظليلة لتلك الغابة الجميلة،بل كانا يتعاركان، حتى أن أتباعهما من الجنيات الصغيرات كن يهربن بعيداً ويخفين أنوفهن داخل شقوق البذور.

وكان سبب ذلك النزاع الحاد، هو أن تيتانيا رفضت أن تعطى لأوبرون ولدا، كانت أمه صديقة لتيتانيا، فلما ماتت سرقت ملكة الجان الطفل من مربيته، وأحضرته إلى الغابة.

وفى نفس الليلة التى كان سيلتقى فيها العاشقان، كانت تيتانيا تتمشى مع وصيفاتها من الجنيات، فقابلت أوبرون يسير بصحبة أحد معاونيه.

فقال لها ملك الجان : "مرحبا بك فى ضوء القمر، يا تيتانيا المتكبرة".

فردت الملكة : " ماذا، أهو أنت، أيها الغيور أوبرون ؟ اهربن أيتها الجنيات فلقد انفصلت عنه".

فقال أوبرون : انتظرن أيتها الجنيات الحمقاوات، ألست أنا ملكك وسيدك ؟ لماذا تعارضينني؟ أعطني هذا الولد ليكون تابعا لي".

فأجابت الملكة : "أرح قلبك، إن مملكتك كلها لن تستطيع شراء الولد مني". ثم تركت ملكها فى غضب شديد.

فقال الملك : "حسن، فلتذهبى فى طريقك لكن قبل أن يطلع الفجر سأجعلك تعانين من أجل هذه الإهانة"..

وأرسل أوبرون فى استدعاء بَكْ، رئيس ديوانه ومستشاره المخلص. كان بَكْ جنيا شقيا، تعود أن يقوم بأفعال مضحكة فى القرى المجاورة : فأحيانا كان يتسلل إلى مزارع الألبان، ويأخذ القشدة من فوق أوانى اللبن، وأحيانا كان يحول هيئته على شكل ماكينة فرز الزبد، ويتراقص فى الوعاء فلا تستطيع الفتاة العاملة أن تستخرج زبدا من الماكينة. أو يقوم بتعكير مزاج رجال القرية، عندما يحلو له مزاجه باللعب فى أوانى الجعة، فتفسد بطبيعة الحال. وعندما يجتمع بعض الجيران الطيبين لتناول بعض شراب الجعة اللذيذ. كان لا يتورع عن القفز داخل الوعاء ليجعل الجعة بطعم التفاح البرى العطن. وعندما تشرع سيدة عجوز فى شرب الجعة، لا يتورع عن القفز فوق شفتيها وسرعان ما تنسكب الجعة على ذقنها العجوز. وآخر مغامراته، عندما جلست هذه السيدة العجوز تقص على جيرانها حكاية مؤسية، فقام بَكْ بسحب الكرسى من تحتها، وبالطبع وقعت السيدة العجوز المسكينة، وانفجرت النسوة العجائز الأخريات فى الضحك عليها،وأقسمن بأنهن لم يقضين ساعة مرحة كهذه.

فقال أوبرون لهذا الجنى الشقى المرح جواب الليالى : "تعال هنا، يا بَكْ، أريدك أن تحضر لى تلك الزهرة التى تطلق عليها الفتيات اسم "الحب بجنون"، ذلك أن رحيق

تلك الزهرة الأرجوانية، عندما يقطر فى عينى النائم، يجعل صاحبها، يحب بجنون أول شىء تقع عليه عيناه، لأننى أود أن أضع بعضا من هذا الرحيق فى عينى تيتانيا وهى نائمة، وأول شىء تنظر إليه عندما تفتح عينيها ستقع فى حبه، سواء كان أسدا، أو دبا، أو قردا، أو نسناسا. وقبل أن أزيل هذا السحر من عينيها، بفعل رحيق آخر أعرفه، سوف أجعلها تعطينى ذلك الولد، ليكون تابعا لى".

ولما كان بَكْ مولعا بتلك الألاعيب جداً، سرعان ما فرح بتلك النكتة التى صدرت من سيده، فأسرع لإحضار الزهرة. وبينما كان أوبرون ينتظر عودة بَكْ. رأى ديمتريوس وهيلينا يدخلان الغابة. وسمع ديمتريوس يوبخ هيلينا لأنها تبعته، وبعد كثير من الكلمات الحادة منه إليها، والردود الرقيقة منها، التى تذكره فيها بحبه السابق، ووعوده لها، تركها تحت رحمة الوحوش المفترسة، لكنها أخذت تجرى وراءه على قدر ما تستطيع.

وشعر ملك الجان، وكان صديقا دائما للمحبين المخلصين، بالعطف على هيلينا.. وعندما عاد بَكْ بالزهرة الأرجوانية الصغيرة، قال أوبرون لمستشاره الحميم: " ادخر شيئا من رحيق هذه الزهرة.. فلدينا فتاة أثينية جميلة، واقعة فى حب شاب قاسى القلب .. فإذا وجدته نائما، ضع بعض نقط رحيق الحب فى عينيه. لكن عليك أن تراعى أن تكون الفتاة قريبة منه، حتى تكون أول شىء تقع عليه عيناه. وسوف تعرف الرجل من ملابسه الآثينية التى يرتديها.. ووعد بَكْ سيده بالقيام بهذه المهمة على خير ما يرام، ثم توجه أوبرون بعد ذلك إلى مخدع تيتانيا متخفيا، حيث كانت تستعد للنوم، كان المكان يقع على شاطئ النهر حيث تنمو العديد من الزهور البرية الجميلة الملونة، ذات الروائح الذكية، فوق خميلة من النباتات المتسلقة. هنا تعودت تيتانيا أن تنام جزءا من الليل،كان سريرها مغطى بجلد حية، ورغم صغره، إلا إنه كان يكفى لأن تتدثر به إحدى الجنيات.

وجد تيتانيا تصدر أوامرها لجنياتها، كيف يشغلن أنفسهن أثناء نومها قائلة: " بعضكن يقمن بقتل الديدان التى تأكل براعم الأزهار، والبعض الآخر يقمن باستخراج

زغب ريشها، ليصنعن منه معطفى الصغير، والبعض الآخر، يراقبن تلك البومة المزعجة، حتى لا تقترب منى، لكن عليكن أولا أن تغنين لى حتى أنام".

وبعدما قامت الجنيات بأداء أغنية النوم الملكية بترنيمة جميلة، تركنها ليقمن بالمهام التى كلفتهن بها .. وبعد ذلك اقترب أوبرون برقة تجاه تيتانيا، ووضع بعض نقاط رحيق الحب فى عينيها وهو يقول :

"فلتقعى فى حب أول شىء عندما تستيقظين

وليكن ذلك، وكأنه حب صادق متين".

نعود إلى هرميا.. التى تسللت من منزل والدها ليلا فى تلك الليلة، لتهرب من الموت المحيق بها لرفضها الزواج من ديمتريوس، وعندما دخلت الغابة، وجدت حبيبها ليساندر فى انتظارها ليأخذها إلى بيت عمته. لكن قبل أن يعبرا نصف الغابة، حل التعب الشديد بهرميا، فطلب منها ليساندر أن تستريح حتى الصباح على شاطئ النهر المعشوشب الأخضر ، ورقد على بعد مسافة صغيرة منها، وسرعان ما استغرقا فى النوم.

وهكذا وجدهم بَكْ على هذا الحال.. فلقد رأى بَكْ شابًا وسيمًا نائمًا، ولاحظ أن ملابسه مصنوعة بطراز أثينى، ورأى كذلك فتاة جميلة نائمة بالقرب منه، فاعتقد أنها الفتاة الأثينية وحبيبها القاسى، الذى أرسله أوبرون فى أعقابه . واعتقد بطبيعة الحال، بأنهما طالما يوجدان وحدهما، فستكون هى أول شىء تقع عليه عيناه عندما يستيقظ، وهكذا دون تباطؤ، قام بوضع بعض قطرات من رحيق الزهرة الأرجوانية الصغيرة فى عينيه، لكن الذى حدث، هو أن هيلينا جاءت إلى هذه الناحية ، وبدلاً من أن يرى ليساندر هرميا، كانت هيلينا هى أول من وقعت عيناه عليها عندما استيقظ. ومن المدهش أن نقول، إن تأثير رحيق الحب الساحر كان قويا للغاية، حتى أن حبه لهرميا تلاشى، ووقع ليساندر فى حب هيلينا.

ولو أنه رأى هرميا عندما استيقظ، فان غلطة بَكْ لم تكن تصبح ذات أهمية، لأنه لم يكن سيقع فى حب هيلينا. لكن لسوء حظ ليساندر المسكين فقد حدث ما حدث،

وأُجبر بفعل سحر "رحيق الحب" على نسيان حبيبته المخلصة هرميا، وأخذ يطارد فتاة أخرى، تاركا هرميا نائمة بهدوء وحدها فى الغابة فى منتصف الليل.

حدث سوء الحظ على الوجه التالى. فقد حاولت هيلينا اللحاق بديمتريوس عندما فر هاربا منها بشكل وقح، لكنها لم تحتمل طويلا مواصلة ذلك السباق غير المتكافئ، لأن الرجال دائما ما يكونون أفضل من النساء فى سباق المسافات الطويلة . وسرعان ما غاب ديمتريوس عن بصر هيلينا.. وبينما كانت تتجول وهى تعانى من الحزن والوحدة، وصلت إلى المكان الذى ينام فيه ليساندر.

وقالت : "آه! هذا ليساندر ممددا على الأرض: أهو نائم أم ميت؟ " . ثم لمسته برفق.

وقالت : "سيدى الطيب، إذا كنت حيا، فاستيقظ".

عندئذ فتح ليساندر عينيه (بدأ مفعول رحيق الحب يعمل)، وعلى الفور شرع يحدثها بكلمات حب جريئة وإعجاب، قائلا لها إنها تفوق هرميا جمالا، كالفرق بين الحمامة والغراب، وأنه على استعداد لإلقاء نفسه فى النار من أجل جمالها وقال لها كثيرا من كلمات الغزل التى يتفوه بها المحبون... ولما كانت هيلينا تعلم أن ليساندر هو حبيب صديقتها، وأنه وعدها بالزواج، فلقد غضبت غضبا شديدا عندما سمعته يخاطبها بهذا الأسلوب، لأنها ظنت (أنه من المحتمل) أن ليساندر يتهكم عليها.

فقالت : "آه ! هل ولدت لأصبح هزأة، ولا قيمة لى عند أى أحد؟ ألا يكفى أيها الشاب، ألا يكفى أننى لم أفز بأية نظرة حلوة أو كلمة طيبة من ديمتريوس، حتى تأتى أنت وتتظاهر بالحب لى، بهذا الشكل غير اللائق ؟ .. أعتقد يا ليساندر أنك أرفع من ذلك"... وما أن قالت هذه الكلمات بغضب شديد حتى أسرعت بالفرار بعيدا، وتبعها ليساندر، وقد نسى تماما حبيبته هرميا، التى كانت ما تزال نائمة.

عندما استيقظت هرميا انتابها خوف وحزن، إذ وجدت نفسها وحيدة. وأخذت تتجول فى الغابة. وهى لا تدرى ماذا حدث لليساندر، ولا أى طريق تسلك حتى تعثر

على ديمتريوس فى نفس الوقت كان ديمتريوس قد فشل فى العثور على هرميا وغريمه ليساندر، وحل به التعب من جراء البحث فنام، وتصادف أن رآه أوبرون على هذا الحال. وكان أوبرون قد عرف من خلال بعض الأسئلة التى سألها لبَكْ، أنه قد وضع الرحيق فى عينى شخص آخر عن طريق الخطأ. والآن، وقد وجد الشخص المقصود أولا، فقام بلمس عينى ديمتريوس النائم برحيق سحر الحب، وما أن استيقظ، وكان أول شيء تقع عليه عيناه هو هيلينا، فشرع، فى بث أحاديث الحب لها، كما فعل ليساندر الذى ظهر خلفها، وفى نفس اللحظة وصلت هرميا التى كانت تبحث عن ليساندر (إذ بسبب خطأ بَكْ غير المقصود أصبح الدور عليها لتجرى وراء حبيبها) وبدأ الاثنان سويا يبثان حبهما إلى هيلينا وهما واقعين تحت تأثير رحيق الحب.

واعتقدت هيلينا، أن ديمتريوس وليساندر وصديقتها الوحيدة العزيزة هرميا، قد اتفقوا جميعا على خطة للسخرية منها. وكما أصابت الدهشة هرميا، فقد أصابت هيلينا أيضا : لأنها (أى هرميا) لم تعرف السبب فى تحول ليساندر وديمتريوس اللذان كانا يحبانها فى البداية، إلى حب هيلينا، وسرعان ما اكتشفت هرميا أن المسألة لم تعد مسألة ضحك أو هذر.

وتبادلت الفتاتان اللتان كانتا صديقتين حميمتين الكلمات الغاضبة.

فقالت هيلينا : إنه أنت أيتها الشريرة هرميا، التى حرضت ليساندر لكى يسخر منى بكلمات الحب الزائفة، كما حرضت حبيبك الآخر، ديمتريوس الذى كان يضربنى بقدمه دائما، ليقول لى كلمات مثل حبيبتى الغالية، ويا سمائى الجميلة ويا مليكتى؟ . وهو لم يكن ليقول مثل هذا الكلام إلى من يكرهها إلا بتحريض منك ليسخر منى. أهكذا تنضمين يا هرميا القاسية إليهما للسخرية من صديقتك المسكينة.. هل نسيت زمالتنا فى المدرسة؟ كيف يتسنى لك ذلك يا هرميا، فلقد كنا نجلس على مقعد واحد، ونخيط فستانا واحدا، كبرنا سويا مثل شجرة كرز ذات فرعين، وكان من المتعذر أن نفترق؟. هرميا، ليس من طبع صداقتك، ولا من صفات طهارتك، أن تنضمى إلى هؤلاء الرجال للسخرية من صديقتك المسكينة".

فقالت هرميا : "أنا مندهشة تماما لكلماتك الغاضبة، فأنا لا أسخر منك، بل أنت التى تسخرين منى ".

فردت هيلينا : " أنا أفعل ذلك، هيا استمرى، تظاهرى بالجدية الآن، حتى أدير ظهرى فتتغمزى علىَّ .. إذا كان لديك إحساس بالنخوة والحنان، والسلوك الطيب، فلن يكون فى وسعك أن تعامليني هكذا".

وبينما كانت هيلينا وهرميا تتبادلان تلك الكلمات الغاضبة، كان ديمتريوس وليساندر قد تركاهما، ليتقاتلا فى الغابة، من أجل حب هيلينا.

وعندما اكتشفتا أن الشابين تركاهما، افترقتا وشرعتا فى التجوال مرة ثانية للبحث عن أحبائهما. وعند انصرافهما، قال ملك الجان لبَكْ، بعد أن استمع إلى عراكهما : " ذلك بسبب إهمالك، يابك، أم أنك قمت بذلك عن عمد؟"

فأجاب بك : "صدقنى، يا ملك الجان، إنها مجرد غلطة.. ألم تقل لى بأننى سأتعرف على الرجل من ملابسه الآثينية؟ وعلى أى الأحوال، أنا لست آسفا لأن ذلك قد حدث، لأننى أعتقد أن هذا العراك نتج عنه موقف رائع ظريف".

فقال أوبرون : " لقد سمعت أن ديمتريوس وليساندر قد ذهبا ليبحثا عن مكان يتقاتلان فيه، وأنا أمرك أن تجعل الليل يغشاه ضباب كثيف، حتى يتوه هذان العاشقان المتقاتلان فى الظلام، ولا يجد كل منهما الآخر. استمر فى فعل ذلك، حتى يصيبهما الإجهاد فلا يصبح فى مقدورهما أن يتماديا فى ذلك، وعندما يستغرقان فى النوم، ضع بعضا من رحيق هذه الزهرة الأخرى فى عينى ليساندر. وعندما يستيقظ، سوف ينسى حبه الجديد لهيلينا، ويعود إلى حبه القديم (لهرميا)، بعد ذلك تستمتع كل فتاة بالسعادة مع الرجل الذى تحبه وسوف تظنان أن كل ما حدث لهما، لم يكن سوى حلم مزعج. اذهب الآن يا بَكْ، وسوف أذهب لأرى ماذا حدث لحبيبة القلب "تيتانيا .."

كانت تيتانيا ما تزال نائمة، ورأى أوبرون رجلا قرويًا ضل طريقه فى الغابة، نائمًا بالقرب منها، فقال : "سيكون هذا الرفيق، عاشق تيتانيا الحقيقى، واستطاع

بفعل سحره أن يحول رأسه إلى رأس حمار، وجعلها مناسبة تماما لأكتافه، حتى لتبدو وكأنها نمت مع جسده. ورغم أن أوبرون ثبت رأس الحمار عليه بكل رفق، إلا إنه استيقظ، ونهض، وهو لا يدرى ماذا فعل به أوبرون، وذهب تجاه المكان الذى ترتاح وتنام فيه ملكة الجان.

وقالت تيتانيا وهى تفتح عينيها تحت تأثير رحيق الزهرة الأرجوانية الصغيرة : "آه، ما هذا الملاك الذى أراه؟ هل أنت حكيم مثلما أنت جميل؟ ".

فقال الفلاح الأحمق ذو رأس الحمار : " لماذا، يا سيدتى ؟.. إذا كان لدى من الذكاء ما يكفى لأجد طريق خروجى من هذه الغابة، فإن ذلك كفيل بتحقيق أغراضى".

فقالت الملكة الغارقة فى الحب : "لن تكون لديك رغبة للخروج من هذه الغابة، فأنا جنية من نوع فريد.. أنا أحبك . تعال معى، وسأهب لك جنيات يقمن على خدمتك".

ونادت على أربع من جنياتها وأسماؤهن كالتالى : بيز بلوسوم، وكوبويب وموث وموستارد سيد.

وقالت لهن الملكة : "انتبهن، امشين فى صحبة هذا الرجل الرقيق، وارقصن أمامه وأطعمنه العنب والمشمش، وأحضرن له أقراص العسل الأبيض من خلايا النحل". ثم قالت له : "تعال، اجلس معى، ودعنى أداعب شعر وجنتيك الجميلتين، يا حمارى الجميل! وأقبل أذنيك الكبيرتين، أيها الرفيق المرح!".

– " ولكن أين خادمتى بيز بلوسوم؟ " . نطق بذلك الرجل ذو رأس الحمار، دون أن يفكر فى ذلك العطف الجم الذى تبديه الملكة نحوه، إذ كان فخورا جدا بخادمته الجديدة، وأجابت بلوسوم:

– " هاأنذا، يا سيدى ".

– " اهرشى لى رأسى" . ثم قال : " أين كوبويب ؟ ".

فأجابت كوبويب : " ها أنذا، يا سيدى! "

فقال لها : " أرجو أن تقتلى تلك النحلة الحمراء الموجودة على قمة تلك الشجيرة هناك، وتحضرى لى قرص العسل، وانتبهى حتى لا ينكسر، وإلا فسأكون آسفا إذا انكسر وسال العسل عليك. أين موستارد؟ " .

فقالت موستارد : " هاأنذا، يا سيدى، ما هى طلباتك ؟ " .

فقال الفلاح: " لا شىء، أيتها الطيبة موستارد، سوى أن تساعدى بلوسوم فى هرش رأسى، يجب أن أذهب إلى الحلاق . يا موستارد، لأننى أحس بالشعر يغطى وجهى ".

فقالت الملكة : " يا حبى الرقيق، ماذا تريد أن تأكل ؟ فلدى جنى يستطيع إحضار الطعام الذى قام السنجاب بتخزينه، وكذلك بعض ثمار الجوز الجديدة".

فقال الفلاح : "أنا أفضل حفنة من حبوب البازلاء الجافة" . لأنه قد أصبح له رأس حمار، أخذ يستطعم ما تأكله الحمير.. ثم استطرد قائلا: " لكننى ، أرجو ألا يزعجنى أحد، لأننى أريد أن أنام ".

فقالت الملكة : "فلتنم إذن، وسأقوم بالترويح عليك بذراعى . آه، كم أحبك ! كم أحبك بجنون! ".

وعندما رأى ملك الجان، ذلك الفلاح ينام بين ذراعى الملكة، ظهر أمام ناظريها وأخذ يلومها، لإبداء كل هذا الحب لحمار. وبالطبع لم تستطع أن تنكر ذلك، إذ إن الفلاح كان نائما بين ذراعيها، برأس الحمار المزينة بعقود من الزهور. وبعد أن سخر منها أوبرون وضحك، أخذ يطالبها مرة ثانية بالولد، أما هى فقد أحست بالخجل، لأن ملكها وجدها فى هذا الوضع مع حبيبها، ولم تستطع أن ترفض طلبه.

وما أن حصل أوبرون على الولد الصغير، الذى كان يرغب فيه منذ مدة طويلة ليكون تابعا له، حتى أخذته الشفقة بزوجته تيتانيا، ونثر بعضا من نقاط رحيق الزهرة الأخرى فوق عينيها، ومن ثم استعادت ملكة الجان مشاعرها، واندهشت من سخافة تصرفاتها، قائلة، إنها تكره الآن منظر ذلك الوحش الغريب.

نزع أوبرون رأس الحمار من فوق جسد الفلاح، وجعله يكمل نومه برأسه هو فوق كتفيه. وتم الوفاق تماما بين أوبرون وبين تيتانيا مرة ثانية، وقص عليها حكاية العشاق، وعراكهم فى منتصف الليل، فاتفقت على أن تذهب معه لترى نهاية متاعبهم الغريبة.

وجد ملك الجان والملكة العاشقين والفتاتين المخلصتين، نائمين فوق العشب الأخضر، وكل على مسافة ليست بعيدة عن الآخر . وحتى يصلح من خطئه، فقد أحضرهم إلى ذلك المكان، دون أن يعرف أحدهم بذلك، ثم بدأ فى حرص بإزالة مفعول السحر من عينى ليساندر بالدواء الذى أعطاه له الملك.

وعندما استيقظت هرميا أولا، ووجدت ليساندر ينام بالقرب منها تقريبا، أخذت تنظر إليه، وهى متحيرة من أمر خيانته لها، ولما فتح ليساندر عينيه، ورأى حبيبته هرميا، استعاد وعيه، الذى كان غائبا بفعل السحر، واستعاد حبه لهرميا . بدءا يتحدثان حول تلك الأفعال الغريبة التى حدثت فى تلك الليلة، وهما يشكان فى حدوثها حقيقة، أو أنهما ربما حلما نفس ذلك الحلم المجنون".

فى هذه الأثناء استيقظ كل من ديمتريوس وهيلينا، وكان النوم الهادئ اللطيف، قد هدأ من ثورة غضبها، فاستمعت إلى كلمات الحب اللطيفة التى أخذ يقولها ديمتريوس لها، والتى كانت لدهشتها وسعادتها، تحس أنها صادقة تماما.

ولم تلبث هاتان الفتاتان اللتان تجولتا كثيرا تلك الليلة، أن أصبحتا صديقتين حميمتين بعد أن كانتا عدوتين . ونسيتا كل الكلمات القاسية التى تبادلتاها، وأخذتا تخططان سويا فى هدوء عن أفضل ما يمكن عمله فى تلك اللحظة . وسرعان ما اتفقتا، طالما أن ديمتريوس كف عن مطاردة هرميا، فإنه يستطيع أن يقنع والدها بالتراجع عن تنفيذ حكم الموت عليها. وعندما أبدى ديمتريوس استعداده للعودة إلى أثينا من أجل ذلك، فوجئ الجميع بظهور إيجوس والد هرميا، الذى كان قد حضر إلى الغابة مقتفيا أثر ابنته الهاربة.

عندما سمع إيجوس أن ديمتريوس لا يرغب فى الزواج من ابنته، سرعان ما وافق على زواجها من ليساندر، على شرط أن يتم الزواج بعد أربعة أيام (وهو نفس اليوم الذى كان سينفذ فيه حكم الموت). وأعلنت هيلينا أنه يسعدها أن يتم زواجها من ديمتريوس الوفى فى نفس ذلك اليوم أيضا.

وقد كان ملك الجان والملكة، شهودا على ذلك الوفاق، رغم عدم ظهورهما، وقد سرهما ذلك كثيراً، حتى أنهما قررا المشاركة فى احتفال الزواج هذا، بإقامة الاحتفالات فى مملكة الجان.

والآن، إذا كان لأحد أن يعترض على قصة أولئك الجان وألاعيبهم ويدعى أنها غير قابلة للتصديق، فما عليه الا أن يتصور أنهم كانوا نائمين ويحلمون، وأن كل ما وقع من أحداث رائعة، عبارة عن أشياء رأوها أثناء نومهم . وأعتقد أنه لا يوجد أحد من قرائى لا يسعده الاعتراض على حلم لطيف ، لا ضرر فيه، فى منتصف ليلة صيف.

حكاية شتاء

كان ليونتيس ملك سيسلى، وملكته الجميلة الطيبة هرميون، يعيشان فى سعادة بالغة . كان ليونتيس فى منتهى السعادة بحبه لزوجته الرائعة حتى أنه كان يتوق فى أحيان كثيرة لرؤيتها، وأن يتشرف بتقديمها إلى زميل دراسته العزيز بوليكسنس ملك بوهيميا.

كان ليونتيس وبوليكسنس قد تربيا سويا منذ نعومة أظفارهما، لكن بعد وفاة والديهما، كان على كل منهما أن يحكم مملكته . وهكذا لم يتقابلا منذ عدة سنوات، رغم أنهما كانا يتبادلان الهدايا والرسائل والخطابات الودية. وأخيراً، بعد عدة دعوات، حضر بوليكسنس من بوهيميا إلى القصر الملكى فى سيسلى، ليقوم بزيارة صديقه ليونتيس.

فى البداية أسعدت هذه الزيارة ليونتيس، وطلب من مليكته أن تقدم لرفيق شبابه رعاية خاصة ومزيداً من الاهتمام، وبدا له أن سعادته قد اكتملت عندما أصبح مع صديقه العزيز، تحدثا عن الأيام الخوالى، وتذكرا أيام الدراسة، ولعبهما معًا . وحكيا بعضاً من هذه الحكايات لهرميون، التى كانت تشارك بقسط مبهج فى هذه الأحاديث.

بعد فترة إقامة طويلة، وبينما كان بوليكسنس يعد نفسه للرحيل، طلبت منه هرميون، بناء على رغبة زوجها أن يطيل فترة زيارته.

ومنذ تلك اللحظة، بدأت أحزان تلك الملكة الطيبة. فلقد رفض بوليكسنس البقاء عندما طلب منه ليونتيس ذلك، لكن هرميون استطاعت برقة كلماتها أن تقنعه لفترة أخرى، ورغم ثقة ليونتيس الأكيدة فى شرف صديقه بوليكسنس وشخصية مليكته الرائعة الطيبة، فقد تملكته غيرة جامحة . وكان كل تصرف تقوم به هرميون تجاه

بوليكسنس، رغم أنه كان يتم بغرض إسعاد زوجها، يزيد من غيرة الملك التعيس.

وفجأة تحول ليونتيس من صديق حقيقي، وزوج وفي مخلص محب، إلى مخلوق شرس شرير، فأرسل في طلب كاميللو، أحد لوردات بلاطه الملكي، وأخبره بشكوكه تجاه زوجته غير المخلصة. ثم أمره بدس السم لبوليكسنس.

كان كاميللو رجلاً طيبًا، تأكد تماما أنه لا صحة لشكوك ليونتيس، وهكذا، وبدلاً من أن يدس السم لبوليكسنس، أخبره بأوامر سيده، واتفق على الهرب معه من سيسلي . ونجح بوليكسنس، بمساعدة كاميللو في الوصول سالمًا إلى مملكته بوهيميا، ومنذ ذلك الوقت، عاش كاميللو في بلاط الملك، وأصبح الصديق المقرب والمحبب لبوليكسنس.

إلا إن هروب بوليكسنس، جعل غيرة ليونتيس تزداد ضراوة. فذهب إلى غرفة الملكة حيث كان ولدها الصغير ماميليوس قد بدأ لتوه في سرد إحدى حكاياته المفضلة لتسلية أمه . فأبعد الملك الطفل عنها، وأرسل بها إلى السجن.

وبالرغم من أن ماميليوس كان طفلاً صغيرًا جدًا، فقد كان يحب والدته بإعزاز شديد . وعندما رأى والدته تعامل بمثل هذا السلوك المشين جدا، وعلم أنها أبعدت عنه ليرسل بها إلى السجن، أصابه حزن شديد . وبالتدريج فقد رغبته في الطعام والنوم حتى اعتقد الجميع أن حزنه لابد أن يقتله.

عندما أرسل الملك ملكته إلى السجن، أمر اثنين من لورداته وهما "كليومنس" و"ديون" أن يذهبا إلى "دلفي" ليسألا كاهن معبد أبوللو، عما إذا كانت ملكيته مخلصة له أم لا...

بعد أن قضت هرميون فترة قصيرة بالسجن، ولدت بنتا، وشعرت السيدة المسكينة بالراحة عندما نظرت إلى طفلتها الرقيقة، وقالت لها : " يا صغيرتي المسكينة السجينة، يبدو أنك ارتكبت خطأ مماثلاً لما ارتكبته أنا!".

كانت لهرميون صديقة عطوفة نبيلة الروح تدعى بولينا، زوجة أنتيجونس، أحد

لوردات سيسليا. وعندما سمعت بولينا أن الملكة ولدت طفلة، ذهبت إلى السجن حيث توجد هرميون.

وقالت لأميليا، التى تقوم على خدمة هرميون : " أرجو منك يا أميليا، أن تقولى للملكة الطيبة، عما إذا كانت تثق بإعطاء طفلتها لى، لأذهب بها إلى أبيها الملك. ومن يدرى فربما يرق قلبه عندما يرى الطفلة الصغيرة! "

فأجابت أميليا : "يا لك من سيدة نبيلة، سوف أخبر الملكة بهذا العرض. فقد كانت ترغب اليوم فى أى صديق لديه الجرأة لتقديم الطفلة إلى الملك".

فقالت بولينا: " وقولى لها، إننى سأتكلم بشجاعة إلى ليونتيس دفاعًا عنها"

فقالت أميليا: "فلتباركك الآلهة إلى الأبد لعطفك على مليكتنا الرقيقة!".

بعد ذلك ذهبت أميليا إلى الملكة فأعطتها طفلتها وكلها سعادة لتكون فى رعاية بولينا.

أخذت بولينا الطفلة، واقتحمت مجلس الملك، رغم أن زوجها حاول منعها، لأنه كان يخشى غضب الملك. ووضعت الطفلة عند أقدام أبيها، وألقت كلمة شريفة على أسماع الملك دفاعا عن هرميون. ولامته لقسوته، وطلبت منه أن يرحم زوجته البريئة وطفلتها، لكن كلماتها زادت من غضب ليونتيس، فأمر زوجها أنتيجونس أن يأخذها بعيداً.

عندما خرجت بولينا، تركت الطفلة عند أقدام أبيها، اعتقاداً منها، أنه عندما يصبح وحده معها، فقد ينظر إليها ويشفق على براءتها. ولكن بولينا أخطأت. فما إن انصرفت حتى أمر الأب القاسى أنتيجونس بأن يأخذ الطفلة إلى البحر ويتركها عند شاطئ مهجور حتى تموت.

لم يكن أنتيجونس فى مثل طيبة كاميللو، فامتثل لأوامر ليونتيس تمامًا. وأخذ الطفلة فوراً إلى ظهر سفينة وأبحر إلى عرض البحر، وفى نيته أن يترك الطفلة على

أول ساحل مهجور يقابله.

كان الملك متأكدا تماماً من أن هرميون مذنبة، حتى أنه لم ينتظر عودة كليومنس وديون من دلفى، وقبل أن تستعيد الملكة صحتها بسبب ضعفها وحزنها على فقدان طفلتها الغالية، قدمت إلى محاكمة علنية أمام لوردات ونبلاء بلاطه الملكى.

عندما اجتمع اللوردات والقضاة لمحاكمة هرميون وبينما كانت السيدة البائسة تقف كالسجينة، لتلقى عقابها، دخل كليومنس وديون ، وقدما للملك رد كاهن معبد أبوللو.

فأمر ليونتيس بتلاوة كلمات كاهن المعبد بصوت عال.

وكانت تلك هى الكلمات : "هرميون بريئة، ولا لوم على بوليكسنس، وكاميللو خادم أمين، وليونتيس غيور وملك قاس، وسوف يعيش دون وريث، حتى يعثر على الشىء الضائع".

لم يشأ الملك تصديق كلمات كاهن المعبد، وقال إن ذلك كذب دبره أصدقاء الملكة، وطلب من القضاة أن يستمروا فى إجراءات محاكمة الملكة. وبينما كان يتكلم دخل رجل، بطريقة ما، وأخبره بأن الأمير ما ميليوس عندما سمع بأن أمه سيحكم عليها بالموت، فقد صدم حزناً وخزياً، وفجأة مات!

عندما سمعت هرميون بموت ذلك الطفل العزيز الغالى، بسبب حزنه على مصيرها السيئ أغمى عليها، أما ليونتيس وقد امتلأ بالتعاسة من جراء تلك الأنباء، فبدأ يشعر بالعطف على ملكته البائسة، فأمر بولينا أن تأخذها وتساعدها على استعادة صحتها . لكن سرعان ما عادت بولينا وأخبرت الملك بأن هرميون قد ماتت.

عندما سمع ليونتيس بأن الملكة ماتت، شعر بأسى عميق لقسوته البالغة عليها . واعتقد حينذاك بأن معاملته السيئة قد حطمت قلب هرميون، وآمن ببراءتها. كما تيقن أيضاً بأن كلمات كاهن المعبد كانت صادقة . وتيقن كذلك " بأن الشىء الضائع إذا لم

يعثر عليه (والذى تأكد أنه ابنته الصغيرة)، فإنه سيصبح حتمًا بلا وريث للعرش، طالما أن الأمير الصغير ماميليوس قد مات. وهو يود لو يهب مملكته مقابل أن يستعيد ابنته المفقودة. بمثل هذه الأفكار الحزينة قضى ليونتيس العديد من الأعوام . فى حزن وأسى.

أما السفينة التى حمل فيها أنتيجونس الأميرة الطفلة إلى عرض البحر، فقد دفعتها عاصفة إلى شاطئ بوهيميا مملكة الملك الطيب بوليكسنس .وهناك حط أنتيجونس مراسى السفينة، وترك الطفلة الصغيرة. إلا أن أنتيجونس لم يعد إلى سيسلى أبدا ليخبر ليونتيس بالمكان الذى ترك فيه طفلته، إذ بينما كان عائدًا إلى السفينة خرج عليه دب من الغابة ومزقه إربا!

كانت الطفلة فى ملابس فاخرة ومزينة بالحلى، عندما أرسلت بها هرميون إلى والدها ليونتيس لتبدو أمامه فى أحسن صورة . وقام أنتيجونس بتثبيت قطعة من الورق على معطفها كتب عليه اسم برديتا (أى الطفلة الضائعة) وبعض كلمات أخرى، تشير بشكل مباشر إلى نبل مولدها وسوء حظها.

عثر على الطفلة المفقودة أحد رعاة الأغنام، وكان رجلاً طيبًا، فحمل الصغيرة برديتا إلى زوجته التى قامت برعايتها بحنو شديد. ولما كان الراعى رجلاً فقيرًا، فقد هاجر من تلك المنطقة إلى منطقة أخرى، حتى لا يعرف أحد، من أين حصل على تلك الثروة إذ اشترى بجزء من جواهر برديتا قطعانًا من الغنم، وأصبح راعيًا ثريًا . وقام بتربية برديتا على أنها ابنته، ولم تكن هى تعرف شيئا أكثر من أنها أبنة الراعى.

كبرت برديتا الصغيرة، وأصبحت فتاة جميلة، ولم تتلق تعليمًا إلا ما يمكن أن تتلقاه ابنة راع، لكن أصولها النبيلة التى ورثتها عن أمها الملكة، بدت تظهر فى تصرفاتها بشكل كبير، لدرجة أن من لا يعرفها لا يتصور إلا إنها قد ربيت فى قصر أبيها الملكى.

كان لدى بوليسكنس ولد واحد يدعى "فلوريزل" وذات يوم، بينما كان الأمير

الشاب يقوم بالصيد بالقرب من بيت الراعى، رأى تلك الفتاة المفترض أنها ابنة الراعى، وسرعان ما وقع فى حبها لجمالها وتواضعها ومظهرها الملكى. وما لبث أن أخذ يتردد على منطقة بيت الراعى العجوز بصفة مستمرة متخفيا فى ملابس شاب عادى وتحت اسم "دوريسلس".

وبدأ غياب فلوريزل عن القصر يقلق بوليكسنس فأرسل من يراقب ابنه حتى اكتشف حبه لابنة الراعى الجميلة.

عندئذ، أرسل بوليكسنس فى طلب كاميللو وقال له أنه يرغب منه أن يصاحبه لزيارة بيت الراعى .

قام كل من بوليكسنس وكاميللو بتغيير هيئتهما حتى لا يتعرف عليهما أحد، ووصلا إلى البيت، وتصادف أن كان ذلك وقت الاحتفال بأحد الأعياد. وبرغم أنهما غريبان، إلا إن العادة كانت تقضى بدعوة كل ضيف للمشاركة فى الاحتفال. كان كل إنسان سعيداً ومرحاً. الموائد مليئة بألوان الطعام والشراب، فقد أجريت استعدادات كبيرة للاحتفال بالعيد، كما كان هناك بعض الفتيان والفتيات يرقصون فوق العشب أمام البيت.

وبرغم كل مظاهر الاحتفال هذه، كان فلوريزل وبرديتا، يجلسان فى هدوء بأحد الأركان، مستمتعين للغاية بما يدور بينهما من حديث أكثر من ألعاب التسلية واللهو التى تجرى حولهما.

وقام الملك، وهو على ثقة من عدم اكتشاف أمره بالاقتراب منهما لسماع ما يدور بينهما من حوار. ولشد ما أدهشه ذلك الأسلوب البسيط الجميل الذى تتحدث به برديتا إلى ابنه.

فقال لكاميللو : " إنها أرق فتاة رأيتها فى حياتى، رغم أنها من أصل متواضع، فكل ما تفعله أو تقوله يبدو أعظم شأنا من نفسها . إنها نبيلة جداً وهذا المكان غير جدير بها".

ثم التفت الملك إلى الراعى العجوز، وقال: "قل لى، أيها الصديق الطيب، من ذلك

الشاب الذى يتحدث إلى ابنتك؟"

فأجاب الراعى : "إنهم ينادونه دوريسلس، ويقول إنه يحب ابنتى، وحتى أقول الحقيقة، فإنه من الصعب أن أعرف من منهما يحب الآخر أكثر. وإذا استطاع دوريسلس أن يفوز بها، فإنها ستحقق له ما لم يحلم به، وكان يقصد بذلك باقى مجوهرات برديتا، التى حفظها لها بعناية ليوم زفافها" .

بعدها تكلم بوليكسنس إلى ابنه . قال له : " أيها الشاب، يبدو أن قلبك مشغول بشىء يبعد فكرك عن مظاهر الاحتفال بالعيد، عندما كنت شاباً، اعتدت أن يكون حبى مصحوبًا بالهدايا، وأنت لم تشتر أى شىء لفتاتك.

فأجاب الأمير الشاب، ولم يكن يدرى أنه يتكلم مع أبيه. وقال: يا سيدى العزيز، ليست هناك، هدايا جديرة بها، والهدايا التى تتوقعها برديتا منى محفوظة داخل قلبى .؟ ثم استدار فلوريزل إلى برديتا وقال : اصغ إلى يا برديتا .. إنى أقول لك أمام هذا الشيخ المهذب، مهما يكن أمره، أنه كان ذات مرة عاشقًا. وطلب فلوريزل من ذلك الغريب العجوز أن يكون شاهداً على وعده بالزواج من برديتا الذى كان قد قرره، لكنه عندما قال ذلك، كشف الملك عن شخصيته لابنه، وألقى اللوم على ابنه لإقدامه على الزواج من تلك الفتاة المتواضعة الأصل. وأطلق على برديتا صفات غير مهذبة، وهدد بأنه، لو أنها سمحت لابنه أن يراها مرة ثانية، فسوف يقدم على قتلها هى وأبيها الراعى شر قتلة! عندئذ غادر الملك المكان وهو فى شدة الغضب، وأمر كاميللو أن يتبعه هو والأمير فلوريزل.

بعدما رحل الملك، ثارت طبيعة برديتا الملكية، بسبب كلمات بليكسنس القاسية، وقالت: "برغم أن آمالنا قد تحطمت الآن، فإننى لم أكن خائفة . فلقد كنت على وشك الرد عليه مرة أو مرتين، لأقول له إن نفس الشمس التى تشرق على قصره، تشرق أيضا على بيتنا! ثم أضافت وكلها أسى : لكننى استيقظت الآن من ذلك الحلم، لم يعد هناك أمل فى أن أصبح ملكة، أتركنى يا سيدى، فسأذهب إلى أغنامى وأبكى.

إلا إن كاميللو الطيب القلب وقد أسره سلوك برديتا . اكتشف أيضا أن الأمير

الشاب غارق تماماً فى حبها، ولا يمكن أن يتخلى عنها لمجرد أوامر والده الملكية. لذلك فكر فى مساعدتهما، وفى نفس الوقت يقوم بتنفيذ خطة محكمة طرأت على ذهنه.

كان كاميللو على علم تام منذ فترة طويلة. بأن ليونتيس، ملك سيسلى، كان حزينا بصدق لكل ما بدر منه من أفعال، وبرغم أن كاميللو قد أصبح الآن الصديق المقرب إلى الملك بوليكسنس، إلا إنه لم يستطع مقاومة رغبته فى رؤية مليكه السابق ووطنه مرة ثانية. لذلك اقترح على فلوريزل وبرديتا أن يذهبا معه إلى القصر الملكى فى سيسلى، ووعدهما بحماية ليونتيس لهما، حتى يستطيع بمساعدته، أن يحصلا على العفو من بوليكسنس، وموافقته على زواجهما.

وافق الاثنان بابتهاج على هذا الاقتراح، وسمح كاميللو للراعى العجوز أن يذهب معهم، فأخذ معه باقى مجوهرات برديتا، وكذلك ملابس طفولتها والورقة التى وجدها مثبتة على معطفها.

بعد رحلة ناجحة، وصل فلوريزل وبرديتا وكاميللو والراعى العجوز، بسلام إلى قصر ليونتيس، واستقبلهم الملك، الذى كان ما يزال حزينا لوفاة هرميون وفقدانه لطفلته، بمودة بالغة، وخص الأمير فلوريزل بترحيب حار، لكن ما لفت انتباه الملك هو برديتا عندما قدمها فلوريزل على أنها أميرته. اكتشف أنها تشبه ملكته المتوفاة هرميون، وقال إن ابنته كان من الممكن أن تصبح فتاة بمثل جمالها لو أنه لم يكن قد حطمها بهذه القسوة.

قال الملك لفلوريزل : "هذا بالإضافة إلى أننى فقدت صحبة وصداقة والدك، الذى أتوق إلى رؤيته ثانية، أكثر من أى شىء آخر، فى حياتى".

عندما سمع الراعى العجوز كيف أن برديتا قد لفتت نظر الملك بشكل واضح، وكيف أنه فقد ابنته عندما كانت طفلة، بدأ يقارن بين الوقت الذى عُثر فيه على برديتا، وبين الطريقة التى تركت بها حتى تموت . وكذلك الجواهر والعلامات التى تدل على رفعة مولدها. من خلال كل ذلك، كان من غير الممكن إلا أن يفكر بأن برديتا وابنة الملك المفقودة، هما نفس الشخص.

كان الجميع موجودين، فلوريزل وبرديتا وكاميللو والمخلصة بولينا، عندما أخبر

الراعى العجوز الملك بالمكان الذى وجد فيه الطفلة الصغيرة، وكيف رأى أنتيجونس وهو يموت. وعرض عليه المعطف، الذى تذكرت بولينا أن هرميون دثرت به الطفلة. وأخرج جوهرة تذكرت بولينا أن هرميون علقتها فى رقبة الطفلة، وناوله الورقة حيث تعرفت بولينا على خط زوجها . ولم يعد هناك شك فى أن برديتا هى ابنة ليونتيس.

عندما عرفت بولينا ذلك، تمزقت بين الأحساس بالأسى لموت زوجها، وبين الفرحة بعودة ابنة الملك المفقودة. عندما أدرك ليونتيس أن برديتا هى ابنته، فإن الحزن العظيم الذى استشعره لأن هرميون ليست على قيد الحياة لتراها جعله لا يستطيع أن ينطق بأى شىء لفترة طويلة، فيما عدا أنه قال: أوه، أمك، أمك!!.

وفى الحال أخبرت بولينا ليونتيس أن لديها تمثالا لهرميون يشبهها تماماً. ولو أنه ذهب معها إلى بيتها وتطلع إليه، فسوف يصدق بأنها هرميون نفسها. وذهب الجميع معه. كان الملك قلقا لرؤية تمثال زوجته هرميون، فى حين كانت برديتا تتوق شوقا لرؤية ما كانت عليه أمها.

عندما أزاحت بولينا الستار الذى يخفى التمثال الشهير، بدا تماماً مثل هرميون، لدرجة أن أحزان الملك عاودته عند رؤيته للتمثال وظل لفترة طويلة غير قادر على الكلام أو الحركة.

فقالت بولينا : "يعجبنى صمتك، يا مولاى، فإنه يظهر دهشتك أكثر، ألا يشبه هذا التمثال الملكة إلى حد كبير ؟ ".

أخيراً تكلم الملك : "أوه، هكذا كانت تقف عندما أحببتها فى البداية . لكن، يا بولينا، إن هرميون لم تكن بمثل هذا الكبر فى السن، الذى يبدو عليه التمثال" .

فأجابت بولينا، أن الذى قام بصنع التمثال من أمهر المثالين، لأنه جعل هرميون تبدو فى السن المفروض أن تكون عليه الآن، دعنى الآن أسدل الستار، يا سيدى، إذ ربما تتصور أنه يتحرك.

عندئذ قال الملك : " لا تسدلى الستار. ليتنى كنت ميتًا! أنظر يا كاميللو، ألا تعتقد أنه يتنفس؟ وتبدو عيناها وكأنهما تتحركان."

قالت بولينا : " يجب أن أسدل الستار يا مولاى .. وإلا سوف تقنع نفسك بأن التمثال حى! ".

فقال ليونتيس : "آه. أيتها الرقيقة بولينا .. لقد جعلتنى أتذكر عشرين عامًا مضت عندما كنا سويًا، مازلت أعتقد أنها تتنفس . ما ذلك الشىء الذى يستطيع أن يوقف النفس؟ .. لا تسخروا منى، لأننى سوف أقبلها ! ".

قالت بولينا : " أوه توقف، يا مولاى، فإن صبغة شفتيها الحمراء مازالت طرية، ولسوف تلطخ شفتيك بمجرد دهان زيتى، أأسدل الستار الآن ؟ !"

فقال ليونتس: " كلا، من أجل عشرين عاما مضت !. "

طوال ذلك الوقت كانت برديتا راكعة على ركبتيها تتطلع إلى تمثال أمها فى سكون وإعجاب.

وفى تلك اللحظة قالت : " باستطاعتى أن أبقى هنا إلى ما شاء الله، أتطلع إلى أمى العزيزة! "

فقالت بولينا إلى ليونتيس : " إما أن أسدل الستار، وإما أن تعد نفسك لمفاجأة أكبر. فباستطاعتى أن أجعل التمثال يتحرك من مكانه ويمسك بيدك. لكنك ستعتقد بأننى أستعين بقوى شيطانية، وأنا لست كذلك " .

فقال ليونتيس : "أنا على استعداد لأن أسمع ما بإمكانك أن تجعليها تفعل، لأنه من السهل أن تجعليها تتكلم، تماما مثلما تتحرك ! ".

عند ذلك أمرت بولينا بعزف موسيقى هادئة ولدهشة الجميع، تحرك التمثال، وأحاط عنق ليونتس بذراعيه، ثم بدأ التمثال يتكلم، طالبًا الرحمة لزوجها، ولطفلتها برديتا التى تم العثور عليها.

لم تكن مفاجأة بالطبع أن التمثال أحاط ليونتيس بذراعيه، داعيا للزوج والطفلة، لأن التمثال لم يكن فى الحقيقة إلا الملكة الحقيقية الحية!!

فلقد أخبرت بولينا الملك كذبا أن هرميون قد ماتت، لأنها تصورت أن هذه هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياتها، ومنذ ذلك الحين، عاشت هرميون مع بولينا الطيبة، ولم تشأ أبدًا أن يعرف ليونتيس أنها على قيد الحياة حتى سمعت أن برديتا قد عثر عليها، ورغم أنها غفرت له الخطأ الذى ارتكبه فى حقها، إلا أنها لم تستطع أن تغفر له قسوته على طفلته الصغيرة .

لم يستطع ليونتيس إزاء عودة الملكة إلى الحياة والعثور على ابنته، أن يتحمل فرط سعادته العظيمة . وفى كل الأنحاء لم تكن تسمع إلا التهانى والكلمات الحلوة. وقدم الوالدان السعيدان الشكر للأمير فلوريزل للحب الذى أبداه لابنتهما عندما بدت من أسرة متواضعة الأصل. وقدما وافر الامتنان للراعى العجوز لقيامه برعاية ابنتهما . وأبدى كاميللو وبولينا كل سعادتهما لأنهما قد عاشا ليريا مثل هذه النهاية السعيدة، نتيجة لخدماتها المخلصة.

وكأنه لم يعد هناك شىء ينقص ذلك الفرح الغريب وغير المتوقع إلا دخول الملك بوليكسنس إلى القصر فى تلك اللحظة. فعندما افتقد بوليكسنس ابنه فى البداية وكذلك كاميللو، اعتقد أن كاميللو ربما يكون قد عاد إلى سيسلى، فتبعه بسرعة على قدر ما يستطيع ووصل بالصدفة فى تلك اللحظة، أسعد لحظة فى حياة ليونتيس.

أنضم بوليكسنس إلى ذلك الفرح الشامل وسامح صديقه ليونتيس لغيرته التى لم تكن فى موضعها، وعاد الحب بينهما ثانية بكل حرارة صداقتهما السابقة، وفى تلك اللحظة بالطبع . كان على استعداد للموافقة على زواج ابنه من برديتا ملكة سيسلى القادمة.

وهكذا وصلت معاناة هرميون الطويلة إلى نهايتها . وعاشت تلك السيدة الرائعة لمدة سنوات طويلة مع ليونتيس وبرديتا، كأسعد أم، وكأسعد ملكة!

جعجعة بلا طحن

فى قصر بمسينا كانت تعيش فتاتان، هيرو وبياتريس، الأولى ابنة ليوناتو حاكم مسينا، والثانية ابنة أخيه.

كانت بياتريس فتاة مرحة، ويروق لها أن تداعب ابنة عمها، التى كانت جادة جدا فى حديثها، ومهما كان يقع من أحداث، فإن بياتريس المرحة كانت تتلقاها ببساطة وتجعل الأمر مثيرا للضحك.

فى ذلك الوقت حضر لزيارة ليوناتو بعض الشبان من ذوى الرتب العالية فى الجيش... كان من ضمنهم دون بيردو، أمير أراجون، وصديقته كلوديو، لورد فلورنسا، وجاء معهم بينديك الذكى الشجاع، لورد بادوا.

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يحضر فيها هؤلاء الغرباء إلى مسينا. وقدمهم الحاكم لابنته، وابنة أخيه باعتبارهم أصدقاء أعزاء.

وفى اللحظة التى دخل فيها بينيدك إلى القاعة، أخذ يتحدث فى مرح إلى ليوناتو والأمير. أما بياتريس، التى لم تكن تحب أن تترك وحيدة دون متحدث فقد انقضت على بينيدك قائلة : " أنا مندهشة تماما، يا سيد بينيدك لأنك تتحدث بصفة دائمة، ولا أحد يصغى إليك".

وكان بينيدك متحدثًا لبقًا مثل بياتريس تمامًا، لكنه لم يرتح إلى ذلك الحديث الجرىء. فاعتقد أنها لم تتلق تربية حسنة، لتطلق لسانها هكذا، وتذكر أنه عندما كان فى مسينا فى المرة الأخيرة، اختارته بياتريس بالذات ليكون موضع سخريتها. ولما كان لا يوجد شخص مهما كان صغير الشأن، يود أن يكون محل سخرية الآخرين وضحكهم، إلا إن الوضع كان على هذا الحال بين بينيدك وبياتريس.

ولم يكن يلتقى هذان الاثنان، إلا وكانت تنشب بينهما حرب كاملة من الكلمات الحادة المتبادلة، ودائما ما كانا يفترقان وكل منهما، غاضب من الآخر . لذا فإن بياتريس عندما قاطعته فى منتصف كلامه بقولها إن لا أحد يصغى إلى ما يقول، فإن بينيدك تظاهر بعدم رؤيتها من قبل، وقال: " ماذا ! أهو أنت أيتها المتكبرة... هل مازالت على قيد الحياة ؟ " . وسرعان ما لبثت الحرب أن اشتعلت بينهما مرة ثانية. ورغم أن بياتريس تعلم أنه أظهر شجاعة كبيرة فى الحرب الأخيرة، إلا إنها قالت إنه بإمكانها أن تأكل كل من قتلهم فى الحرب، ولما رأت الأمير مسروراً بحديث بنيديك أطلقت عليه اسم (مهرج الأمير) .

آلمته هذه الكلمات الجارحة بشدة، أكثر من أى كلام قالته بياتريس من قبل . فليس هناك شيء يخشاه هؤلاء المرحون، أكثر من اتهامهم بأنهم مهرجون، ذلك لأن هذه التهمة قد تصدق أحيانا ولو بشكل بسيط، لذا فإن بينيدك غضب من بياتريس، عندما أطلقت عليه، اسم " مهرج الأمير".

أما هيرو فقد ظلت صامتة أمام الضيوف النبلاء، على حين كان كلوديو يتفرس بعناية فى جمالها المتزايد، ورشاقة أصابعها، (لأنها كانت فتاة ساحرة) .. وكان الأمير يصغى بسرور إلى الحوار بين بينيدك وبياتريس، وقال فى همس إلى ليوناتو : " أنها فتاة خفيفة الظل ومرحة. من الممكن أن تكون خير زوجة لبينيدك. ورد ليوناتو على ذلك بقوله : " أوه، يا سيدى اللورد، يا سيدى اللورد، لو تزوجا لمدة أسبوع فقط، فلابد أن يصاب كلاهما بالجنون ". ورغم أن ليوناتو كان يعتقد بأنهما سيكونان زوجين مشاكسين إلا إن الأمير لم يستطع مقاومة فكرة الجمع بينهما.

عندما عاد الأمير بصحبة كلوديو من القصر، اكتشف أن الزواج الذى خطط له بين بياتريس وبينيدك، لم يكن الزواج الوحيد الذى جرى التفكير فيه هناك . ذلك أن كلوديو تحدث بدوره عن هيرو، ليشعر الأمير بما يدور فى وجدانه، ولما كان الأمير يحبه فقد قال لكلوديو : " هل تفكر فى هيرو؟ " .. وعلى هذا السؤال أجاب كلوديو : " أوه، يا سيدى اللورد، عندما كنت فى مسينا المرة السابقة، احتلت مكاناً فى قلبى، لكن

لم يكن لدى الوقت لأعبر لها عن حبى، أما الآن وقد حل السلام، ولم يعد ذهنى مشغولا بالحرب، بل أصبح صافيا وتراودنى أفكار مفرحة، تدل كلها على إخلاص هيرو، وتذكرنى باننى أحببتها قبل أن أذهب إلى الحرب " . وحركت كلمات كلوديو مشاعر الأمير، فلم يضيع وقتا، وذهب يطلب موافقة ليوناتو على قبول كلوديو زوجًا لابنته. ووافق ليوناتو على هذا الطلب. ولم يجد الأمير صعوبة فى إقناع هيرو الرقيقة، بأن تلتقى بالنبيل كلوديو وتستمع إليه، فهو لورد وصاحب مواهب عظيمة. وحكيم وماهر. ونجح كلوديو بمساعدة الأمير، فى إقناع ليوناتو بتحديد موعد زفافه إلى هيرو فى أقرب فرصة.

وكان على كلوديو أن ينتظر عدة أيام قبل أن يتم زفافه إلى فتاته المخلصة، لكنه كان يشكو من مرور الوقت ببطء شديد. لذلك فإن الأمير اقترح تمضية للوقت. وكنوع من التسلية أن يفكروا فى خطة محكمة، لجعل بينيدك وبياتريس يقعان فى حب بعضهما وشارك كلوديو بسرور عظيم فى هذه الفكرة الغريبة التى دبرها الأمير، كما وعد ليوناتو بمعاونتهم، حتى هيرو أبدت رغبتها فى فعل أى شىء يساعد ابنة عمها فى الحصول على زوج مناسب.

كانت خطة الأمير، أن يقوم الرجال بجعل بينيدك يصدق أن بياتريس تحبه، وتقوم هيرو بجعل بياتريس تصدق أن بينيدك يحبها.

بدأ الأمير وكلوديو وليوناتو، العمل أولاً . وانتهزوا فرصة جلوس بينيدك يقرأ بهدوء فى الحديقة، فاتخذ الأمير ومساعدوه مكانهم بين الأشجار، بالقرب من بينيدك حتى يكون فى إمكانه سماع كل ما يقولونه.. وبعد حوار عادى بينهم قال الأمير: " تعال هنا، ياليوناتو. أصحيح ما قلته لى ذلك اليوم - من أن ابنة أخيك تحب بينيدك؟ أنا لا أعتقد أن هذه الفتاة يمكن أن تقع فى حب أحد على الإطلاق".

فأجاب ليوناتو : " ولا أنا كذلك، يا سيدى اللورد، لكنه شىء رائع أن تقع فى حب بينيدك، على حين أن كل تصرفاتها الظاهرية تشير إلى أنها تكرهه". عندئذ قال كلوديو بأن هيرو قد أخبرته بأن بياتريس تحب بينيدك حبًا شديداً، وسوف تموت

بالتأكيد من الحزن، إذا لم ينتبه بينيدك لحبها له، الأمر الذى اتفق كل من ليوناتو وكلوديو على استحالة حدوثه، ذلك أنه يتخذ موقفا ضد كل النساء، وبياتريس بصفة خاصة.

وتظاهر الأمير بسماع ذلك كله بنوع من الإشفاق على بياتريس، وقال " اعتقد أنه من الأفضل لو أن بينيدك أحيط علما بذلك".

فقال كلوديو : " لماذا ؟ كل ما سيفعله هو أن ينفجر فى الضحك، ويتمادى أكثر فى مضايقة الفتاة المسكينة".

فقال الأمير : " لو فعل ذلك، فستكون فرصة طيبة لشنقه، فإن بياتريس فتاة ممتازة ولطيفة، وعاقلة جداً فى كل تصرفاتها فيما عدا حبها لبينيدك" .

ثم قام الأمير بإعطاء إشارة إلى رفاقه، لكى ينصرفوا، ويتركوا بينيدك ليفكر فيما قد سمعه.

كان بينيدك يستمع بشغف كبير إلى ذلك الحديث، فقال لنفسه عندما سمع أن بياتريس تحبه، " هل هذا ممكن ؟ هل تهب الريح على هذا النحو ؟ ".

عندما انصرفوا بدأ يناقش الأمر مع نفسه على هذا النحو : " لا يمكن أن يكون ذلك الأمر خدعة! لأنهم كانوا يتناقشون بمنتهى الجدية، كما أنهم عرفوا الحقيقة من هيرو، التى يبدو أنها تتعاطف معها. تحبنى ! لماذا، ينبغى أن تعود إلى وعيها !.. فأنا لا أفكر فى الزواج على الإطلاق . وأنا عندما أقسمت أن أموت دون زواج، لم أفكر فى الحياة لكى أتزوج. يقولون إنها فتاة فاضلة ومخلصة. وهى كذلك بالفعل. وعاقلة فى كل تصرفاتها فيما عدا حبها لى. لماذا، مع أن هذا ليس برهانًا كبيرًا على حماقتها . لكن ها هى بياتريس قادمة. أقسم، إنها فتاة مخلصة. وأستطيع أن أرى بعض أمارات الحب عليها.

واقتربت بياتريس منه، وقالت له بنفس حدتها المعتادة : " لقد جئت إليك على غير إرادتى، لدعوتك إلى الغداء"..

أما بينيدك، الذى لم يكن يتصور أبداً أنه سيتحدث إليها بطريقة مهذبة، رد عليها قائلاً: "بياتريس العزيزة، أشكر لك تعبك" . وانصرفت بياتريس، بعد أن ردت عليه ببعض الكلمات القاسية، لكن بينيدك اكتشفت أن هناك مغزى خفيا يكمن وراء كلماتها القاسية التى نطقت بها، وقال بصوت عال : " أنا إذا لم أتعاطف معها، فسأكون رجلاً سيئًا . إذا لم أحبها، فأنا رجل سيئ، سأذهب وأحصل على صورتها "...

وهكذا وقع هذا الرجل فى الفخ الذى نصبوه له، وحل الآن دور هيرو لتقوم بدورها مع بياتريس . فأرسلت فى استدعاء وصيفتها أرسولا ومارجريت لمعاونتها فى هذا الأمر، فقالت لمارجريت : " اسمعى يا مارجريت، اذهبى إلى حجرة الاستقبال، وهناك ستجدين ابنة عمى بياتريس تتحدث مع الأمير وكلوديو . اهمسى فى أذنها بأننى أنا وأرسولا نتمشى فى الحديقة، وأن حديثنا ينصب عليها . قولى لها أن تأتى إلى الحديقة لكى تسمع ما نقول ".

فقالت مارجريت : " سأجعلها تأتى حالاً، أعدك بذلك ".

أخذت هيرو أرسولا وذهبتا إلى الحديقة وقالت لها : " والآن، يا أرسولا .. عندما تأتى بياتريس، سوف نتمشى ذهابًا وإيابًا. فى ذلك الممر، وسيقتصر حديثنا على بينيدك، وعندما أذكر اسمه، هنا يأتى دورك للثناء عليه أكثر من أى رجل . وحديثى إليك سيكون عن مدى الحب الذى يكنه بينيدك لبياتريس. والآن لنبدأ وسوف تكون بياتريس مثل الطائر الخجول، الذى يطير بمحاذاة الأرض، لتستمع إلى حديثنا".

وبدأتا : فقالت هيرو وكأنها تجيب على سؤال لأرسولا: " كلا.. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً يا أرسولا. فهى معتدة جدا بنفسها، كما أنها خجولة جداً مثل الطائر البرى الذى يعيش بين الصخور".

فقالت أرسولا : "لكن هل أنت متأكدة من أن بينيدك يحب بياتريس حبًا جمًا".

فأجابت هيرو : "هكذا يقول الأمير، ولورد كلوديو، وطلبوا منى أن أخبرهم بذلك، لكننى أقنعتهم، إذا كانوا يحبون بينيدك، فلا داعى أن تعلم بياتريس بذلك مطلقا.

فقالت أرسولا : "بالتأكيد، فليس من المفيد أن تعلم بحبه، لأنها ستسخر منه".

فقالت هيرو : "لماذا، فأنا لم أر فى حياتى رجلا يفوقه حكمة ونبلاً وشبابًا وجمالاً، فلماذا تسخر منه؟ " .

فقالت أرسولا : "بالتأكيد، فليس من المفيد إطلاق مثل هذه الأحكام القاسية".

فأجابت هيرو : "كلا، لكن من يجرؤ على إخبارها بذلك؟ لو تحدثت إليها بذلك، لملأت الجو ضحكًا على".

فقالت أرسولا : أوه! أنت تدينين ابنة عمك فإنها لن تكون كذلك، دون أن يكون لديها مبرر عادل لرفض رجل مثل بينيدك".

فقالت هيرو : " فعلا، فهو صاحب سمعة جيدة، ويتوقع له كلوديو أن يكون الرجل الأول فى إيطاليا".

بعد ذلك أخبرتها هيرو، أنها ستتزوج كلوديو غدًا، وطلبت منها أن تذهب معها لمعاينة بعض الملابس الجديدة، لتعرف رأيها فيما ينبغى أن تلبس.

أما بياتريس التى كانت تصغى باهتمام شديد لهذا الحديث، فقد قالت لنفسها بصوت عال عندما انصرفت الفتاتان : " ما هذه النار التى تسرى فى أذنى؟ هل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا؟ بينيدك، يحب! سوف أجازيك، لأنك تحاول أن تهدهد قلبى النافر بين يديك المحبتين".

ولاشك أنه سيكون مشهدًا سارًا عندما نرى هذين العدوين وقد تحولا إلى صديقين محبين، يعقدان أول لقاء بينهما بعد أن خدعا بحب كل منهما للآخر من خلال تلك الخطة المرحة. ولكن حدث شىء محزن عكر صفو وسعادة هيرو ينبغى علينا أن نتعرف عليه. ففى اليوم التالى الذى كان من المفروض أن يكون يوم زفافها، جاءت تلك الأنباء المحزنة التى حملت الأسى لقلب هيرو ووالدها الطيب ليوناتو.

كان للأمير أخ غير شقيق، عاد معه أيام الحرب إلى سينا. كان اسم هذا الأخ (دون جون)، ويتصف بالغضب، وعدم القناعة وتميل نفسه دائمًا إلى التخطيط لعمل

الشر. كان يكره أخاه الأمير، وكذلك كلوديو لأنه صديق الأمير، فعزم على منع زواج كلوديو من هيرو، وذلك إرضاء لنزعة الشر الكامنة فى نفسه فقط، ولتعكير صفو الأمير وكلوديو، لأنه كان يعلم أن الأمير يهتم كثيراً بأمر هذا الزواج أكثر من كلوديو نفسه... ولتحقيق هذا الغرض الشرير استعان بشخص سئ اسمه بوراشيو، ووعده بمكافأة كبيرة. وكان بوراشيو هذا قد تقرب من مارجريت صديقة هيرو. فما أن علم دون جون بذلك، حتى أقنع بوراشيو بأن يجعل مارجريت تحادثه من نافذة هيرو تلك الليلة بعد أن تنام هيرو، على أن ترتدى ملابس هيرو، حتى يجعل كلوديو يعتقد أنها هيرو. لأن هذه هى النهاية التى كان يهدف إلى تحقيقها من خلال خطته الشريرة.

بعد ذلك ذهب دون جون إلى الأمير وكلوديو، وأخبرهم أن هيرو فتاة مستهترة وتتحدث إلى الشبان من النافذة فى منتصف الليل.. كانت هذه الليلة، هى الليلة السابقة على ليلة الزفاف.. وعرض عليهم أن يأخذهم هذه الليلة، لكى يروا ويسمعوا بأنفسهم هيرو وهى تتحدث مع رجل من خلال النافذة، وقرروا الذهاب معه فى الحال.

وقال كلوديو : "لو أننى رأيت شيئا هذه الليلة، فلن يمنع ذلك من حفل الزواج، وغداً فى الحفل، وأمام الجميع حيث من المفروض أن يلتئم شملنا، فى هذه اللحظة أقوم بتوبيخها".

وقال الأمير كذلك : "وأنا سوف أساعدك لتنال منها، وأشاركك فى توبيخها".

عندما أحضرهما دون جون بالقرب من نافذة هيرو فى تلك الليلة، رأوا بوراشيو يقف تحت النافذة، ورأوا مارجريت تطل من نافذة هيرو، وسمعوها تتحدث إلى بوراشيو. كانت مارجريت ترتدى نفس الملابس التى شاهدوا هيرو ترتديها، فصدق الأمير وكلوديو أنها هيرو نفسها..!

ولم يكن هناك شيء يعادل غضب كلوديو عندما تحقق من ذلك (كما تصور) وتحول كل الحب الذى يكنه لهيرو الطيبة، فوراً، إلى كراهية، وقرر أن يفضح أمرها فى الكنيسة، كما كان قد قرر من قبل... ووافق الأمير على ذلك، وهو يتصور أنه لا يوجد عقاب أقسى، من ذلك لهذه الفتاة السيئة، التى تكلمت مع رجل من نافذتها فى

الليلة السابقة على زفافها إلى النبيل كلوديو.

تقابل الجميع فى اليوم التالى بالكنيسة لإتمام الزواج، وكان كلوديو وهيرو واقفين أمام القسيس، الذى كان على وشك تلاوة الشعائر الأخيرة ليصبحا زوجين.. فى هذه اللحظة، أعلن كلوديو فى لهجة غاضبة، الإثم الذى ارتكبته هيرو، وإزاء الدهشة التى أصابت الجميع، وأصابتها كذلك بسبب كلماته الغريبة التى يقولها.

قالت بهدوء : "هل سيدى اللورد على ما يرام، حتى يتكلم على هذا النحو؟ ".

أما ليوناتو وقد أصابه ذعر شديد، فقد قال للأمير : "لماذا، لا تتكلم أيها الأمير؟ "

فقال الأمير : "وماذا أستطيع أن أقول ؟ فأنا أقف وكلى خجل. لأننى حاولت التوفيق بين صديقى العزيز، وبين فتاة غير جديرة به. اسمع يا ليوناتو، أقسم بشرفى، وشرف أخى، وذلك المسكين كلوديو، فلقد رأيناها فى منتصف الليلة الماضية تتحدث مع رجل من نافذتها".

أما بينيدك، الذى وقف مندهشا مما يسمع فقد قال: "لا يبدو ذلك وكأنه زواج ".

فأجابت هيرو المنكسرة القلب : "هذا صحيح، آه يا الهى!".. وبعد ذلك سقطت الأميرة المسكينة مغشيا عليها، وبدا للجميع وكأنها ماتت.

غادر الأمير وكلوديو الكنيسة، دون أن ينتظر حتى تعود هيرو إلى وعيها، أو تقديرا لذلك الموقف المؤسف الذى وضعا فيه ليوناتو. ذلك أن الغضب أعمى بصيرتهما..

لكن بينيدك بقى، وساعد بياتريس فى إفاقة هيرو من إغماءتها، قائلاً : "كيف حال الفتاة؟".

فأجابت بياتريس بحزن شديد : "ميتة على ما أظن".

كانت بياتريس تحب هيرو كثيراً، وتعلم مدى طيبتها، كما أنها لم تصدق شيئا مما قيل ضدها.

أما والدها المسكين فلم يكن مثلها! فلقد صدق القصة المخجلة عن ابنته، وكان الوضع يدعو للرثاء عندما سمع يبكى عليها، وهى ممددة أمامه كالميتة، وقد تخيل أنها لن تفتح عينيها مرة أخرى على الإطلاق...

ولما كان القسيس العجوز رجلاً حكيماً، ويعرف الكثير عن طبيعة النفس البشرية، فقد أخذ يراقب وجه الفتاة عندما سمعت الاتهام الموجه إليها ولاحظ حمرة الإحساس بالعار على وجهها، بعدها اكتسى وجهها بمسحة ملائكية بيضاء ورأى فى عينها نوراً يكذب ما قاله الأمير عنها. فقال للوالد الحزين : " فلأكن رجلاً أحمق، وجاهلاً بمعرفة الرجال، ولا تثق فى علمى أو سنى أو خبرتى أو اسمى، إن لم يكن هذا الادعاء على هذه الفتاة المسكينة، ادعاء باطلاً!"..

وعندما أفاقت هيرو من الإغماءة التى انتابتها.

قال لها القسيس : "يا بنيتى، من هو الرجل الذى يتهمونك به؟".

فأجابت هيرو : " إنهم يتهموننى بأننى أعرف شخصاً، وأنا لا أعرف شيئًا على الإطلاق". ثم التفتت إلى أبيها قائلة : " آه يا أبى، إذا استطعت أن تثبت أن أى رجل تحدث معى على الإطلاق فى وقت غير مناسب، أو أننى تبادلت أية كلمة الليلة الماضية مع أى مخلوق، يكون لك الحق فى طردى، وكراهيتى، وتعذيبى حتى الموت".

قال القسيس : " هناك بعض من سوء الفهم الغريب بالنسبة للأمير وكلوديو . ونصح ليوناتو، أن يعلن بأن هيرو قد ماتت، وينبغى عليه أن يرتدى ملابس الحداد، ويبنى لها مقبرة، ويقوم بكل مراسم الجنازة.

فقال ليوناتو : "وما الفائدة التى تعود علىَّ من كل هذا، ماذا سيفيد ذلك؟".

فأجاب القسيس : " إن إعلان وفاتها هذا سوف يحول كل الأفكار السيئة عن الفتاة، إلى إحساس بالتعاطف معها، وفى هذا بعض الفائدة.. لكنها ليست كل الفائدة التى آمل فيها ... وعندما يسمع كلوديو أنها ماتت بسبب كلماته التى سمعتها، سوف

تتسلل إلى ذهنه فى هدوء ولطف فكرة حياتها . عندئذ سينتابه الحزن والأسى، ويتمنى لو لم يكن قد وجه إليها الاتهام بهذا الشكل، أجل، رغم أنه يعتقد أنه كان على حق فى اتهامها".

عندئذ قال بينيدك : ليوناتو، فلتأخذ بنصيحة القسيس، على الرغم من أنك تعلم مدى حبى للأمير وكلوديو، فإننى وأقسم بشرفى، لن أخبرهما بهذا السر".

اقتنع ليوناتو، واستسلم لهذه النصيحة . وقال وهو فى منتهى الأسى : " كم أنا حزين لما حدث" وأخذ القسيس الطيب هيرو وليوناتو إلى الخارج ليستريحا، وبقيت بياتريس وبينيدك وحدهما . وهكذا تم اللقاء الذى خطط له الأصدقاء، وتوقعوا أن يكون لقاء فكها يثير الكثير من الضحك. هؤلاء الأصدقاء الذين هدهم الحزن الآن، ولم تعد عقولهم تسمح بالتفكير فى الضحك والمرح مرة أخرى على الإطلاق..

كان بينيدك هو المتكلم أولاً، فقال : " هل كنت تبكين طوال هذه المدة يا بياتريس ؟ " .

فقالت بياتريس : " وسأظل أبكى لفترة طويلة "..

فقال بينيدك : " أنا متأكد تماماً، أن ابنة عمك قد اتهمت خطأ".

فقالت بياتريس : "آه ! ما القدر الذى يستحقه ذلك الرجل مكافأة منى، لكى يبرئ ساحتها!".

فقال بينيدك : "هل تسمحين لى بأن أعرض خدماتى ؟ فأنا لم أحب شيئا فى العالم، قدر حبى لك، أليس هذا شيئًا غريبًا؟".

فقالت بياتريس : "قد يكون من الممكن بالنسبة لى أن أقول بأننى لم أحب شيئا فى العالم مثلما قلت أنت، لكن أرجو ألا تصدقنى، كما أننى لا أكذب. فأنا لا أستطيع أن أقرر شيئًا، ولا أستطيع أن أنكر شيئًا . فأنا حزينة من أجل ابنة عمى".

فقال بينيدك : "بحق سيفى، أنت تحبيننى، وأنا أقسم إننى أحبك.. هيا، اطلبى منى أى شىء أفعله من أجلك".

فقالت بياتريس : " اقتل كلوديو" .

فقال بينيدك : "ها ! لا أستطيع حتى لو أعطونى العالم كله مقابل ذلك" . لأنه كان يحب صديقه كلوديو، ويعتقد أنه خُدع.

فقالت بياتريس : "أليس كلوديو ذلك الرجل الشرير الذى اتهم ابنة عمى زوراً، ولوث سمعتها وشرفها ؟ آه، لو أننى كنت رجلاً!" .

فقال بينيدك : "اصغى إلى، يا بياتريس"

لكن بياتريس لم تكن ترغب فى سماع أى شىء من دفاعه عن كلوديو، واستمرت فى النقاش مع بينيدك من أجل تصحيح موقف ابنة عمها التى اتهمت زوراً، وقالت: "هيرو الحلوة! تتهم بالتحدث مع رجل من النافذة. هذه البنت اللطيفة ! لقد اتهمت زورا، لم ترتكب ذلك. آه لو أننى كنت رجلاً، فقط من أجل كلوديو! أو إذا كان لى صديق يثبت رجولته من أجلى! لكن الشجاعة ذابت خلال كلمات لطيفة. وأنا لا أستطيع أن أكون رجلا بمجرد تمنى ذلك، ولذا فسوف أموت وأنا امرأة هدها الحزن" .

فقالت بينيدك : " انتظرى يا بياتريس الطيبة، وحق يدى هذه، أنا أحبك" .

فقالت بياتريس : " استخدمها من أجل حبى فى شأن آخر بدلاً من أن تقسم به" .

فسألها بينيدك : "هل تعتقدين من داخل أعماقك أن كلوديو هو الذى اتهم هيرو؟"

فأجابت بياتريس : أجل، كما أنا متأكدة من أن لى عقلاً وروحًا" .

فقال بينيدك : "كفى، لقد اقتنعت، وسوف أطلب منه أن يبارزنى، سأُقبل يدك، وأنصرف. وبواسطة هذه اليد سوف يسدد لى كلوديو حسابًا غاليًا! وكما تسمعين منى، أرجو كذلك أن تفكرى فى، اذهبى وطمئنى ابنة عمك" .

وبينما كانت بياتريس تناقش بينيدك بعنف، وتثير شجاعته بكلماتها المشحونة بالغضب، ليساعدها من أجل هيرو، ويتقاتل حتى مع أعز أصدقائه كلوديو، كان ليوناتو يوجه الدعوة للأمير وكلوديو للمبارزة، للاتهام الزور الذى ألحق بابنته العزيزة، والذى قال، أنها ماتت حزنًا وكمداً . لكن احترامًا لسنه وحزنه قال له : " كلا، لا

تتقاتل معنا، أيها الطيب العجوز" فى هذه اللحظة وصل بينيدك وطلب منهما أن يقبلا الدعوة لمبارزته لما ألحقاه بهيرو من اتهام.. فقال الأمير وكلوديو لبعضهما، " لقد حرضته بياتريس ليقوم بذلك".

فى تلك اللحظة شاءت عدالة السماء أن تقدم برهانا يثبت نقاء هيرو، أفضل من ذلك القتال غير المضمون النتائج".

فبينما كان الأمير وكلوديو يتحدثان مع بينيدك، إذا ببوراشيو يحضر أمام الأمير مقبوضا عليه. فلقد سمع يتحدث إلى أحد أصدقائه عن الفعلة السيئة التى قام بها مدفوعًا من قبل دون جون.

قدم بوراشيو تقريرًا كاملاً للأمير بما حدث على مسمع من كلوديو، وهو أن مارجريت ارتدت ملابس هيرو وتحدثت إليه من النافذة، وظنوا هم خطأ أنها السيدة هيرو نفسها، وهكذا لم يعد هناك أدنى شك لدى كلوديو والأمير فى طهارة وبراءة هيرو. وما أن علم دون جوان أن فعلته الحقيرة قد أُكتشفت حتى فر هاربًا من مسينا، خوفًا من غضب أخيه.

أحس كلوديو بالأسى العميق داخل قلبه عندما اكتشف أنه اتهم هيرو زورا، ولومتها (كما اعتقد) بسبب سماعها لكلماته القاسية ... وطافت بخياله ذكرى صورة حبيبته الجميلة، وقال إنه أحس كما لو أنه تناول سمًّا عندما كان بوراشيو يتكلم.

لذلك فقد طلب كلوديو العفو من العجوز ليوناتو بسبب الخطأ الجسيم الذى ارتكبه فى حق ابنته، ووعد بأنه مهما وقع عليه ليوناتو من عقاب بسبب غلطته لأنه صدق هذا الاتهام الكاذب ضد من كانت ستصبح زوجته، فأنه على استعداد لتحمل هذا العقاب من أجل خاطرها.

كان العقاب الذى وقعه عليه ليوناتو، هو أن يتزوج فى الصباح التالى ابنة عم هيرو، والذى قال عنها، أنها وارثته الوحيدة. كما أنها تشبه هيرو إلى حد كبير، واحتراما للعهد الذى قطعه كلوديو على نفسه لليوناتو، قال إنه على استعداد ليتزوج هذه التى لا يعرفها، حتى ولو كانت فقيرة . لكن قلبه كان حزينًا جداً، وقضى ليلته باكيا بمرارة عند الشاهد الحجرى للقبر الذى شيده ليوناتو لهيرو.

عندما طلع النهار، ذهب الأمير وكلوديو إلى الكنيسة. حيث كان هناك القسيس الطيب وليوناتو وابنة أخيه، والتقوا جميعا لإتمام الزواج. وقدم ليوناتو إلى كلوديو عروسه الموعودة التى كان وجهها مغطى وبالتالى لم يتعرف عليها.

وقال لها كلوديو : " أعطنى يدك أمام هذا القسيس، فأنا زوجك إذا قبلت أن تتزوجيننى".

فقالت له وهى ترفع الغطاء عن وجهها : "وعندما كنت على قيد الحياة، كنت زوجتك الأخرى" . واتضح أنها ليست ابنة العم (كما تظاهرت) وإنما هى هيرو بذاتها، ابنة ليوناتو..!

ولنا أن نتأكد بطبيعة الحال أن هذه كانت أكبر مفاجأة سارة لكلوديو، الذى اعتقد أنها ماتت، وكان من فرط سعادته لايكاد يصدق عينيه. أما الأمير الذى أصابته نفس الدهشة مما رأى، فقد صاح قائلاً : "أليست هذه هيرو، التى ماتت؟ ".

فأجاب ليوناتو : "لقد كانت ميتة فقط، يا سيدى اللورد، طالما كان هذا الاتهام ضدها حيًا".

ووعد القسيس بشرح هذه المعجزة بعد إنهاء مراسم الزواج، وما أن شرع فى ذلك، حتى اندفع بينيدك طالبًا منه أن يزوجه فى نفس الوقت من بياتريس... فى البداية اعترضت بياتريس على هذا الارتباط، لكن بينيدك قال إنها لا تستطيع أن تنكر حبها له، الذى علم به من هيرو، عندئذ انكشفت أبعاد اللعبة المرحة، واكتشف الاثنان أنهما خدعا فى مسألة حبهما لبعض، هذا الحب الذى لم يكن ليستمر، لكنهما فى الحقيقة كانا قد أحبا بعضهما بسبب تلك الخدعة المرحة، لأن الحب قد نما بينهما بقوة، ولم يكن ليهتز بسبب هذا الكشف الخطير. ورفض بينيدك أن يقف فى سبيل زواجه أى عائق فى العالم، وتقبل فى بساطة تلك الخدعة المرحة، وأقسم لبياتريس أنه تقبلها شفقة بها، لأنه سمع أنها تموت حبا فيه . وقالت بياتريس إنها قبلت ذلك فقط، لاقتناعها الكامل، بأنها تنقذ حياته، لأنها سمعت أنه مريض جداً بسبب حبه لها..!

وهكذا أصبح هذان اللماحان المرحان صديقين، وتزوجا أيضاً، بعد أن تم زواج كلوديو وهيرو. وحتى نختتم القصة، فإن دون جون قبض عليه أثناء هربه، وأحضر إلى مسينا، وكان أنسب عقاب لهذا الرجل الشرير الأسود القلب، أن يرى الأفراح والزينات، بعد فشل خطته الشريرة فى تعويق هذا الزواج، تقام فى قصر مسينا.

كما تهواه

منذ زمان بعيد، كان هناك دوق يحكم مقاطعة فى فرنسا، بعد أن قام بطرد أخيه الأكبر، الحاكم الشرعى..

اتجه الدوق المطرود مع بعض رفاقه المخلصين إلى غابة أردن، ومن ثم عاش معهم .. وقد تركوا الوطن بمحض إرادتهم من أجل خاطره، تاركين ممتلكاتهم وثراوتهم تعود بخيرها إلى ذلك الأخ غير الشرعى، وكانت الحياة الحرة البسيطة المنطلقة التى كانوا يمارسونها فى الغابة أحلى بكثير من تلك الحياة الفخمة المنعمة التى كانوا يعيشونها فى قصورهم... فلقد كانوا يعيشون فى الغابة مثل المغامر الإنجليزى روبن هود، وكان يأتى إليه فى الغابة الكثير من النبلاء الشبان يوميًا من المدينة، يمضون وقتهم فى حرية تامة، مثل أولئك الذين عاشوا فى العصر الذهبى القديم، منذ زمن بعيد ... وفى الصيف كانوا يرقدون تحت ظلال أشجار الغابة الوارفة الكبيرة، يراقبون لعب الأيائل البرية، ومن فرط إعجابهم بتلك الحيوانات اللطيفة، امتنعوا عن صيدها لأكلها..

عندما كانت رياح الشتاء تشتد، ويشعر الدوق بمدى الحالة التى وصل إليها من شظف الحياة كان يتحمل ذلك ويقول : "إن هذه الرياح الباردة التى تهب على جسدى، ما هى إلا بمثابة أصدقاء حقيقيين لى، لأنها تدلنى على حالتى الحقيقية.. ورغم أنها تعضنى بشدة، إلا إن أسنانها لا تعد شيئًا بالنسبة لأسنان هؤلاء القساة من البشر الناكرين للجميل"..

بهذا المنطق كان الدوق يخرج بدروس مستفادة من كل شىء يراه. فكان يتخيل أن الشجر يتحدث إليه، والكتب فى مجارى المياه، والمواعظ فى الأحجار، وكل ما هو مفيد فى كل شىء .

كان للدوق المعزول ابنة وحيدة، تسمى روزالند، احتفظ بها الدوق غير الشرعي (عمها)، في القصر لتكون رفيقة لابنته سيليا.. ونمت بين الفتاتين صداقة قوية، لم تؤثر فيها الخلافات بين أبويهما.. وحاولت سيليا بكل ما لديها من عطف وحنان أن تعوض روزالند عما لحق بوالدها من ظلم، وعندما كانت تجتاحها ذكريات ما حل بأبيها وتبدو حزينة، سرعان ما كانت سيليا تبذل ما في وسعها للتخفيف عنها وإعادة البهجة والراحة إليها.

وذات يوم، عندما كانت سيليا تتحدث مع روزالند حديثها المعتاد، وصلت رسالة من الدوق، تفيد بأن هناك مباراة للمصارعة على وشك البدء، وإذا كانتا ترغبان في مشاهدتها، فينبغي عليهما الحضور فوراً إلى ساحة القصر، فوافقت سيليا، اعتقادا منها أن ذلك قد يسلي روزالندا..

كانت المصارعة في تلك الأيام رياضة محببة للجميع حتى في ساحات قصور الأمراء، وكانت تجرى مبارياتها أمام الفتيات والأميرات. لذلك ذهبت سيليا وروزالندا لمشاهدة المباراة، ووجدتا أنها فرصة لمشاهدة بعض المشاهد العنيفة جداً، خاصة لأنه سيتبارى فيها رجل قوى جداً، متمرس من هذا القبيل، مع شاب صغير جداً، كان من الواضح أنه سيقتل بالتأكيد.

عندما رأى الدوق كلاً من سيليا وروزالند، قال: " ماذا؟.. ابنتي وابنة أخي، حضرتا لمشاهدة المصارعة؟ .. لن تستمتعا بها إلى حد كبير، فالرجلان غير متكافئين. وأود لو أجعل هذا الشاب الصغير يتراجع عن تلك المباراة، إشفاقًا عليه.. تحدثا إليه، وحاولا أن تقنعاه بذلك..

سعدت الفتاتان لذلك . في البداية طلبت سيليا من ذلك الشاب الغريب أن يتخلى عن محاولته، ثم تحدثت إليه روزالند برقة متناهية، طالبة منه ألا يتخلى عن قصده، بل وينبغي عليه أن يفكر في إمكانية إثبات شجاعته أمام عيون هؤلاء السيدات..

فقال لها : "أنا لا أستطيع أن أرفض طلبًا لهؤلاء السيدات الجميلات. لكن فلتكن عيناك الجميلتان ومشاعرك الرقيقة خير سند لي في محاولتي.. فإذا هزمت، فلن أكون

سعيدا أبداً، وإذا قتلت، فهذا ما أتمناه .. لأننى لن أسبب أى ضرر لأصدقائى، فليس لى أصدقاء يبكون على.. كما أننى لن أسبب أى ضرر للعالم. لأننى لا أملك فيه شيئًا.. وأنا أحتل مكانًا فى هذا العالم قد يكون من الأفضل لو احتله إنسان آخر عندما أتركه خاليًا".

بدأت مباراة المصارعة.. وتمنت سيليا ألا يصاب الشاب الغريب بأى أذى، على حين تمنت له روزالند المزيد من التوفيق. واكتشفت أنه مثلها، سيئ الحظ، وأشفقت عليه كثيراً، وأبدت اهتمامًا كبيراً بمغامرته الخطرة أثناء المصارعة، حتى أوشكت أن تشعر بأنها قد وقعت فى حبه تماماً.

كان هذا الاهتمام الذى أبدته هاتان الفتاتان تجاه الشاب المجهول، قد أمده بالمزيد من الشجاعة والقوة، حتى أنه صنع الأعاجيب .. وفى النهاية هزم غريمه هزيمة منكرة، لدرجة أن غريمه ظل فترة لا يستطيع فيها الكلام أو الحركة.

سرَّ الدوق فردريك كثيراً بالشجاعة والمهارة الفائقة التى أبداها هذا الشاب الغريب، ورغب فى أن يعرف اسمه وعائلته، قاصدا بذلك أن يشمله برعايته.. قال الغريب أن اسمه أورلاندو، وأنه الابن الأصغر للسير رولاند دى بويز..

كان سير رولاندى بويز، والد أورلاندو، قد مات منذ عدة أعوام، وعندما كان حيًّا، كان ذا منزلة كبيرة وصديقًا حميمًا للدوق السابق. لذا، عندما سمع فردريك أن أورلاندو هو ابن صديق أخيه، تحول كل إعجابه بذلك الشاب الشجاع إلى بغض، وترك المكان فى غضب، كارها أن يسمع حتى اسم صديق أخيه وبالرغم من أنه مازال معجبًا بشجاعة الشاب، إلا إنه قال وهو خارج: "إنه كان يتمنى لو أن أورلاندو كان ابنا لأى رجل آخر.!"

سعدت روزالندا لسماعها أن الشخص الذى نال إعجابها، هو ابن الصديق العزيز لوالدها، وقالت لسيليا : " كان أبى يحب السير رولاند دى بويز، ولو أننى كنت أعرف أن هذا الشاب ابنه، لما كنت رجوته فقط، بل كنت توسلت إليه باكية قبل أن يجازف بنفسه"..

توجهت الفتاتان إليه، وقد شعرتا كم آذته الكلمات المفاجئة الغاضبة التى قالها الدوق، فطيبا خاطره بكلمات رقيقة. وعندما كانتا منصرفتين، عادت إليه روزالند لتتكلم ثانية مع الابن الشجاع لصديق والدها العزيز. وخلعت سلسلة من على رقبتها، وقالت: سيدى، خذ هذه السلسلة، هدية منى.. وكم كنت أود أن أعطيك هدية أكثر قيمة من ذلك!.

عندما أصبحت الفتاتان وحدهما، كان لا يزال حديث روزالند منصبًا على أورلاندو.. وبدأت سيليا تكتشف أن ابنة عمها قد وقعت فى حبه، فقالت لروزالند : "أمن الممكن أن تقعى فى الحب هكذا فجأة؟ "..

فأجابت روزالند : " إن والدى الدوق، كان يحب والده كثيراً".

فقالت سيليا : "لكن، هل يستوجب ذلك أن تحبى ابنة بهذا الشكل؟ لأنه طبقًا لذلك، ينبغى على أن أكرهه، لأن والدى كان يكره والده، هذا بالرغم من أننى لا أكره أورلاندو"..

لقد أثارت مشاهدة ابن سير رولاند دى بويز، غضب فردريك، لأنها ذكرته بالكثير من الأصدقاء الذين آزروا الدوق المخلوع.. وفى كثير من الأحيان كان يغضب من ابنة أخيه، لأن الكثير من الناس كان يمتدحون أخلاقها، ويشفقون عليها من أجل والدها الطيب.. وحدث أن انفجر فيها فجأة، فبينما كانت سيليا وروزالندا تتحدثان عن أولارندو، دخل إلى الغرفة، وبنظرة مليئة بالغضب أمر روزالند أن تغادر القصر فوراً لتلحق بأبيها؟ وحاولت سيليا عبثًا التوسل لها، فقال لها إنه كان قد سمح لروزالند بالبقاء فقط من أجلها...

فقالت سيليا : "أنا لم أطلب منك وقتها أن تبقيها، لأننى كنت صغيرة جداً آنذاك حتى أعرف قدرها، أما الآن فأنا أعلم أنها تستحق التقدير والاحترام.. فطالما نمنا واستيقظنا سوياً فى نفس اللحظة، وتعلمنا ولعبنا وأكلنا معا أنا لا أستطيع العيش بدونها!"..

فأجاب فردريك : "إنها أذكى منك كثيراً، فهى تجعل الناس تتعاطف معها.. أنت حمقاء لأنك تتوسلى من أجلها، وسوف تظهرين بعد رحيلها بمظهر أكثر اشراقًا ونبلاً، لذلك لا تفتحى فمك بكلمة من أجلها، لأن القرار الذى أصدرته بصددها لا يمكن تغييره"..

عندما وجدت سيليا أنها لم تستطع التأثير على أبيها ليجعل روزالندا تبقى معها، قررت أن تذهب معها، فتركت قصر أبيها فى تلك الليلة، وذهبت مع صديقتها، للحاق بأبيها، الدوق الشرعى، فى غابة آردن.

قبل أن تهرب الفتاتان، اكتشفت سيليا، أنه ليس من المفيد لفتاتين أن تسافرا فى مثل هذه الملابس الفخمة التى ترتديانها، واقترحت أن ترتديا ملابس فتيات الريف.. فقالت روزالند إنه سيكون من الأفضل إذا ارتدت واحدة منهما ملابس الرجال، وسرعان ما اتفقتا على ذلك، وارتدت ملابس شاب قروى، وارتدت سيليا ملابس فتاة قروية، وادعيا أنهما أخ وأخته .. وأطلقت روزالندا على نفسها اسم جانى ميد، واختارت سيليا لنفسها اسم ألينا..!!

وفى هذه الملابس، بدأت الأميرتان رحلتهما الطويلة، قاصدتين غابة آردن التى تقع على مسافة بعيدة من حدود الدوقية.

يبدو أن الفتاة روزالند (أو جانى ميد كما ينبغى أن نطلق عليها الآن) لم ترتد ملابس الرجال فقط بل واكتسبت شجاعتهم. وأبدت سيليا إخلاصها وتفانيها من أجل صديقتها بالسير معها العديد من الأميال المنهكة، مما جعل وجه روزالند، يبدو مشرقا، كما لو كانت حقيقة شاباً قروياً اسمه جانى ميد، وفد من الجنوب برفقة أخته الرقيقة ألينا..!

عندما وصلتا أخيراً إلى غابة آردن.. لم تكن هناك مثل تلك الفنادق الصغيرة التى كانتا ترتاحان فيها طوال الطريق.. بل كانتا فى حاجة إلى الطعام والراحة.. وفى هذه اللحظة قال جانى ميد- الذى كان يسلى أخته بكلامه الحلو طوال الطريق- إنه مجهد تماماً، لدرجة أنه يخجل من ملابس الرجال ويريد أن يولول مثل المرأة . وأعلنت

ألينا أنها لا تستطيع أن تتقدم أكثر من ذلك، وحاول جانى ميد أن يتذكر أن من مهام الرجل أن يعمل على راحة المرأة وسعادتها، فقال لها: "تعالى،واطمئنى. يا أختى ألينا، فنحن فى نهاية رحلتنا، بوصولنا إلى غابة آردن".

لكن ادعاء مثل هذه الشجاعة لم يعد يدعم موقفهما .. وبالرغم من أنهما كانتا فى غابة أردن، فلم يتيسر لهما السبيل للوصول إلى مكان الدوق.. وربما كان هذا السفر المجهد لهاتين الفتاتين لن يؤدى إلا إلى نتيجة محزنة، إذ من المحتمل أن تفقدا نفسيهما وتموتان جوعًا، لكن لحسن الحظ وبينما هما جالستان على العشب منهكتين وفاقدتين لأى أمل أو مساعدة، مر رجل قروى من هذا المكان، وتحدث إليه جانى ميد وهو يحاول التحدث بلهجة رجالية خشنة، قائلاً: " أيها الراعى، هل فى مقدور الحب أو النقود أن تأتى لنا بطعام ومأوى، فى هذا المكان المنعزل؟ أرجوك أن تأخذنا إلى حيث نستطيع أن نستريح، لأن هذه الفتاة، أختى، متعبة من السفر، ويكاد يغمى عليها، من شدة الجوع...

فأجاب الرجل، بأنه ليس سوى خادم لأحد الرعاة، وأن منزل سيده على وشك أن يبا ع، ولذلك لن يجداه إلا مأوى فقيرًا. لكن إذا ذهبا معه، فسوف يستقبلان بالترحيب على أى حال .. وتبعا الرجل واستعادا قوتهما لمجرد التفكير فى الراحة التى سيلقيانها، وقاما بشراء البيت والغنم من الرعى، واستبقيا الرجل الذى قادهما ليعمل فى خدمتهما، وما أن حصلا على هذا الكوخ اللطيف، والطعام الوفير، حتى اتفقتا على الإقامة فيه، لحين التوصل إلى معرفة المكان الذى يعيش فيه الدوق فى الغابة..

بعد أن استراحتا من عناء الرحلة، استراحتا أيضا إلى أسلوب حياتهما الجديد، وتخيلتا نفسيهما راعيًا وزوجته.. إلا إن ذلك لم يجعل جانى ميد ينسى أنه ليس إلا روزالند التى أحبت أورلاندو الشجاع حبا جما، لأنه ابن سير رولاند صديق والدها. وعلى حين كان جانى ميد، يعتقد أن أورلاندو بعيد عنه بمسافة كبيرة، إلا أنه كان موجوداً فى غابة آردن أيضًا، كما ستكشف لنا الأحداث القادمة..

كان أورلاندو هو الابن الأصغر للسير رولاند دى بويز، الذى تركه عندما مات (وكان صغير السن) فى رعاية أخيه الأكبر أوليفر، وناشده بأن يوفر له قدراً جيداً من التعليم ويضمن له تربية تليق بعائلتهم العريقة.

كان أوليفر أخًا سيئًا، فلم يرسل أخاه أبداً إلى أية مدرسة، بل أبقاه فى البيت دون تعليم أو رعاية . وكان أولاندو بطبيعته يشبه أباه، فبالرغم من عدم تعليمه كان يبدو وكأنه تلقى تعليمًا جيداً، ونظرا لكراهية أوليفر له، فكر أخيرًا فى التخلص منه بقتله . ولتنفيذ ذلك دفع بعض الناس لإقناعه بمصارعة مصارع شهير، سبق أن أودى بحياة كثير من الرجال، فقبل بسبب معاملة أخيه القاسية له، الأمر الذى جعل أورلاندو يقول إنه يرغب فى الموت، لأنه ليس له أصدقاء فى هذا العالم.

عندما طرح أورلاندو المصارع أرضًا بدلاً من أن يكون مقتولاً على يده، أقسم أوليفر بأن يحرق الغرفة التى ينام فيها أورلاندو . لكنه أحيط علما بهذه الفعلة الشنعاء، من خلال أحد الخدم العجائز المخلصين لأبيه. وكان يحب أورلاندو لأنه يشبه سير رولاند.. فأسرع هذا الرجل العجوز بمقابلته عند عودته من قصر الدوق بعد المصارعة، وبمجرد أن رآه صاح محذراً من الخطر الذى سيحيق بسيده العزيز قائلاً: " آه، يا سيدى العزيز، يا سيدى الرقيق، يا من تذكرنى بالسير رولاند العزيز ! ليتك لم تكن فاضلاً! ليتك لم تكن مهذبًا، ولا قويًا ولا شجاعًا، ليتك لم تكن من الحماقة حتى تنتصر على ذلك المصارع الشهير؟ إن الثناء عليك قد وصل سريعًا إلى البيت، قبل أن تصل أنت".

تحير أورلاندر فيما يعنى ذلك . فسأله ما الموضوع، فأخبره الرجل العجوز، كيف أن أخاه الشرير، ما أن سمع بالشهرة التى حققها بالانتصار الذى قام به فى قصر الدوق، حتى عزم على قتله، بإشعال النار فى حجرة نومه هذه الليلة، ونبهه إلى ضرورة الهرب فوراً.

ولما كان آدم (وهذا هو اسمه) يعلم أن أورلاندو لا يملك نقوداً، أحضر معه حقيبة مدخراته الصغيرة. وقال: " لدىّ خمسمائة جنيه، ادخرتها أثناء خدمتى لوالدك، كنت

سأستعين بها على حياتى، عندما لا يقوى جسدى على الخدمة، خذها، ولعل الله الذى يطعم الغربان فى سمائه، يكون رحيمًا بى فى شيخوختى!.. ها هو الذهب، كله لك، ودعنى أصبح خادمك .. ورغم أننى رجل عجوز، فسأقوم بخدمتك كشاب، فى كل ما تحتاجه من أمور"..

فقال أورلاندو : "أوه، أيها الرجل الطيب! كم تبدو فيك ملامح الأصالة والإخلاص لأيام زمان.. أنت لست من أبناء اليوم. سنمضى سويًا، وقبل أن نصرف مدخرات شبابك، سأجد وسيلة ما تعيننا على الحياة".

ورحلا سويا، الخادم المخلص، وسيده المحبوب، وظل أورلاندو وآدم مسافرين، لا يعرفان إلى أى مكان هما ذاهبان، حتى وصلا إلى غابة آردن، وهناك وجدا نفسيهما يعانيان من الحاجة إلى الطعام، كما حدث مع جانى ميد وألينا، وأخذا يتجولان حتى كادا يموتان من الجوع والتعب..

وأخيرا قال آدم : "يا سيدى العزيز، أكاد أموت جوعًا ولا أستطيع أن أتحرك أبعد من ذلك". ثم تمدد على الأرض، وفكر بأن هذا المكان قبر له، وشرع يودع سيده العزيز.. وتلك الحالة من سيده العزيز.. وما أن رأى أورلاندو تلك الحالة من الضعف التى وصل إليها، حتى حمل خادمه بين ذراعيه، وسار به حتى أرقده فى مكان تظلله شجرة وارفة الظلال.

وقال له : "لا تيأس، أيها العزيز آدم، أرح جسدك المنهك لفترة، ولا تتحدث عن الموت"..

وبدأ أورلاندو فى البحث عن طعام، وحدث أن وصل إلى تلك المنطقة من الغابة التى يعيش فيها الدوق المعزول، حيث كان هو وأصدقاؤه على وشك أن يتناولوا غداءهم، وهم جلوس على العشب، تحت ظل شجرة وارفة..

استل أورلاندو الذى جعله الجوع نصف مجنون، سيفه بقصد الاستيلاء على طعامهم بالقوة، قائلاً: "كفوا عن الأكل، ينبغى أن آخذ طعامكم!" فسأله الدوق، أهناك

سبب ما يجعله بهذه الشراسة، أم أنك إنسان سيئ الخلق بطبيعته ولا يعرف آداب السلوك؟ .. فقال له أورلاندو إنه يكاد يموت من الجوع، فقال له الدوق إنه يرحب به ودعاه ليجلس معهم لتناول الطعام.. وما أن سمعه أورلاندو يتحدث بهذه الطريقة المهذبة، حتى وضع سيفه، واحمر وجهه خجلاً للطريقة الوقحة التى تكلم بها.

وقال أورلاندو : "أرجو أن تغفر لى، فلقد اعتقدت أن كل الأمور هنا تجرى بطريقة وحشية، لذلك بدوت فى هذه الحالة الشرسة.. وأعتقد أنكم لا يمكن أن تكونوا إلا أناسًا عايشتم أيام العز والنعيم، وعشتم حيث تدق أجراس الكنائس، ذرفتم الدموع من عيونكم وعرفتم معنى الرحمة والإشفاق، أفلا تسدون إلى معروفًا بعد كلامى هذا؟!" .

فأجاب الدوق : " أننا فعلاً (كما تقول) عايشنا تلك الأيام الطيبة" ورغم أننا نعيش الآن فى هذه الغابة، إلا إننا عشنا فى المدن الكبيرة، وسمعنا أجراس الكنائس المقدسة وهى تدق، وجلسنا إلى ولائم الناس الطيبين، وذرفنا الدموع من أعيننا شفقة ومشاركة، لذلك أجلس وتناول من طعامنا ما تشاء"..

فأجاب أورلاندو: " هناك رجل عجوز مسكين، سار معى لمسافة طويلة منهكة بدافع من المحبة الخالصة لى، وهو يرزح تحت وطأة الجوع، ولا ينبغى على أن آكل لقمة قبل أن يأكل هو!"..

فقال الدوق : "اذهب إليه، وأحضره إلى هنا، ولن نتناول طعاما حتى تعود"..
فأسرع أو لاندو بالعدو مثل الغزال الذى يبحث عن صغيره، ليعطيه الطعام، وسرعان ما عاد يحمله على ذراعيه.

فقال الدوق : "أرح الرجل، ومرحبا بكما أنتما الاثنين" أطعموا الرجل العجوز وأدخلوا البهجة على قلبه، إلى أن يسترد صحته وقوته ثانية"..

تساءل الدوق عمن يكون أورلاندو، فلما اكتشف أنه ابن صديقه العزيز، سير رونالد دى بويز، شمله برعايته، وعاش أورلاندو وخادمه العجوز مع الدوق فى الغابة..

وكان أورلاندو قد وصل إلى الغابة بعد عدة أيام من وصول جانى ميد وألينا إليها، وشرائهما كوخ الراعى (كما ذكرنا سابقًا).

اندهش جانى ميد وألينا كثيرًا لاكتشافهما وجود اسم روزالندا محفورًا على جذوع الأشجار، التى كتبت عليها أشعار حب، موجهة كلها إلى روزالند . وخلال دهشتهما من كيفية حدوث ذلك، قابلا أورلاندو، وشاهدا السلسلة التى أهدتها له روزالند معلقة فى رقبته..

لم يستطع أولارندو أن يعرف أن جانى ميد هو نفسه الأميرة روزالند، التى استطاعت أن تستولى على قلبه بنبلها وعطفها ومودتها، حتى أنه كان يمضى كل وقته فى حفر اسمها على جذوع الأشجار، وكتابة الأشعار ثناء على جمالها.. وأسعده كثيرًا مظهر هذا الراعى الشاب، فبدأ يتحدث إليه، واكتشف أن هناك شبها بين جانى ميد وبين حبيبته روزالند، لكنه لا يتسم بشىء من السلوك الرقيق لتلك الفتاة النبيلة .. ولأن جانى ميد كان يتصرف بأسلوب الشباب المراهق، فقد تحدث بشىء من المرح مع أورلاندو عن عاشق ما والذى على حد قوله : " يعيش فى غابتنا، ويفسد أشجارها بحفر اسم روزالند عليها، ويكتب أبياتًا من الشعر على الشجيرات الصغيرة، وكلها تمتدح روزالندا .. ولو أننى أستطيع أن أجد ذلك العاشق، لكنت أهدى إليه نصيحة طيبة، تخلصه من ذلك العشق فورًا".

فقال أورلاندو : "إنه ذلك العاشق الأحمق الذى تحدث عنه" وطلب منه النصيحة التى تحدث عنها.. كانت النصيحة التى أعطاها له، أن يأتى إلى الكوخ الذى يعيش فيه مع أخته ألينا، كل يوم.

وقال له جانى ميد : "سأتظاهر حينذاك، بأننى روزالندا، وتتظاهر أنت بمغازلتى على أننى روزالندا.. وسوف أقوم أنا بتقليد تلك التصرفات الغريبة التى تقوم بها السيدات تجاه محبيهم. حتى أجعلك تخجل من حبك، بهذه الطريقة أعتقد أنك ستشفى من هذا الحب".

ورغم أن أورلاندو لم يكن يثق فى هذا العلاج، لكنه وافق على أن يذهب كل يوم إلى كوخ جانى ميد. وينفذ كل ما قاله، فكان يأتى كل يوم لزيارة جانى ميد وألينا، وينادى الراعى باسم روزالند، ويتبادلان الكلمات الحلوة الرقيقة... وكان من الواضح أن جانى ميد لم يحرز أى تقدم فى معالجة أورلاندو من حبه لروزالند..

وعلى الرغم من أن أورلاندو كان يعلم بأن ذلك كله مجرد لعبة (إذ لم يكن يتصور أن يكون جانى ميد نفسه هو حبيبته روزالند) فإن ذلك كان يسعده كما كان يسعد جانى ميد أيضا. (فى سرها) لأن كلمات الحب تلك كانت توجه إلى الشخص المطلوب.

ومرت عدة أيام على هذا النحو السعيد، كانت ألينا الطيبة تلاحظ فيها سعادة جانى ميد، فتتركه يسعد بذلك، ولم تشأ أن تذكره بأن الفتاة روزالند لم تعثر بعد على مكان أبيها الدوق.. وذات يوم قابل جانى ميد الدوق، وتجاذب معه أطراف الحديث وسأله الدوق عن عائلته . فأجابه ميد بأنه ينحدر من أسرة طيبة كأسرته. وهذا ما جعل الدوق يبتسم لأنه لم يتخيل أن يكون ذلك الراعى الظريف ينحدر من أسرة ذات دماء ملكية.. وعندما رأى جانى ميد أن الدوق فى حالة طيبة من البهجة والسعادة، قرر أن يفضى إليه بحكايته، بعد ذلك بعدة أيام...

ذات صباح، عندما كان أورلاندو ذاهبًا لرؤية جانى ميد، رأى رجلاً مستغرقًا فى النوم على الأرض، وبالقرب من رقبته حية كبيرة خضراء تتلوى.. وما أن رأت الحية أورلاندو يقترب حتى هربت بهدوء داخل الشجيرات. واقترب أولاندو أكثر فوجد لبوة تمد رأسها على الأرض، مثل القطة وهى فى حالة ترقب، تنتظر الرجل النائم حتى يستيقظ، (إذ يقال إن الأُسود لا تهاجم فريسة ميتة أو نائمة) . وعندما تطلع أورلاندو إلى وجه الرجل النائم، اكتشف أنه أخوه أوليفر، الذى عامله بقسوة شديدة، وسيطرت عليه رغبة فى أن يتركه فريسة للبؤة الجائعة. لكن رابطة الأخوة كانت أقوى من غضبه على أخيه، فاستل سيفه وهاجم اللبؤة وقتلها. وهكذا أنقذ حياة أخيه من سم الحية ومن اللبؤة المفترسة، لكنه قبل أن يتمكن من قتلها، كانت قد مزقت إحدى ذراعيه بمخالبها الحادة..

وبينما كان أورلاندو يقاتل اللبؤة، استيقظ أوليفر، ورأى أورلاندو الذى كان يعامله بقسوة، ينقذه من براثن ذلك الحيوان الشرس مغامراً بحياته من أجله، فانتابه خجل شديد، وأسف على سلوكه السئ، وأخذ يتوسل إلى أخيه بدموع غزيرة أن يغفر له أخطاءه التى ارتكبها فى حقه. وسعد أورلاندو لرؤيته آسفًا على ما بدر منه، وعفا عنه فى الحال... وقبل كل منهما الآخر، ومنذ تلك اللحظة أحب أوليفر أخاه حبًا أخويًا صادقًا، رغم أنه كان قد حضر إلى الغابة ليقتله..!

أخذ جرح ذراع أورلاندو ينزف بشدة، لدرجة أنه وجد نفسه لا يقوى على زيارة جانى ميد، فطلب من أخيه أن يذهب إليه ويخبره بالحادثة التى وقعت له.

ذهب أوليفر وأخبر جانى ميد وألينا،كيف أن أورلاندو قد أنقذ حياته. وعندما انتهى من رواية قصة شجاعة أورلاندو، وقصة هروبه، اعترف لهما بأنه أخو أورلاندو القاسى، ثم أخبرهما بالوفاق الجديد الذى تم بينهما...

أثرت اللهجة الآسفة الحزينة الصادقة التى كان يتكلم بها أوليفر عن أفعاله الخاطئة، فى قلب ألينا، حتى أنها وقعت فى حبه على الفور، وما أن رأى أوليفر مقدار تعاطفها معها، حتى وقع فى حبها هو الآخر فجأة. عندما سمع جانى ميد بالخطر الذى وقع فيه أورلاندو وأنه قد جرح، أغمى عليه، وعندما استعاد وعيه، ادعى أنه كان يتظاهر فقط بالإغماء، لكن أوليفر اكتشف من شحوب وجهه، أنه كان مغمى عليه بالفعل، واندهش كثيراً لضعف هذا الشاب.. وقال له : " حسنًا، لو أنك كنت تتظاهر، فليكن لك قلب جيد، وتظاهر بأنك رجل".

فأجاب جانى ميد فى صدق : "لقد أغمى على فعلا، وينبغى أن أكون امرأة!"..

وأطال أوليفر فى زيارته جداً، وعندما عاد إلى أخيه أخيراً، كان لديه الكثير من الأخبار ليقولها له. أخبره عن إغماء جانى ميد عند سماعه أن أورلاندو قد جرح، وكيف أنه وقع فى حب أخته ألينا، وأنها قد أخذت تصغى إليه بكل عطف وحنان منذ اللحظة الأولى للقائهما. وتكلم مع أخيه كما لو أنه يقرر أمراً واقعاً، بأنه سوف يتزوج ألينا، قائلاً، بأنه يحبها جداً، حتى أنه يرغب فى العيش هنا بوصفه راعياً. ويتنازل عن أرضه وبيته لأورلاندو..

قال أورلاندو : "طالما حصلت على موافقتى، فليكن زواجك غداً، وسوف أدعو الدوق وأصدقاءه . اذهب وخذ موافقة فتاتك الراعية على ذلك، فهى الآن وحيدة، لأن أخاها قادم نحونا". وذهب أوليفر إلى ألينا، أما جانى ميد الذى رآه أورلاندو قادماً، فقد وصل وسأل عن حال جرح صديقه.

وعندما بدأ أورلاندو وجانى ميد، يتحدثان عن الحب المفاجئ الذى حل بين أوليفر وألينا، قال أورلاندو إنه نصح أخاه بأن يسأل الفتاة عن موافقتها على الزواج منه فى اليوم التالى، ثم أضاف، إنه كم كان يتمنى أن يتزوج فى نفس اليوم من حبيبته روزالند..!

فقال جانى ميد : " إذا كان أورلاندو يحب روزالند حبًا حقيقيًا فسوف تتحقق رغبته. لأنه سيجعل روزالند تظهر بشخصها غداً،وستكون على استعداد للزواج من أورلاندو.

وقال إن تحقيق ذلك، سيتطلب منه الاستعانة بالسحر، الذى تعلمه من عمه، الذى كان ساحراً مشهوراً.

أما أورلاندو العاشق الولهان، فقد كان متشككًا فيما سمعه، فسأل جانى ميد عن صحة ما يقوله.

فأجابه جانى ميد : "أقسم بحياتى، على صحة ما أقول، ولهذا أرجو منك أن ترتدى أفضل ثيابك، وتدعو الدوق وأصدقاءك لحفل زفافك، فإذا كان لديك رغبة حقيقية للزواج من روزالند غداً ، فسوف تكون موجودة هناك!"..

فى صباح اليوم التالى حضر أوليفر وألينا إلى المكان الذى يعيش فيه الدوق، وحضر معهم أيضًا أورلاندو.

وعندما التأم شمل الجميع لإتمام هذا الزواج المزدوج، كانت هناك دهشة وحيرة، لأن واحدة فقط من العرائس هى الموجودة، ومن ثم فقد اعتقد الجميع أن جانى ميد كان يسخر من أورلاندو.

وما أن سمع الدوق بأن ابنته سوف تُستحضر إلى هنا بطريقة غريبة، حتى سأل أورلاندو، عما إذا كان يصدق بأن ذلك الولد الراعى، يستطيع حقيقة أن يفعل ما وعد به.. وبينما كان أورلاندو يجيب بأنه لا يعرف بماذا يقول، دخل جانى ميد، وسأل الدوق عما إذا كان يوافق على زواج ابنته من أورلاندو.

فقال الدوق : "هذا ما أرغب فيه، ولو كانت لدى ممالك لوهبتها لها!"..

عندئذ قال جانى ميد لأورلاندو : "وأنت تعد بأن تتزوجها عندما أحضرها إلى هنا".

فقال أورلاندو : "هذا ما أرغب فيه، حتى ولو كنت ملكا لكثير من الممالك".

عندئذ خرج جانى ميد وألينا سويًا إلى الخارج، وخلع جانى ميد ملابس الرجال، وعاد مرة ثانية فتاة ترتدى ملابسها.. وسرعان ما تحولت إلى روزالند دون قوة سحرية، وارتدت ألينا ملابسها الفخمة، ودون أدنى جهد تحولت إلى الفتاة سيليا.

وأثناء انصرافهما قال الدوق لأورلاندو، أنه يرى شبهًا كبيرًا بين الراعى جانى ميد وبين ابنته روزالند، فقال أورلاندو إنه يرى ذلك أيضًا!

ولم تطل حيرتهم فى كيفية انتهاء ذلك الموقف، إذ سرعان ما دخلت روزالند وسيليا فى ملابسهما الفخمة، ولم يعد فى وسع روزالند أن تدعى أن ذلك قد تم بفعل السحر، وألقت نفسها راكعة أمام والدها على ركبتيها. وطلبت منه أن يباركها ... وكانت مفجأة سارة لجميع الحاضرين ظنًا منهم أنها ظهرت فجأة بفعل السحر.. لكن روزالند أخبرت والدها أنها تركت القصر، وعاشت فى الغابة فى هيئة راع مع ابنة عمها سيليا وكأنها أختها!

أبدى الدوق موافقته على هذا الزواج، فتم زواج أورلاندو وروزالند، وأوليفر وسيليا فى نفس الوقت. ورغم أن الزواج تم فى هذه الغابة دون أدنى مظاهر البهجة والفخامة، إلا أنه كان زواجًا سعيدًا لم يكن له نظير من قبل : وبينما هم يأكلون تحت ظلال الأشجار الوارفة الندية، وصلت رسالة تنبئ الدوق بأنباء سارة، وهى أن مملكته عادت إليه ثانية..!

فقد غضب فريدريك غضبًا شديدًا عندما علم بهرب ابنته، وجهز نفسه على رأس قوة ضخمة من المحاربين، وتقدمت تجاه الغابة بقصد القبض على أخيه، وتقديمه للموت هو وأعوانه المخلصين.. لكن بمجرد أن دخل الغابة، قابله رجل متدين عجوز، وتكلم معه كلامًا كثيرًا، ونجح فى النهاية أن يرقق قلبه ويثنيه عن عزمه الشرير. فأسف أسفًا صادقًا لما بدر منه، وقرر أن يتنازل عن مملكته ويقضى بقية أيام حياته فى التعبد للآلهة... وكانت أول مبادرة منه تلك الرسالة التى أرسلها لأخيه يعيد إليه مملكته، وكذلك الأراضى والبيوت الخاصة برفاقه المخلصين.

وصلت هذه الأنباء السارة فى الوقت المناسب، ومواكبة لفرح الجميع بزواج الأميرتين. وعبرت سيليا لعمها عن خالص تمنياتها المخلصة له بالتوفيق!

وأصبح بإمكان الدوق الآن أن يكافئ أولئك الأصدقاء الذين بقوا معه فى الغابة.. ورغم أن هؤلاء الأصدقاء المخلصين الأوفياء قد شاركوه فى معاناته بكل صبر، لكنهم كانوا سعداء جدًا لعودة الوئام والسلام والسعادة إلى قصر دوقهم الشرعى.

السيدان من فيرونا

فالنتين وبروتيوس شابان من السادة كانا يعيشان فى ميدنة فيرونا، وتربط بينهما صداقة متينة منذ فترة طويلة. أكملا دراستهما سويًا ويقضيان أوقات فراغهما دائمًا مع بعضهما، فيماعدا الأوقات التى يقوم فيها بروتيوس بزيارة سيدة يحبها، كانت هذه الزيارات لحبيبته، والعواطف التى يبثها لجوليا الجميلة، الموضوع الوحيد الذى يختلف من أجله الصديقان : لأن فالنتين لم يقع فى الحب، وبالتالى كان يشعر أحيانًا بالضجر عند سماع صديقه يتحدث عن جوليا، ويضحك سخرية من بروتيوس، أما فى أوقات المرح فكان يسخر من عاطفة الحب، ويعلن أن مثل هذه الخيالات التافهة لا يمكن أن تؤثر على فكره، وأنه يفضل وبشكل كبير (كما قال) الحرية والحياة السعيدة، التى يحياها، عن الآمال القلقة والمخاوف التى يعانيها بروتيوس.

ذات صباح حضر فالنتين ليخبر صديقه بروتيوس أنه يتحتم عليهما أن يفترقا لفترة لأنه سوف يذهب إلى ميلان . لكن بروتيوس أعلن عن عدم رغبته فى الرحيل مع صديقه، ودار بينهما أكثر من نقاش ليقنع فالنتين بعدم الرحيل، لكن فالنتين قال له : " كف عن اقتناعى، يا بروتيوس العزيز. لن أكون مثل الكسالى، أبدد شبابى فى تفاهات داخل البيت. فالبقاء داخل البيوت بالنسبة للشباب ليس فيه ذكاء. لو أن عواطفك لم تكن مكبلة بالنظرات الحلوة لمحبوبتك جوليا، لكنت توسلت إليك لمصاحبتى، لنرى عجائب الدنيا بالخارج، لكن طالما أنك واقع فى الحب، فلتبقى على الحب، وأتمنى لك النجاح فيه!".

افترق الصديقان بمشاعر صامتة تُكن صداقة متينة لا تنفصم.

وقال بروتيوس : " وداعًا يا فالنتين ! فكر فى عندما تشاهد النادر من الأشياء أثناء رحلتك، وأتمنى أن أشاركك سعادتك".

بدأ فالنتين رحلته فى نفس اليوم متجهًا إلى ميلان، وعندما غادره صديقه، جلس بروتيوس ليكتب رسالة إلى جوليا، وأعطاها لوصيفتها لوسيتا لتسلمها لسيدتها.

كانت جوليا تحب بروتيوس بنفس قدر حبه لها، لكنها كانت سيدة ذات كبرياء وتعتز بشخصيتها وعذريتها ولا يمكن أن تُنال بسهولة، ولذلك قررت أن تكون متحفظة إزاء عواطفه وتضع العراقيل أمام مسعاه.

عندما قدّمت لوسيتا الرسالة إلى جوليا، تمنعت عن استلامها ووبخت وصيفتها لأخذها الرسالة من بروتيوس، وأقنعتها أن تغادر الحجرة، لكنها كانت تتوق جداً لترى ما كتب فى الرسالة، فسرعان ما نادت عليها ثانية، قالت : "كم الساعة؟" ولما كانت لوسيتا تعلم مدى رغبة سيدتها فى رؤية الرسالة، أكثر من أن تعرف كم الساعة، ودون أن تجيب عليها سلمت لها الرسالة المرفوضة . شعرت جوليا بالغضب لأن تكون لدى وصيفتها الحرية لتستشعر ما توده سيدتها، فقامت بتمزيق الخطاب ورمته على الأرض، وأمرت خادمتها ثانية بالخروج من الحجرة، أثناء خروج لوسيتا توقفت لالتقاط قطع الخطاب الممزقة من على الأرض، لكن جوليا قالت بغضب مصطنع "انصرفى، اخرجى، دعى الأوراق على الأرض، تودين تجميعها لتغضبينى".

بعد ذلك بدأت جوليا فى التقاط قصاصات الرسالة وتجميعها بقدر ما تستطيع، فى البداية جمعت القصاصات التى تحمل كلمات "بروتيوس المحب المجروح" وكلمات بكائية أخرى وكَذلك غرامية، التى استطاعت تجميعها رغم أنها كانت مقطعة إربًا، خاصة التى تحتوى على كلمة "مجروح" إلا أن تعبير "بروتيوس المحب المجروح" ألهمها فكرة، أن تتحدث إلى هذه الكلمات الحنونة وتقول لها كم تود أن تضمها إلى صدرها، حتى تلتئم الجروح، وتقبل كل قصاصه حتى يتم شفاؤها.

على هذا النحو واصلت كلامها بشكل طفولي وحنان سيدة جميلة. حتى أدركت أنها لا تستطيع تجميع كل القصاصات، وغضبت من نفسها لذلك الجحود لقيامها بتمزيق مثل هذه الرسالة، التى تحتوى على مثل هذه الكلمات الحلوة، كما وصفتها فكتبت رسالة تفيض بالحنان والرقة إلى بروتيوس، أكثر من أى مرة كتبت له من قبل.

ابتهج بروتيوس إلى حد كبير. عندما تسلم رسالتها ردًا على رسالته، وأثناء قراءته، كان يقول بصوت عال: " يا حبيبة قلبى، كلمات حلوة، حياة حلوة!" وفى غمرة انتشائه، فوجئ بدخول والده، قائلا : " ما الأمر، أى خطاب هذا الذى تقرأه؟"

فأجاب بروتيوس : " أبى، إنه خطاب من صديقى فالنتين، من ميلان."

فقال الأب : " ناولنى الخطاب، دعنى أعرف الأخبار."

فقال بروتيوس بانزعاج شديد : "ليس هناك أخبار يا والدى ؟، كتب لى عن إعجاب دون ميلان به، لقيامه يوميًا بتقديم خدمات له، وكم يرغب فى أن أكون معه لأشاركه نجاحه."

فسأله الأب: " وإلى أى مدى تأثرت برغبته؟"

قال بروتيوس : " هذا يتوقف على رغبتك يا والدى، وليس على رغبة صديقى".

حدث أن تكلم والد بروتيوس مع صديق له عن هذا الموضوع بالذات، فقال له صديقه، إنه مندهش جدًا منه لأنه يجبر ابنه لقضاء شبابه هنا فى الوطن، فى حين أن معظم الرجال يرسلون أبنائهم لاقتناص الفرص بالخارج، وقال "وبعضهم" يذهب للحرب، ليجربوا حظهم هناك، والبعض الآخر يكتشف جزرًا بعيدة، وآخرون يدرسون فى جامعات أجنبية، ولدينا صديقه فالنتين الذى وجد فرصة فى بلاط دون ميلان. وابنك تناسبه كل هذه الأشياء، وستكون خسارة كبيرة بالنسبة له، فى مثل سنة هذه، إذا لم يسافر فى مرحلة شبابه.

فكر والد بروتيوس فى نصيحة صديقه، ووجدها نصيحة جيدة، وبناء على ما قاله

بروتيوس لوالده بأن فالنتين "يرغب فى وجوده معه ليشاركه نجاحه" . فصمم على الفور أن يرسل ابنه إلى ميلان، دون أن يعطى بروتيوس فرصته لتبرير قراره المفاجئ، كان ذلك هو العرف السائد لهؤلاء الرجال الكبار بإصدار أوامرهم لأولادهم دون نقاش، وقال: " إن إرادتى تتفق مع رغبة فالنتين" ، وعندما رأى أن ابنه قد بوغت، فقال: " لا داعى لأن تندهش هكذا ، لأننى قررت فجأة أن تقضى فترة من الوقت فى بلاط دوق ميلان، لأن ما أقرره، أنفذه، وهناك حد لذلك، غداً تكون على استعداد للرحيل . لا اعتذار، لأننى حسمت الأمر."

كان بروتيوس يعرف تماما أنه لا فائدة من الاعتراض على رغبة والده، الذى لم يسمح له أبداً بمعارضته، وألقى اللوم على نفسه لأنه أخبر أباه كذباً بخصوص رسالة جوليا ، الأمر الذى تسبب له فى موقف محزن سيبعده عن حبيبته.

اكتشفت جوليا أنها ستفتقد بروتيوس لفترة طويلة، لكنها لم تلبث أن تظاهرت بعدم الاهتمام، وكابد الاثنان معاناة وداع حزين، تخلله أكثر من قسم للولاء والإخلاص لحبها . تبادل بروتيوس وجوليا الخواتم، وتعاهد الاثنان على الحفاظ عليها للأبد، تذكاراً لكل منهما . وهكذا ، افترقا فراقاً محزنا ، وبدأ بروتيوس رحلته إلى ميلان، حيث يقيم صديقه فالتيين.

كان وضع فالتيين فى الواقع كما صورة بروتيوس لوالده زيفًا ، يطابق ما كانت عليه علاقة فالنتين الحميمة بدوق ميلان، بالإضافة إلى شىء آخر لم يكن يحلم به بروتيوس، وهو أن فالنتين أصبح عاشقًا مثل بروتيوس، ودائماً ما كان يتباهى بذلك.

أما الذى أحدث هذا التغير الرائع فى شخص فالنتين، هى السيدة سيلفيا ابنة دوق ميلان التى أحبته، لكنهما أخفيا حبهما عن الدوق، رغم الإعجاب الذى يبديه الدوق لفالنتين، وكان يدعوه كل يوم إلى قصره، إلا إنه كان قد خطط لتزويج ابنته إلى شاب من حاشية البلاط يدعى "ثوريو" لكن سيلفيا كانت تحتقر هذا "الثوريو" لأنه لا يتمتع بالإحساس الرقيق والمزايا الرائعة لفالنتين.

كان هذان الندان ثوريو وفالنتين ذات مرة فى زيارة لسيليفيا، وكان فالنتين يلاطف سيلفيا، بالسخرية من كل ما يقوله ثوريو باعتباره تفاهات، عندما دخل الدوق الحجرة، وأخبر فالنتين بوصول صديقه بروتيوس والترحيب به. فقال فالنتين، " لو أن كان هناك شيء أتمناه، لتمنيت أن أراه هنا". بعد ذلك شرع فى امتداح بروتيوس للدوق، قائلاً: " سيدى، رغم أننى كنت أهدر وقتى، إلا أن صديقى يستغل أيامه بشكل مناسب، فهو إنسان ذو شخصية وفكر، وبصفة عامة، شخص ذو سمو."

فقال الدوق : " أكرموا وفادته كما ينبغى، أوصيك يا سيلفيا، وأنت يا ثوريو : من أجل فالنتين، فأنا لست فى حاجة لأمر بذلك ." ثم فوجئوا بدخول بروتيوس فقدمه فالنتين إلى سيلفيا، قائلاً : " سيدتى الجميلة، أرجو أن تتكرمى بأن يكون زميلى فى خدمة عصمتك ".

عندما انتهى فالنتين وبروتيوس من الزيارة، وأصبحا وحدهما، قال فالنتين "والآن أخبرنى كيف تجرى الأمور منذ أن وصلت ؟ كيف حال سيدتك، وما هى تطورات حبك؟ " أجاب بروتيوس " حكايات حبى دائمًا ما كانت تضجرك . أعرف أنك لا تستمتع بحكايات الحب".

فعاود فالنتين تساؤلاته " يا بروتيوس، لكن الحياة تبدلت الآن . لقد تُبت عن إدانة الحب. وانتقامًا من ازدرائى للحب، فقد طارد الحب النوم من عينى المسحورتين . آه أيها الرقيق بروتيوس، الحب هو السيد المسيطر، واستطاع أن يرقق مشاعرى، واعترف بأنه لم يعد هناك حزن أو أسى بفضل علاجه، لا يوجد أى نوع من السعادة على الأرض بدونه. أنا لا أحب سوى أحاديث الحب. الآن أستطيع أن أحطم ثوابتى، غذائى شرابى ونومى، باسم الحب.

هذا الاعتراف بالتغيير الذى حدث فى تصرفات فالنتين، كان بمثابة انتصار كبير لصديقه بروتيوس. لكن "الصديق" لم يلبث أن انجذب لنفس القوى الأثيرة للحب، التى كانا يتحدثان عنها (عندما كانا يتحدثان عن التغيير الذى أحدثه على فالنتين) يبدو أنه

كان يؤتى ثماره فى قلب بروتيوس، الذى ظل حتى هذا الوقت نموذجًا للحب الحقيقى والصداقة التامة، إلا إنه أصبح الآن ومنذ لقائه القصير مع سيلفيا صديقًا زائفًا ومحبًا غير أمين، لأنه من أول نظرة لسيلفيا تلاشى كل حبه لجوليا، وكأنه حلم، ولم تمنعه صداقته الطويلة لفالنتين من أن تثنيه عن السعى للغدر بمشاعرها. ورغم ما يحدث عادة، عندما تتبدل مشاعر الناس الطيبة، وتصبح غير عادلة، فقد انتابه التردد قبل أن يقرر التخلى عن جوليا، وأصبح غريمًا لفالنتين، وتغلب إلى حد ما إحساسه بالواجب، واستسلم لنفسه دون ندم، للمضى فى عواطفه غير السعيدة.

أفضى فالنتين لصديقه بكل ثقة بحكاية حبه كاملة، وكيف أنهما قد أخفيا حبهما عن والدها الدوق، كما أخبره عن خشيته من عدم قدرته الحصول على موافقة والدها، فاتفق مع سيلفيا على الهرب من قصر أبيها هذه الليلة، وتذهب معه إلى "مانتويا"، ثم عرض عليه سلمًا من الحبال، تستطيع سيلفيا بواسطته أن تهرب من أحد نوافذ القصر، عندما يحل الظلام.

بعد أن استمع إلى حكاية صديقه العزيز وكاتم أسراره، حدث ما لا يمكن تصديقه على الإطلاق، لكنه حدث، فقد قرر بروتيوس الذهاب إلى الدوق، وأفضى إليه بكل شىء.

بدأ هذا الصديق الخائن حكايته للدوق بكثير من المقدمات البارعة، مثل أن أسس الصداقة تحتم إخفاء ما كان سيكشفه، لكن الكرم والحفاوة التى استقبله بها الدوق، تحتم عليه أن يفصح عما فيه الخير له. وهكذا، قال له كل ما سمعه من فالنتين، ولم يخف عنه موضوع السلم المصنوع من الحبال الذى ينوى فالنتين أن يخفيه تحت عباءته الطويلة.

اقتنع الدوق بأن بروتيوس شخصية نبيلة جدًا ومثيرة للإعجاب، لأنه فضّل أن يحكى ما ينتويه صديقه، على أن يكتم هذا الفعل الجائر، فامتدحه كثيرًا، ووعده بأنه لن يدع فالنتين من أين عرف هذه المعلومات، لكنه وبشىء من الحيلة سوف يجعل

فالنتين نفسه يعترف بسره. من أجل ذلك ترقب الدوق وصول فالنتين عند المساء، وسرعان ما رآه يسرع نحو القصر، ويخفى شيئًا ما تحت عباءته، السلم المصنوع من الحبال.

استوقفه الدوق، قائلاً: " لماذا أنت متعجل هكذا يا فالنتين؟... فأجاب فالنتين : "ربما يسعدك ذلك يا صاحب السعادة، فهناك رسول فى انتظارى ليحمل رسائلى إلى أصدقائى، وأنا فى طريقى لتسليمها له." لم يلق هذا الادعاء الكاذب، قبولاً فى ذلك الموقف مثلما حدث مع بروتيوس عندما كذب على والده بخصوص خطاب جوليا الذى كان يقرأه.

قال الدوق : " هل هى بهذه الأهمية؟.

قال فالنتين : " ليست بالأهمية الكبيرة ، إنما لمجرد أن يخبر والدى بأننى على ما يرام، وفى منتهى السعادة لكرمكم وحفاوتكم".

قال الدوق : "الأمر كذلك فحسب، لا بأس، ابق معى قليلاً . فأنا أريد أن أستشيرك فى بعض الأمور التى تهمنى شخصيًا . وقص عليه حكاية بارعة تتسم بالذكاء، كمقدمة ليستخلص منه سره، قائلاً بأن فالنتين يعلم بأننى أرغب فى تزويج ابنته من ثوريو، لكنها عارضت ذلك ولم تطع أوامرى ثم قال : " وبغض النظر عن كونها ابنتى، أو كونى أبا تخشانى. يمكننى القول إن ذلك يمثل نوعًا من الكبرياء الذى يعجبنى ويقربنى لحبها أكثر وأنا أعتقد أننى قضيت عمرى كله فى رعايتها وتربيتها. وبالتالى فقد قررت اتخاذ زوجة لى وأتركها لمن يكون من نصيبها. ولندع جمالها يكون بمثابة (الدوطة) أو منحه زواجها، أما بالنسبة لى ومشاعرى فهى لا تُقدر .

تحير فالنتين وتساءل متى ينتهى هذا الحوار، وأجاب " وماذا ترى سموك ما يمكننى أن أفعله بخصوص ذلك؟"

فقال الدوق: " ماذا؟ السيدة التى أرغب فى زواجها، جميلة وخجولة، لكنها لا

تقدر كثيراً طريقة تعبيرى عن مشاعرى نحوها. فأساليب الغزل تغيرت كثيراً منذ أن كنت صغيراً، كل ما أريده منك الآن أن تكون مرشدى لتدلنى كيف أتودد إليها وأخطب ودها.

قام فالنتين بإعطائه فكرة عامة عن أساليب الغزل الحديثة التى يقوم بها الشباب، عندما يريدون الفوز بالمرأة التى يحبونها، مثل تقديم الهدايا والقيام بزيارات على فترات قصيرة وما شابه ذلك.

كان رد الدوق على ذلك، بأنها ترفض الهدايا التى كان يبعث بها إليها، كما أنها مُحتجزة بشدة بأوامر أبيها، ولا يستطيع أحد أن يتوصل إليها نهاراً .

قال فالنتين : " إذن، ينبغى أن تزورها بالليل".

فقال الدوق الماكر الذى كاد أن يصل إلى ذروة حكايته : " لكن الأبواب تكون مغلقة بالليل".

فاقترح عليه فالنتين التعس أن يذهب إليها ليلاً فى حجرتها، بواسطة سلم من الحبال، قائلاً إنه من الممكن أن يدبر له سلماً مناسبا لهذا الغرض، ونصحه بأن يخفى السلم تحت عباءة مثل التى يرتديها . فقال الدوق الذى اخترع كل هذه القصة بهدف أن يخلع العباءة :" أعطنى عباءتك، وأمسك بعباءة فالنتين وخلعها عنه، لم يكتف باكتشاف السلم فقط بل وجد خطاباً لسيلفيا، ففتحه وقرأه، يتضمن تفاصيل خطة الهرب واللحاق به. بعد أن وبّخ الدوق فالنتين لنكرانه الجميل الذى أسبغه عليه، بمحاولة الاستيلاء على ابنته، طرده من القصر ومن مدينة ميلان إلى الأبد، وأجبره على مغادرة المدينة ليلا دون أن يرى سيلفيا.

بينما كان بروتيوس فى ميلان وتسبب فى إيذاء فالنتين، كانت جوليا فى فيرونا تعانى من غياب بروتيوس، حيث تغلب إحساسها أخيراً بالتعلق به، على إحساسها بالتملك، لدرجة أنها قررت مغادرة فيرونا واللحاق بحبيبها فى ميلان، وحتى تحمى

نفسها من أخطار الطريق ارتدت هى ووصيفتها ملابس الرجال، وانطلقتا متخفيتين، ووصلتا ميلان بعد عقاب فالنتين وطرده من المدينة بسبب وشاية بروتيوس.

وصلت جوليا ميلان وقت الظهر تقريبا، وأقامت فى فندق، وكل أفكارها مشغولة بحبيبها بروتيوس، ودخلت فى حوار مع صاحب الفندق أو المضيف كما كان يطلق عليه، اعتقاداً منها أنها بهذه الوسيلة من الممكن تعرف بعض الأخبار عن بروتيوس.

كان صاحب الفندق سعيداً بأن هذا الشاب المهذب (كما بدا له) الذى يبدو من مظهره أنه ينتمى إلى الطبقة العليا، يتحدث معه بألفة، لكنه لاحظ أنه مكتئب، ولكى يسعده اقترح عليه أن يأخذه لسماع الموسيقى الرفيعة، ومن ضمن ما قاله أن هناك شاباً سيعزف الليلة "سرديناه" موسيقية لصاحب السعادة.

كان سبب اكتئاب جوليا أنها لم تكن تعرف ماذا سيكون رد فعل بروتيوس عن تلك الخطوة الطائشة التى أقدمت عليها، لأنها تعلم أنه أحبها لعذريتها النبيلة وشخصيتها القوية، لذلك كانت تخشى أن تكون قد حطت من قدر نفسها فى تقديره، ذلك ما جعلها تكتسى بالحزن، ويبدو على سحنتها الفكر .

قبلت العرض بسرور لتذهب مع المضيف لحفل سماع الموسيقى، إذا كانت تأمل بداخلها، أنه قد تقابل بروتيوس بالصدفة.

عندما وصلت إلى القصر الذى قادها المضيف إليه، انتابها شعور مختلف عما كان يقصده المضيف: ولشدة الأسى الذى يحملها قلبها، فقد شاهدت حبيبها، بروتيوس يناجى بالغناء والموسيقى السيدة سيلفيا فى الهواء الطلق، ويبثها كلمات الإعجاب . وسمعتها جوليا وهى تتحدث مع بروتيوس من النافذة وتؤنبه لتخليه عن حبيبته الأصلية، وإنكاره لجميل صديقه فالنتين، وتركت سيلفيا النافذة، ولم تعبأ بسماع موسيقاه وكلماته الرقيقة، لأنها كانت مخلصة لفالنتين الذى عوقب بالطرد، واشمأزت من السلوك الخسيس من قبل صديقه الخائن.

رغم الحالة التى كانت عليها جوليا من الإحباط بسبب ما شاهدته، إلا أنها كانت

تحب بروتيوس، وسمعت أنه افترق عن خادمه مؤخراً، فقامت بمساعدة مضيفها صاحب الفندق بالتخطيط لتعمل عند بروتيوس كغلام له، دون أن يعرف أنها جوليا، ومن ثم كلفها بالذهاب إلى غريمتها سيلفيا ومعها خطاب وهدية، ليس ذلك فقط بل أرسل معها الخاتم الذى أعطته جوليا له كهدية يوم رحيله من فيرونا.

عندما ذهبت إلى السيدة ومعها الخاتم، شعرت بفرحة شديدة لرفض سيلفيا هدايا بروتيوس، ومن ثم دخلت جوليا فى حوار مع سيلفيا باعتبارها الفتى سباستان، عن الحب الأول لبروتيوس للسيدة جوليا. تحدثت (أو كما نقول) عن نفسها بكلمات طيبة، فقالت إنها تعرف جوليا، وأصبحت هى جوليا التى تتكلم عنها، فقالت إن جوليا أحبت سيدها بروتيوس، وكيف أن نكرانه القاسى لها أحزنها، ثم واصلت كلامها بمراوغة لطيفة قائلة : " إن جوليا فى طولى تقريبا وتشبهنى، وعيناها وشعرها نفس لون شعرى وعينى". وفى الحقيقة بدت جوليا أكثر جمالاً كفتى فى ملابسه المزركشة. تعاطفت سليفيا مع تلك السيدة الجميلة التى انتابها الحزن لتخلى الرجل الذى تحبه عنها، وعندما قدمت جوليا الخاتم الذى أرسله بروتيوس معها، رفضته قائلة : " من المشين بالنسبة له أن يرسل لى هذا الخاتم، أنا لن آخذه، لأننى سمعت تقريبا أن جوليا حبيبته أهدته له . لقد أحببتها أيها الشاب اللطيف لتعاطفك معها، ياالسيدة المسكينة! سأعطيك هذا الخاتم من أجل خاطر جوليا. أبهجت هذه الكلمات المريحة التى صدرت على لسان غريمتها، القلب الكسير لهذه السيدة المتنكرة.

دعونا الآن نعد إلى فالنتين المعاقب، الذى عانى صعوبات إلى أى الطرق يسلك فى حياته، وقرر عدم العودة إلى والده كشخص محتقر ومطرود . وبينما كان يتجول وحيداً فى إحدى الغابات القريبة من ميلان، حيث ترك قلبه مع درة حياته سيلفيا، انقض عليه بعض اللصوص وطلبوا منه نقوده.

أخبرهم فالنتين أنه رجل يمر بمحنة، ومطرود وليس معه نقود، وملابسه هى كل ثروته.

عندما عرف اللصوص أنه شخص بائس، صدم فى مستقبله، رغم مظهره النبيل وسلوكه الرجولى، قالوا له. عما إذا كان يرغب فى العيش معهم، ويصبح رئيساً لهم أو قائدهم، فسيكونون تحت أمره، أما إذا رفض عرضهم فسيقتلونه.

فقال لهم فالنتين الذى لم يعد يهتم بما سيصبح عليه أنه موافق على العيش معهم ويصبح قائدهم، بشرط ألا يهاجموا امرأة أو مسافراً فقيراً.

وهكذا صار فالنتين النبيل، مثل روبن هود الذى نقرأ عنه فى الحكايات الشعبية، رئيساً لعصابة من اللصوص والخارجين على القانون، وبهذا الوضع أصبح متواجداً قرب سيلفيا، وهكذا مضت الأيام.

أما سيلفيا، ولكى تتجنب الزواج من "ثوريو" الذى يصر عليه والدها، والتى مازالت ترفضه، فقد وصلت إلى حل، بأن تتبع فالنتين إلى مانتويا، حيث سمعت أن حبيبها لجأ إلى هناك، لكن هذه المعلومات لم تكن صحيحة، لأنه مازال يعيش فى الغابة وسط اللصوص، تحت اسم الكابتن أو الرئيس، لكنه لا يشاركهم فى أعمال السلب ولا يستخدم السلطة المخولة له، فى أى شىء سوى أن يجبرهم على التعامل بشكل أفضل مع المسافرين الذين يسرقونهم.

خططت سيلفيا لتنفيذ خطتها للهرب من قصر أبيها بمصاحبة رجل عجوز موثوق به، يدعى "إجلامور"، لحمايتها أثناء هروبها. وتصادف أن مرت بالغابة حيث يقيم فالنتين وعصابته، وقبض أحد اللصوص على سيلفيا وكاد يقبض على "إجلامور" لكنه هرب.

لاحظ اللص الذى قبض عليها أنها مرتعبة جداً، فطلب منها ألا تنزعج، لأنه لن يفعل شيئاً سوى أن يأخذها إلى كهف حيث يعيش رئيسهم، وبالتالى لا داعى للخوف لأن زعيمهم ذو عقلية محترمة، وعادة ما يتعامل مع النساء بشكل إنسانى. شعرت سيلفيا بالارتياح إلى حد ما عندما علمت أنها ستعامل كسجينة قبل أن تعرض على زعيمهم الخارج على القانون، بكت وقالت : " آه، يا فالنتين، أنا لا أطيق ذلك!".

وبينما كان اللص يقودها إلى كهف زعيمهم، استُوقف من قبل بروتيوس الذى مازالت جوليا تعمل كتابع له وسمع عن هرب سيلفيا، وتتبع مسارها فى الغابة وأنقذها من أيدى اللصوص . بعد أن أنقذها بروتيوس وقبل أن تجد الوقت لشكره على ما قام به، كان هو قد بدأ فى إزعاجها بكلمات الغزل وأخذ يبث حبه لها، وأثناء ما كان يضغط عليها بوقاحة لقبول الزواج منه، كان يقف إلى جانبه تابعه (جوليا البائسة) فى حالة قلق شديد خشية أن تكون الخدمة التى قام بها بروتيوس لسيلفيا تنجح فى كسبها فتبدى تجاهه بعض الحميمية، لكن الجميع فوجئوا بظهور فالنتين، الذى علم من أفراد عصابته أنهم قبضوا على سيده فجاء ليخلصها منهم.

كان بروتيوس يتودد إلى سيلفيا، فانتابه خجل شديد لأنه ضبط بواسطة صديقه، وشعر بالندم الشديد، وعبر عن عميق أسفه لما سببه من آلام لفالنتين، لكن فالنتين ذو الطبع النبيل والكرم الذى يصل إلى درجة الرومانسية، وفى لحظة بطولية مفاجئة قال: " أنا أعفو عنك بكل حريتى، ورغم شغفى وحبى لسيلفيا، فأنا أهديها لك" . كانت جوليا تقف بجوار بروتيوس باعتبارها تابعة، وسمعت ذلك العرض الغريب، فخشيت أن لا يكون فى إستطاعة بروتيوس إزاء هذا التفضل الجديد، أن يرفض سيلفيا فأغمى عليها وانشغل الجميع فى إفاقتها، كما أصيبت سيلفيا بضيق شديد، لكونها تُمنح هكذا لبروتيوس، فى حين أنها لم تكن تظن على الإطلاق بأن فالنتين سيتصرف بهذا الشكل ويكون فى منتهى الكرم إزاء صديقه. عندما أفاقت جوليا من إغمائها، قالت : " لقد نسيت ما أمر به سيدى بأن أسلم هذا الخاتم إلى سيلفيا" .

تطلع بروتيوس إلى الخاتم، فاكتشف أنه الخاتم الذى أعطاه لجوليا، مقابل الخاتم الذى تلقاه منها، الذى أرسله مع المفترض أن يكون تابعه إلى سيلفيا . فقال "كيف حدث ذلك، هذا خاتم جوليا، كيف تحصلت عليه أيها الفتى؟ . فأجابت جوليا : " لقد أعطته لى جوليا، وجوليا نفسها هى أحضرته إلى أيضا؟

فى تلك اللحظة تطلع بروتيوس باهتمام إليها، وبسرعة اكتشف أن الفتى سباستيان ليس إلا السيدة جوليا ذاتها، وهذا هو البرهان على صدق حبها وشغفها به، الذى

يملأ قلبه، وبالتالى فإن حبه لها عاد إلى قلبه، واستعاد ثانية سيدته الحبيبة، وبكل الحب والفرحة، تخلى عن كل ادعاءاته بالنسبة لسيلفيا وفالنتين، التى يستحقها حقا.

وشرع بروتيوس وفالنتين يعبران عن سعادتهما للصلح بينهما، وعن الحب المخلص لسيدتهما، وفوجئوا بوجود الدوق "وثوريو" اللذين حضرا لملاحقة سيلفيا.

تقدم ثوريو وحاول الامساك بسيلفيا قائلا: " سيلفيا لى". عندئذ قال له فالنتين بقوة وشجاعة : " ابتعد عنها يا ثوريو، لو أنك قلت ثانية " سيلفيا لك" فستلقى حتفك. ها هى أمامك، فلتحاول مجرد أن تلمسها ! أتحداك أن تظل حيا بحق حبى". عند سماع ذلك التهديد تراجع ثوريو لأنه كان جبانًا جداً، وقال إنه لا يوليها اهتماماً، ومن الحماقة أن أقاتل من أجل فتاة لا تحبه.

أما الدوق الذى كان رجلاً شجاعًا، فقال بغضب شديد، " ياللدناءة والانحطاط، حتى تتفوه بمثل هذه الكلمات عنها مثلما قلت، فلتتركها بطريقة أفضل، ثم التفت إلى فالنتين، وقال له : " أنا أصفقُ لك لشهامتك، يا فالنتين، وأعتقد أنك تستحق حب "إمبراطورة"، سوف تتزوج سيلفيا لأنك تستحقها، عندئذ قام فالنتين بكل تواضع وقبل يد الدوق، وتقبل الهدية المتمثلة فى إبنته بكل امتنان، وانتهز هذه الفرصة السعيدة والدوق فى حالة مزاجية طيبة وتوسل إليه ليعفو عن اللصوص الذين تزعمهم فى الغابة، مؤكدا له، بأنه عندما يعيد بناء المجتمع ويجدده، سيجد من بينهم أناسًا طيبين ويصلحون للقيام بمهام عظيمة، لأن معظمهم عوقبوا مثلما عوقب فالنتين لإساءته للدولة، بالإضافة إلى الجرائم التى ارتكبوها. فاستجاب الدوق لمطلبه؟

والآن لم يبق سوى بروتيوس، الصديق الخائن الذى عاقب نفسه وكفر عن أخطائه الغرامية، بأن كُلف بتقديم عرض غنائى تدور أحداثه حول خيانته للحب والكذب على الدوق وخز الضمير، كان بمثابة حكم كاف لعقابه عما قام به، وعاد الأحبة الأربعة إلى ميلان واحتفل بزفافهم فى حضرة الدوق فى جو من البهجة والسرور.

تاجر البندقية

كان شيلوك اليهودى يعيش فى مدينة البندقية، وعمل على إثراء نفسه من خلال إقراض النقود بفائدة كبيرة، إلى التجار المسيحيين. ولما كان شيلوك صاحب قلب لا يعرف الرحمة، فقد كان يجبر الناس على رد النقود التى اقترضوها بطريقة قاسية، حتى كرهه أغلب الرجال الطيبين . وبخاصة أنطونيو، ذلك التاجر الشاب من فينيسيا.

كان شيلوك يكره أنطونيو أيضًا بنفس الدرجة، لأنه كان يقرض الناس دون أن يحصل منهم على أية فوائد.. لذا فقد كانت هناك كراهية شديدة بين ذلك اليهودى وبين التاجر الطيب أنطونيو..

وعندما كان أنطونيو يقابل شيلوك كان يعنفه لمعاملته القاسية، وكان اليهودى يتحمل ذلك متظاهرا بالصبر، على حين كان يخطط له فى سره لكى يؤذيه..

كان أنطونيو من أنبل الناس وأكرمهم، وكان محبوبا من كل مواطنى مدينته، لكن الصديق الذى كان أقرب وأعز إلى قلبه هو بسانيو، من نبلاء فينيسيا ولا يملك إلا ثروة بسيطة، ضيعها بسبب إسرافه على معيشته (شأن كل الرجال أصحاب المراتب العليا الذين لا يملكون سوى ثروات صغيرة)... وكلما كان بسانيو يحتاج إلى نقود، كان أنطونيو يساعده، وكانا بمثابة شخصين بقلب واحد، ومحفظة نقود واحدة..!

وذات يوم حضر بسانيو إلى أنطونيو، وأخبره أنه مقدم على زيجة ثرية من فتاة يحبها كثيراً، مات أبوها أخيراً، وترك لها ممتلكات كبيرة.. كان يزورها أثناء حياة أبيها فى منزلها . وأحيانا كان يشعر بأن هذه الفتاة تنظر إليه بكل حب وحنان، لكنه لما كان لا يملك من النقود ما يجعله يبدو بمظهر المحب الثرى، فقد طلب من أنطونيو ثلاثة آلاف من الجنيهات..!

ولم يكن لدى أنطونيو نقود فى ذلك الوقت، لكنه لما كان فى انتظار بعض السفن المحملة بالبضائع التى ستباع فور وصولها، قال إنه سيذهب إلى شيلوك ذلك المرابى الثرى، ويقترض منه النقود المطلوبة..

ذهب أنطونيو وبسانيو إلى شيلوك، وطلب منه أنطونيو أن يقرضه ثلاثة آلاف من الجنيهات، وبالفائدة التى يحددها، على أن يدفع هذه النقود عندما تأتى البضائع المحملة على سفنه فى البحر.

عند ذلك، أخذ شيلوك يفكر مع نفسه قائلاً : " لو أتمكن منه مرة، فلسوف أغذى الكراهية التى أحملها له، إنه يكره شعبنا اليهودى، ويقرض النقود بلا فائدة، ويلعننى ويلعن أعمالى الطيبة بين التجار.. ولو أننى غفرت له فلن يسامحنى أهلى وعشيرتى"..

وما أن رآه أنطونيو يفكر، ولم يجب على سؤاله، حتى أصبح قلقًا من ناحية الحصول على النقود.. فقال له : " شيلوك، أتسمعنى ؟ هل ستقرضنى النقود؟!"..

فأجاب اليهودى على هذا السؤال : " سنيور أنطونيو، كثيرًا ما كنت تلعننى، وكنت أتحمل ذلك فى هدوء، وأطلقت على اسم الكافر، والكلب الأزعر، وبصقت على عباءتى، وركلتنى بقدمك كما لو كنت كلبًا.. والآن، جئت تطلب منى المساعدة، وأتيت بنفسك إلى، وتقول بكل تكبر: شيلوك، أقرضنى نقودًا .. هل يملك الكلب نقودًا؟ هل من الممكن أن يقرض الكلب ثلاثة آلاف من الجنيهات؟.. أتراني سوف أنحنى بكل تواضع وأقول لك : " سيدى الكريم، لقد بصقت على يوم الأربعاء الماضى، وفى وقت آخر نعتنى بالكلب، ومن أجل تلك الأفعال الطيبة، ينبغى على أن أقرضك نقودًا!"..

فأجاب أنطونيو : " وأنا مازلت على استعداد أن أقول لك ذلك مرة ثانية، وأبصق عليك، وأركلك بقدمى أيضًا.. إذا كنت ستقرضنى هذه النقود، فأقرضنى إياها ليس كصديق، بل كعدو، حتى إذا لم أستطع أن أردها لك ثانية، يكون لك الحق فى معاقبتى".

فقال شيلوك : "لماذا تحاول إثارة القلاقل بيننا!.. أنا أود أن أكون صديقا لك، وأنال رضاك. سأنسى كل ما ألحقته بى من إهانات.. وسأعطيك كل ما تريد، ولن آخذ

أية فائدة" . أدهش هذا العرض أنطونيو كثيراً، على حين ظل شيلوك يدعى المودة، وقال إنه على استعداد لإقراضه ثلاثة آلاف من الجنيهات دون أية فائدة، بشرط واحد فقط، وهو أن يذهب أنطونيو معه إلى المحامى ليوقع على عقد ظريف، يقضى بأنه إذا لم يرد النقود فى يوم معين. يكون له الحق فى قطع رطل لحم من أى جزء من جسمه، يختاره شيلوك بمعرفته..

فقال أنطونيو : موافق وسأوقع هذا العقد، وقال إن هناك الكثير من الطيبة لدى هذا اليهودى!".

فقال بسانيو إنه لا ينبغى على أنطونيو أن يوقع مثل هذا العقد اليهودى لكن أنطونيو أصر على التوقيع، لأنه قبل حلول موعد الدفع، ستكون سفنه قد وصلت، وبها ما قيمته أضعاف هذا المبلغ..

عندما سمع شيلوك هذا الحديث صاح قائلاً : " بحق أبينا إبراهيم.. بأى أسلوب شرير يفكر هؤلاء المسيحيون! إن معاملتهم الصعبة، علمتهم ألا يفكروا إلا فى الشر . أرجو منك يا بسانيو، أن توضح لى، ماذا سأستفيد إذا لم أنفذ شروط العقد؟ فرطل من لحم الإنسان، يؤخذ من رجل، لا يوزاى رطلاً من الضأن والبقر.. وأنا أقول ذلك، حتى أشترى رضاءه، وأعرض عليه صداقتى، فإذا قبلها، أهلاً وسهلاً، وإذا رفضها، فوداعًا!".

وأخيراً وعلى غير رضا من بسانيو وقع أنطونيو العقد، اعتقاداً منه أن الأمر لا يعدو فى حقيقته (كما قال اليهودى) مجرد مزاح!!

كانت الفتاة الثرية الوارثة التى يرغب بسانيو فى الزواج بها، تعيش بالقرب من فينيسيا فى منطقة تسمى بلمونت.. كان اسمها بورشيا، وكانت تتمتع بأحسن الخصال أخلاقًا وتفكيراً بحيث لا تناظرها فتاة أخرى فى ذلك.

وما أن أخذ بسانيو النقود، التى خاطر صديقه بحياته من أجلها، حتى ذهب إلى بلمونت، برفقة مجموعة من الخدم حسنى المظهر، وتابع مهذب اسمه جراتيانو.

ونجح بسانيو فى مهمته، فقد وافقت بورشيا بعد فترة قصيرة على قبوله زوجًا لها. وأخبرها بسانيو بكل صدق أنه لا يملك إلا القليل من النقود، وكل ما يستطيع أن يفاخر به هو مولده النبيل وأسرته العريقة. فأخبرته أنها تحبه من أجل شخصه فقط، وأن لديها من الثروات ما يكفيها بحيث لا تحتاج إلى ثروة زوجها. وأضافت قائلة إنها تتمنى أن تكون جميلة فى نظره ألف مرة، على أن تكون ثرية عشرة آلاف مرة، وأن تكون جديرة به، وقالت إنها لم تنل قسطًا كبيرًا من التعليم، إلا إن الوقت لم يفت لتحصل على المزيد من التعليم. وأنها تود أن تسلم إليه زمام نفسها وأمرها ليديره ويسوسه بمعرفته.

كما قالت له أيضًا : "نفسى وما أملك أهبه إليك. لقد كنت حتى يوم أمس يا بسانيو سيدة هذا البيت، ومالكة نفسى، والآمرة لكل هؤلاء الخدم، أما الآن، فهذا البيت، وهؤلاء الخدم، وأنا نفسى، ملكك يا سيدى، أهب لك كل هذا بإعطائى هذا الخاتم لك" : وقدمت الخاتم لبسانيو.

امتلأت نفس بسانيو بالامتنان والشكر، وتعجب لهذا المسلك الكريم الذى تصرفت به الثرية النبيلة بورشيا لتتزوج من رجل فقير مثله، حتى أنه استطاع بالكاد أن يعبر عن حبه لها ببعض الكلمات الطيبة، وأثناء تناوله الخاتم أقسم ألا يفرط فيه أبدًا..!!

وكان جراتيانو ونيرسا وصيفة بورشيا متواجدين مع سيدهم وسيدتهم، عندما وعدت بورشيا بكل اخلاص أن تكون زوجة مطيعة لبسانيو، فأعلن جراتيانو – أثناء تمنياته لبسانيو وبورشيا بالسعادة والهناء– عن رغبته فى الزواج فى نفس الوقت.

فقال بسانيو : "أهنئك من كل قلبى يا جراتيانو، إذ استطعت أن تجد الزوجة!"..

فقال جراتيانو أنه أحب نيرسا وصيفة السيدة بورشيا، ولقد وعدت أن تكون زوجة له، إذا تزوجت سيدتها من سيده. وسألت بورشيا نيرسا عن مدى صحة ذلك.

فأجابت نيرسا : "إنه كذلك، يا سيدتى، إذا كنت توافقين!".. فوافقت بورشيا بكل الرضا.

فقال بسانيو وهـــو سعيد : "إذن سيـــزداد حفل زواجنـــا شرفًا، بزواجـك، يا جراتيانو!"..

لكن سعادة هؤلاء المحبين تعكر صفوها بشكل محزن بوصول رسول فى تلك اللحظة يحمل خطابًا من أنطونيو يحمل أخبارًا مفزعة. وعندما قرأ بسانيو خطاب أنطونيو، خشيت بورشيا أن يكون بالخطاب نبأ موت صديق عزيز، لأن وجهه بدا شاحبا . فسألته عن سبب انزعاجه، فقال : "أوه يا حبيبتى بورشيا، فى هذا الخطاب أنباء سيئة، لم يسبق أن كتبت فى رسالة.. سيدتى الرقيقة، عندما صارحتك بحبى أول الأمر، قلت لك أن كل ما أملك من ثروة هو دمى النبيل، لكن كان ينبغى على أن أخبرك بأننى لا أملك شيئًا على الإطلاق، بل أننى مديون".

أخبرها بسانيو بعد ذلك بمسألة اقتراضه للنقود من أنطونيو، التى اقترضها بدوره من اليهودى شيلوك، بمقتضى عقد يعطى اليهودى الحق فى قطع رطل من لحم أنطونيو، إذا لم يرد النقود فى الميعاد المحدد.. ثم قرأ لها رسالة أنطونيو، وكانت كلماتها كالتالى : "عزيزى بسانيو، لقد فقدت كل سفنى، وقد حل ميعاد الدفع، وطالما أن الدفع غير ممكن، فمعنى هذا أن حياتى قد انتهت، كل ما أرغبه هو أن أراك قبل أن أموت، وأرجو أن تتصرف كما يحلو لك. وإذا منعك حبك لى من الحضور، فأرجو أن يصلك خطابى هذا على الأقل!"..

فقالت بورشيا : " آه يا حبيبى الغالى، عليك أن تذهب إليه فورًا. وسيكون معك من النقود ما يكفى لتدفع المبلغ أكثر من عشرين مرة، قبل أن يفقد ذلك الصديق الكريم شعرة واحدة من رأسه بسبب غلطتك ... وسوف أقف إلى جانبك، طالما أنك تحبنى بإخلاص!"..

ثم قالت بورشيا عندئذ إنه ينبغى أن تتزوج من بسانيو قبل أن يرحل، حتى يكون له الحق الشرعى فى أموالها، فتزوجا فى نفس اليوم، كما تزوج أيضًا جراتيانو من نيرسا، وما أن تم ذلك حتى انطلق بسانيو وجراتيانو بكل سرعة إلى فينيسيا، حيث وجدا أنطونيو فى السجن.

كان يوم الدفع قد فات، ولم يرغب اليهودى الشرير فى قبول النقود التى قدمها إليه بسانيو، بل أصر على الحصول على رطل من لحم أنطونيو، وحدد يوم المحاكمة أمام دوق فينيسيا، وقضى بسانيو ذلك الوقت فى قلق كبير.

عندما تركت بورشيا زوجها يرحل، بعدما تحدثت إليه بتشجيع وطلبت منه أن يحضر صديقه العزيز معه عند عودته، خشيت أن تتعقد الأمور بالنسبة لأنطونيو.. وعندما خلت إلى نفسها، بدأت تفكر، لو أنها استطاعت بوسيلة ما أن تنقذ حياة صديق زوجها، ورغم أنها وعدت زوجها، بألا تتصرف فى أى شىء إلا بعد مشورته، إلا إنها قررت بسرعة أن تذهب إلى فينيسيا للدفاع عن أنطونيو فى المحكمة!

كان لبورشيا قريب يعمل محاميًا، فكتبت إلى ذلك الرجل الطيب. وكان يدعى بلاريو، تسأله النصيحة، وتطلب منه أن يقرضها الزى الخاص بالمحامين .. وعندما عاد الرسول، أحضر خطابًا من بلاريو يحمل النصيحة وكل التفاصيل الخاصة برحلتها.

ارتدت بورشيا ووصيفتها زى الرجال، واتشحت بروب المحاماة، وصحبت نيرسا معها بصفتها كاتبها، وسافرتا فى الحال، فوصلتا إلى فينيسيا فى ذات يوم المحاكمة.. كانت القضية على وشك أن تنظر أمام دوق فينيسيا ومستشاريه فى دار القضاء. ودخلت بورشيا وسلمت المحكمة خطابًا من بلاريو يقول فيه إنه كان يود الحضور بنفسه للدفاع عن أنطونيو، لكن بسبب مرضه وعدم قدرته على الحضور، فقد طلب من الشاب المثقف دكتور بالتازار (هكذا سمى بورشيا) يرجوه الدفاع بدلاً منه. وبرغم موافقة الدوق على ذلك إلا أنه كان مندهشا من صغر سن ذلك الشاب الغريب ووجهه الغض..!

وبدأت المحاكمة الهامة. وتطلعت بورشيا حولها، ورأت ذلك اليهودى عديم الرحمة، ورأت بسانيو، الذى لم يستطع التعرف عليها فى زى المحامى، وكان يقف إلى جوار أنطونيو، فى حزن عميق، خوفًا على مصير صديقه..!

وهيأت بورشيا نفسها بجسارة للمهمة التى وعدت بالقيام بها، وقبل أى شىء قدمت نفسها إلى شيلوك.

وقالت له : إن له الحق بموجب قانون فينيسيا أن ينفذ كل ما جاء فى العقد، لكنها تحدثت برقة وطلاوة، عن المزايا النبيلة للرحمة، حديثا كان كفيلا بأن يرثق أى قلب إلا قلب شيلوك عديم الشعور.

وقالت بورشيا : "الرحمة تتساقط فوق هذا المكان وكأنها مطر رقيق، إنها ذات بركة مزدوجة، بركة للذى أعطى، وبركة للذى أخذ، إنها زينة رقيقة للملك أكثر من التاج نفسه، لأنها صفة من صفات الله وحده، والسلطة الأرضية تحاول الاقتراب من الله، عندما تختلط العدالة بالرحمة : تذكروا أنه إذا كنا جميعًا نصلى من أجل الرحمة، فإن هذه الصلوات نفسها تعلمنا كيف نستعمل الرحمة!"..

كانت كل ردود شيلوك تطالب بتنفيذ ما جاء فى القانون.

فسألته بورشيا: " أليس المدين قادرًا على دفع النقود؟ ".

فقال بسانيو عندئذ : " إنه مستعد لأن يدفع أضعاف الثلاثة آلاف جنيه، إذا شاء.. لكن شيلوك رفض وظل يطالب برطل من لحم أنطونيو. فطلب بسانيو من المحامى المثقف أن يحاول التحايل على القانون بعض الشىء، لينقذ حياة أنطونيو، فأجابت بورشيا بأسى بأن القانون طالما صدر فلا يمكن تعديله أبدًا. وعندما سمع شيلوك بورشيا تقول بأن القانون لا يمكن تعديله، اعتقد أنها تتكلم لصالحه، فقال: "لقد هبط الملاك دانيال إلى المحكمة، متمثلاً فى شخصك! أوه أيها المحامى الشاب الحكيم، كيف يتسنى لى أن أشكرك ! كم أنت أكثر حكمة من مظهرك!!

ثم طلبت بورشيا من شيلوك أن يطلعها على العقد، وعندما قرأته، قالت: "بمقتضى هذا العقد يحق لليهودى قانونًا أن يطالب برطل من اللحم، يقطع بواسطته، بالقرب من قلب أنطونيو" . ثم قالت لشيلوك : " كن رحيمًا، خذ النقود، ودعنى أمزق هذا العقد".

لكن شيلوك الشرير لم يظهر أى نوع من الرحمة وقال : " قسمًا بروحى، ليس هناك قوة تستطيع أن تجعلنى أغير موقفى!"..

فقالت بورشيا : "إذن ينبغى عليك يا أنطونيو أن تعد صدرك لسكينه".. وبينما كان شيلوك يقوم بسن سكينه الطويلة الحادة ليقطع رطلاً من اللحم، قالت بورشيا لأنطونيو: " هل لديك ما تقوله ؟ ".

فأجاب أنطونيو بصوت هادئ : " إنه ليس لديه إلا القليل ليقوله، إذ إنه هيأ ذهنه للموت. ثم قال لبسانيو: " أعطنى يدك يا بسانيو!" .. وداعًا!.. لا تحزن لذلك المصير الذى قادنى إليه سوء حظى من أجلك.. اذكرنى بخير لدى زوجتك الشريفة، وقل لها كيف أننى أحببتك!"..

فأجاب بسانيو بحزن شديد : " أنطونيو، لقد تزوجت من زوجة، عزيزة لدى عزة الحياة نفسها، لكن الحياة نفسها، وزوجتى، وكل العالم، لا يساوى عندى شيئًا مقابل حياتك.. أود لو أفقد كل شىء، لأعطيه لذلك الشيطان الموجود هنا، لأنقذ حياتك!"..

وعندما سمعت بورشيا ذلك، لم تستطع مقاومة الإجابة قائلا فقالت : " إن زوجتك لن تسامحك على ذلك، لو أنها كانت موجودة هنا، وسمعتك تقدم هذا العرض".

بعد ذلك قام جراتيانو، الذى يحب أن يقلد سيده فيما يفعل، وقال فى حضور نيرسا: " إن لدى زوجة أزعم أننى أحبها، وإذا كانت حياتها، تستطيع أن تؤثر بعض الشىء على تفكير ذلك اليهودى القاسى، فلا بأس عندى أن تموت".

فقالت نيرسا : "من الطيب أن تقول ذلك من وراء ظهرها، وإلا لكنت تعرضت للمتاعب فى البيت!! "

وصاح شيلوك : "نحن نضيع الوقت، أرجو من عدالة المحكمة أن تنطق بالحكم".. فى هذه اللحظة امتلأت كل القلوب حزنا من أجل أنطونيو..

وتساءلت بورشيا عن الميـــزان، إذا كان جاهزًا لوزن اللحم، ثم قالت لليهودى: " ينبغى أن تحضر طبيبًا إلى هنا، حتى لا ينزف دما حتى الموت".

لكن شيلوك الذى كان يأمل فى أن ينزف حتى الموت قال : " ليس ذلك مذكورًا فى العقد!"..

فأجابت بورشيا : "صحيح أنه ليس مذكورا فى العقد، لا جدال فى ذلك؟. ولكن من الأفضل أن تفعل ذلك من أجل الإنسانية"..

فكان رد شيلوك على ذلك : "أنا لا أفهم، ليس ذلك موجوداً فى العقد".

فقالت بورشيا : "إذن من حقك أن تأخذ رطلاً من لحم أنطونيو. القانون يسمح لك بذلك، والمحكمة تعطيك هذا الحق، على أن تقطع اللحم من منطقة الصدر. القانون يسمح لك بذلك، والمحكمة تعطيك هذا الحق".

ومرة ثانية صاح شيلوك : "حكم سليم وعادل! لقد هبط الملاك دانيال إلى المحكمة متمثلاً فى شخصك". وأعاد سن سكينه الطويلة مرة ثانية، وهو ينظر بشغف إلى أنطونيو، وقال: " هيا، استعد!".

فقالت بورشيا : "انتظر قليلاً، أيها اليهودى. فهناك شىء آخر!".. هذا العقد ينص على عدم وجود قطرة دم، فالكلمات المكتوبة هى، " رطل من اللحم" .

أما إذا حدث. أثناء قطع رطل اللحم أن سقطت نقطة من دم ذلك المسيحى، فإن ممتلكاتك وبضائعك تؤخذ منك بواسطة القانون، وتؤول إلى حكومة مقاطعة فينيسيا".

أصبح من الواضح تماماً عدم إمكان شيلوك قطع رطل من اللحم دون أن تسيل نقطة من دم أنطونيو، وعلى ذلك فإن كلمات بورشيا الحكيمة، بأن العقد نص على اللحم فقط وليس الدم، كانت كفيلة بإنقاذ حياة أنطونيو.. وإزاء إعجاب الجميع بروعة وحكمة الشاب المحامى، أخذوا يصيحون فرحًا من كل مكان فى المحكمة، وصاح جراتيانو بنفس الكلمات التى استعملها اليهودى : " حكم سليم وعادل! أترى أيها اليهودى، لقد هبط الملاك دانيال إلى المحكمة".

أما شيلوك وقد وجد نفسه مهزوماً، فقد قال بنظرة كلها أسى، إنه يقبل أن يأخذ النقود، فصاح بسانيو : " ها هى النقود! "

لكن بورشيا أوقفته قائلة : "انتظر، لا داعى للعجلة، فاليهودى لن يأخذ شيئًا إلا

ما هو منصوص عليه فى العقد. لذا استعد يا شيلوك لتقطع اللحم، لكن تذكر، دون أن تسيل نقطة دم : ودون أن تقطع أكثر ولا أقل من رطل كما هو منصوص فى العقد. ولو زاد الميزان أو نقص بمقدار شعرة واحدة، فسوف تقدم للمحاكمة ويحكم عليك بالموت طبقًا لقانون فنيسيا، وتؤول كل ثروتك إلى الدولة!"..

فقال شيلوك : "أعطونى نقودى، ودعونى أنصرف! " ..

فقال بسانيو : إنها جاهزة معى، ها هى "..

وكان شيلوك على وشك أن يأخذها عندما استوقفته مرة ثانية وقالت له :

"انتظر أيها اليهودى، هناك اتهام أخر أوجهه إليك. طبقًا لقانون فينيسيا، ستؤول ثروتك إلى الدولة، لأنك تآمرت على حياة واحد من مواطنيها.. أما حياتك فمتروكة لرحمة الدوق، لذا اركع على ركبتيك واطلب منه أن يعفو عنك!"..

حينئذ قال الدوق إلى شيلوك "حتى تتبين مدى سماحة عقيدتنا المسيحية، فإننى أعفو عنك قبل أن تطلب ذلك.. على أن تؤول نصف ثروتك إلى أنطونيو، والنصف الثانى إلى الدولة".

عند ذلك أعلن أنطونيو الطيب استعداداه للتنازل عن نصيبه إلى شيلوك، إذا وقع عقداً تؤول بمقتضاه هذه الثروة إلى ابنته وزوجها بعد وفاته . لأن أنطونيو كان يعرف أن لليهودى ابنة وحيدة، تزوجت مؤخراً على غير رغبة أبيها من شاب مسيحى يدعى لورنزو، صديق لأنطونيو، مما جعل شيلوك يغضب غضباً شديداً.

ووافق اليهودى على ذلك، وقال بكل أسى وحزن : " أنا مريض. دعونى أذهب إلى بيتى، وأرسلوا العقد فى إثرى، وسأتنازل فيه عن نصف ثروتى لابنتى".

فقال الدوق : " هيا إذن، وقع عليه. وإذا كنت نادمًا حقًا على ما بدر منك، وتتحول إلى مسيحى، فإن الدولة سوف تعفو عنك وترد إليك نصف ثروتك الآخر".

ولم يلبث الدوق أن أطلق سراح أنطونيو، وترك القاعة هو ومستشاروه،

عندئذ قال بسانيو إلى بورشيا: " أنت تستحقين كل التقدير، فلقد أنقذنا اليوم أنا وصديقى بسبب حكمتك. فأرجو منك أن تقبل هذه الثلاثة آلاف جنيهًا التى كنا سنعطيها لليهودى".

لم تقبل بورشيا النقود، لكن إزاء ضغط بسانيو عليها لتقبل هدية ما، قالت: "أعطنى قفازك، وسأرتديه من أجل خاطرك". وعلى الفور خلع بسانيو قفازه، فرأت الخاتم الذى أعطته له حول أصبعه. فقالت: " ولأننى أحبك فسوف آخذ هذا الخاتم منك".

شعر بسانيو بالحرج لأن المحامى طلب منه الشىء الوحيد الذى لا يستطيع أن يفرط منه، وقال إنه لا يستطيع أن يعطيها هذا الخاتم، لأنه هدية زوجته له، وقد أقسم لها ألا يفرط فيه أبدًا. لكنه قال إنه على استعداد لأن يشترى له أغلى خاتم فى فينيسيا، عند ذلك تظاهرت بورشيا بالغضب، وتركت المحكمة قائلة: " لقد جعلتنى أشعر يا سيدى وكأنى شحاذ يتسول منك".

فقال أنطونيو: "يا عزيزى بسانيو، دعه يأخذ الخاتم". وخشى بسانيو أن يبدو بمظهر الناكر للجميل، فاستسلم، وبعث جراتيانو بالخاتم وراء بورشيا. وكذلك فعلت نيرسا (الكاتب) إذ طلبت الخاتم الذى كانت قد أعطته لجراتيانو، فقام جرايتانو (على غير رغبة منه) بإعطائه لها. وسرت بينهما ضحكات خفيفة، لتصورهما ماذا يكون الموقف فى البيت، عندما تتهمان زوجيهما، بإعطاء الخاتمين كهدية لامرأتين..

عندما عادت بورشيا، كانت صافية الذهن سعيدة بما قامت به من فعل طيب. كانت تستمتع بكل شىء تراه: فالقمر كان يبدو ساطعًا أكثر من ذى قبل، حتى عندما يختفى وراء سحابة.. وحتى ذلك الضوء الذى كان ينبعث من بيتها فى بلمونت أثار خيالها فقالت لنيرسا: " هذا الضوء الذى نراه فى صالة البيت كم هو وهاج، كيف يتأتى لمثل هذه الشموع الصغيرة أن تثير كل هذا الاشعاع من الضوء.. وهكذا فإن الأفعال الطيبة مثل الشموع تضىء بأشعتها هذا العالم الأحمق"..

وعندما سمعت صوت الموسيقى ينبعث من بيتها قالت : " إن صوت الموسيقى بالليل، أفضل منه بالنهار !"..

ودخلت بورشيا ونيرسا المنزل وارتديتا ملابسهما العادية، انتظارا لزوجيهما اللذين سرعان ما عادا ومعهما أنطونيو، وما لبثوا أن رأوا نيرسا تتشاجر مع زوجها فى أحد أركان الحجرة..

فقالت بورشيا : "هل بدأ الشجار؟ ما الخبر؟. فأجاب جراتيانو: " سيدتى، إنه بخصوص ذلك الخاتم الرخيص الذى أعطته لى نيرسا".

فقالت نيرسا : " القيمة ليست فيما يساوى الخاتم؟ لقد أقسمت لى، عندما أعطيته لك، بأنك سوف تحتفظ به حتى ساعة موتك، والآن تقول لى أنك أعطيته لكاتب المحامى، أنا أعلم أنك أعطيته إلى امرأة!"..

فأجاب جراتيانو : "وحق يدى هذه، لقد أعطيته لذلك الشاب... لذلك الولد الطيب، الذى لا يزيد طولاً عنك.. إنه كاتب المحامى الشاب، الذى أنقذت كلماته الحكيمة حياة أنطونيو، هذا الولد الطيب طلب منى الخاتم بمثابة أجر، ولم أستطع أن أقول له لا".

فقالت بورشيا : " أنت تستحق اللوم يا جراتيانو، لأنك فرطت فى هدية زوجتك الأولى. فأنا مثلاً أعطيت بسانيو خاتمًا، وأنا متأكدة، أنه لا يستطيع أن يفرط فيه مقابل العالم أجمع!"..

ولكى يبرر جراتيانو خطأه، قال : " إن سيدى بسانيو أعطى خاتمه أيضًا للمحامى" وبعدها طلب منى كاتب المحامى خاتمى!"..

وما إن سمعت بورشيا ذلك حتى تظاهرت بالغضب الشديد، ولامت بسانيو لتفريطه فى خاتمها.. وقالت إن نيرسا علمتها ما يمكن أن تصدقه، بأن امرأة أخرى قد أخذت الخاتم!!

كان بسانيو غير سعيد على الإطلاق، لأنه تسبب فى غضب زوجته العزيزة، وقال: " كلا، بشرفى - لم تأخذه امرأة أخرى، لكنه المحامى، الذى رفض أخذ الثلاثة الاف جنيهًا منى، وطلب الخاتم.. فما الذى كنت أستطيع أن أفعله، يا عزيزتى بورشيا؟.. لقد كنت مليئًا بالخجل، إلى أن أجبرت على ارسال الخاتم إليه بعد انصرافه غاضبًا. اغفرى لى، يا سيدتى الطيبة، وأعتقد أنك لو كنت هناك، لكنت طلبت منى الخاتم لتعطيه لذلك المحامى الطيب"..

فقال أنطونيو: " آه، أنا سبب كل هذا الشجار!"..

فطلبت بورشيا من أنطونيو ألا يحزن لذلك،

فقال أنطونيو : "لقد قمت ذات مرة باقراض جسدى من أجل بسانيو، وقد أعطى زوجك الخاتم إلى ذلك الشخص الذى لولاه لكنت الآن ميتا. وأنا أعدك يا سيدتى. بأن زوجك لن يحطم ثقتك فيه مرة ثانية أبدًا".

فقالت بورشيا : "إذن، أعطه ذلك الخاتم، واطلب منه أن يحافظ عليه أكثر من الآخر".

عندما رأى بسانيو الخاتم، كانت دهشته كبيرة لاكتشافه أنه هو نفس الخاتم الذى أعطاه للمحامى. فأخبرته بورشيا إنها هى التى قامت بدور المحامى الشاب، وقامت نيرسا بدور كاتب المحامى. واكتشف بسانيو خلال دهشته وفرحته، أن إنقاذ حياة أنطونيو. كان بفضل شجاعة وحكمة زوجته!

قامت بورشيا بالترحيب ثانية بأنطونيو، وأعطته خطابًا يفيد بأن سفنه التى كان من المفروض أنها غرقت، قد وصلت إلى الميناء بسلام!

وهكذا فإن هذه البدايات السيئة، لحكاية هذا التاجر الثرى قد نسيت تمامًا، إزاء ذلك الحظ السعيد الذى أقبل عليه بعد ذلك، وكان هناك وقت للضحك على قصة الخاتمين، وعلى هذين الزوجين اللذين لم يتعرفا على زوجتيهما: وأقسم جراتيانو وهو يضحك بأنه : مهما طالت به الحياة، فإنه سيكون حريصًا على الحفاظ على خاتم نيرسا!!

سيمبيلين

خلال فترة حكم "أوجست قيصر" إمبراطور روما، كان هناك إقليم فى إنجلترا (يسمى وقتها بريطانيا) يحكمه ملك يدعى سيمبيلين.

ماتت زوجة سيمبلين الأولى عندما كان أطفاله الثلاثة صغارًا جدًا (ولدان وبنت). كانت إموجين أكبر هؤلاء الأطفال سنًا، وتربت فى بلاط أبيها، لكن حدث أن اختطف ابنا سيمبيلين من مدرستهما. عندما كان عمر الابنة ثلاث سنوات. والصغيران مجرد طفلين، ولم يستطع سيمبيلين أن يكتشف ماذا حدث لهما، أو من الذى اختطفهما على الإطلاق .

تزوج سيمبيلين مرتين، كانت زوجته الثانية شريرة، إمرأة داهية وزوجة أب قاسية على إموجين ابنة سيمبيلين من زوجته الأولى.

ورغم أن الملكة كانت تكره إموجين، فقد كانت ترغب فى تزوجيها من ابن زوجها السابق (فهى أيضا تزوجت مرتين). لأنها بهذه الوسيلة كانت تأمل بعد موت سيمبيلين أن تضع تاج بريطانيا على رأس ابنها كلوتن، لأنها كانت تدرك أنه إذا لم يعثر على ابنى الملك، فستكون الأميرة إموجين وريثة للملك. لكن هذا التخطيط لم يتم من قبل إموجين نفسها، لأنها تزوجت دون موافقة والدها أو علمه هو والملكة.

بوثماس (كان اسم زوج إموجين) وكان تلميذًا مجتهدًا وفى منتهى الاحترام لشاب فى مثل سنه. مات أبوه أثناء القتال فى الحروب التى خاضها سيمبيلين، وبعد ولادته مباشرة ماتت أمه كذلك حزنًا لفقدان زوجها.

أشفق سيمبيلين على ذلك اليتيم الذى لا حول له ولا قوة، فكفله سيمبيلين (بعد أن أطلق عليه اسم بوثماس لأنه ولد بعد موت أبيه) وتلقى تعليمه فى البلاط الملكى.

تلقى بوثماس وإموجين تعليمهما على يد نفس المدرسين، وكانا زميلا لعب منذ طفولتهما، وأحب كل منهما الآخر ببرائة منذ أن كانا طفلين، ومع مرور السنين زاد حبهما ارتباطًا، وعندما كبرا تزوجا سرًا.

سرعان ما علمت الملكة المحبطة بهذا السر، لأنها كانت تواصل التجسس على تحركاتهما بشكل دائم، وعلى الفور أخبرت الملك بزواج إموجين من بوثماس.

لم يكن هناك شيء يتجاوز غضب سيمبيلين، عندما سمع أن ابنته فرطت فى كبريائها بزواجها تابعًا له. فأمر بوثماس بمغادرة بريطانيا، وإبعاده عن وطنه الأصلى إلى الأبد.

تظاهرت الملكة بالشفقة على إموجين بسبب الحزن الذى تعانيه لفقدان زوجها، فعرضت عليها تدبير لقاء خاص بينهما قبل أن يبدأ رحلته إلى روما، التى اختارها مكانًا للإقامة أثناء فترة عقابه، هذا العطف الزائف الذى أبدته الملكة، كان أحسن وسيلة لنجاح خطتها المستقبلية لصالح ابنها كلوتن، لأنها أقنعت إموجين بعد أن رحل زوجها، بأن زواجها غير قانونى، لأنه تم دون رضاء الملك.

قضى إموجين وبوثماس لقاءً مؤثرًا للغاية قبل الفراق، وأعطته إموجين خاتمًا من الماس يخص والدتها، ووعدها بوثماس بألا يفارقه على الإطلاق، وقام هو بتثبيت سوار حول ذراعها، وطلب منها الحفاظ عليها بعناية شديدة، رمزًا لحبه، وودعا بعضهما وتعاهدا على الحب والوفاء إلى الأبد.

ظلت إموجين منعزلة وحزينة فى بلاط أبيها، ووصل بوثماس إلى روما، المكان الذى اختاره لعقابه.

عندما وصل بوثماس إلى روما التقى بمجموعة من الشباب من بلاد مختلفة شرعوا يتحدثون عن النساء بحرية، وأخذ كل منهم يمتدح نساء بلده، وعلى الأخص صديقته . أما بوثماس ولم يكن له صديقة خاصة مثلهم. فأكد أن زوجته إموجين الجميلة الفاضلة الحكيمة المخلصة، هى أفضل سيدة فى العالم.

اعترض أحدهم واسمه لاشيمو على أن تُمتدح سيدة من بريطانيا، لتكون هى الأفضل من سيدات روما، مواطناته، فأخذ يثير الشك فى إخلاصها لبوثماس الذى امتدحها إلى حد كبير، وبعد كثير من المشاحنات وافق بوثماس على اقتراح لاشيمو بأن يذهب إلى بريطانيا، ويسعى لكسب حب إموجين الزوجة . تراهن الاثنان على أن يدفع لاشيمو مبلغًا كبيرًا إذا فشل فى مسعاه الدنىء، وفى حالة نجاحه فى كسب حب إموجين وإقناعها بإعطائه السوار الذى أهداه لها بوثماس وتحتفظ به كرمز لحبها، فإن الرهان أن يعطيه بوثماس الخاتم، الذى أعطته له إموجين عندما افترقت عن زوجها. هذه الثقة القوية فى إخلاص إموجين جعلته يعتقد أنه لا يقوم بمجازفة خطره لاختبار شرفها.

عندما وصل لاشيمو إلى بريطانيا، استقبل بترحاب ولطف من إموجين، باعتباره صديقًا لزوجها، لكن عندما بدأ يلقى عليها شباك الحب المحترف، صدته بأنفة وكبرياء، وسرعان ما اكتشف بأن لا أمل فى نجاح مقصده الدنىء.

لكن رغبة لاشيمو لكسب الرهان جعلته يلجأ إلى خدعة لينتصر على بوثماس، فقام برشوة بعض خدم إموجين، واستطاع بمساعدتهم دخول حجرة نومها مختفيًا داخل صندوق كبير، ظل محبوسًا داخله حتى عادت إموجين لتستريح، وما لبثت أن استغرقت فى النوم، بعد ذلك خرج من الصندوق، وتفحص أرجاء الحجرة بعناية شديدة، وسجل كل شىء رآه كتابة، وبصفة خاصة تلك الشامة (الحسنة) التى رآها على عنق إموجين، ثم قام بحل السوار بهدوء ورقة من على ذراعها، ثم عاد إلى الصندوق ثانية، وفى اليوم التالى رحل إلى روما، وبسرعة شديدة وتباهٍ أخبر بوثماس أن إموجين أعطته السوار الذى أعطاه لها، وعلاوة على ذلك سمحت له بقضاء الليل فى "حجرة نومها" ثم قال : " حجرة نومها مزينة برسوم منسوجة وموشاه بالحرير والفضة، وكان اللقاء مثل لقاء كيلوباترا المزهوه، عندما التقت بأنطونى."

قال بوثماس : " هذا صحيح، لكن ربما يكون ذلك مجرد كلام سمعته دون أن تراه".

فقال لاشيمو : " لكن مدخنة المدفأة فى جنوب الغرفة، والتمثال الموجود فوقها

"للإلهة ديانا وهى تستحم" لم أرى تمثالا أبداً بمثل هذه الحيوية والتعبير.

قال بوثماس : " ربما يكون ذلك شيئًا سمعته أيضا فهناك الكثير من الكلام حول ذلك".

لكن لاشيمو وصف سقف حجرة النوم بدقة، ثم قال "لقد نسيت الدعامات الأفقية، فهي على شكل تمثالين لكيبوبيد وهو يغمز بعينيه، ومصنوعان من الفضة وكلاهما يقف على قدم واحدة". بعد ذلك أخرج السوار، وقال : "هل تعرف هذا، يا سيدى؟ لقد أعطتنى إياه. خلعته من ذراعها . مازالت صورتها أمامى، بحركتها الرقيقة التى تفوق ثمن هديتها، وتعطيها قيمة أكبر أيضا. أعطتنى إياه ثم قالت : "لقد فزت به مرة" . وأخيراً وبعد ذلك، وصف الشامة (الحسنة) التى رأها على عنقها.

بعد أن استمع بوثماس إلى كل ذلك الوصف الدقيق للغاية، وهو يعانى عذابات الشك، اندفع صائحًا بكل انفعال وغضب ضد إموجين . وسلم الخاتم إلى لاشيمو ، بناء على الاتفاق بتسليمه له لو أنه حصل على السوار من إموجين.

قام بوثماس أثناء ثورة غضبه العارمة بالكتابة إلى "بسانيو" فى بريطانيا، وهو أحد خدام إموجين وبمثابة صديق مخلص لبوثماس، وبعد أن أخبره بما يثبت عدم إخلاص زوجته طلب منه أن يأخذ إموجين إلى "ميلفورد- هافن" الميناء البحرى لويلز، وهناك يقتلها. فى نفس الوقت كتب رسالة مضللة لإموجين يطلب منها أن تذهب مع بسانيو، لأنه اكتشف أنه لا يستطيع العيش دون أن يراها، رغم أنه محرم عليه العودة إلى بريطانيا وسيعاقب بالموت، إلا إنه سيذهب إلى "ميلفورد-هافن"، حيث يتسنى له مقابلتها هناك كما يأمل. ولما كانت إموجين سيدة طيبة لا يساورها الشك، وتحب زوجها وتفضله على كل شىء، وترغب كثيراً فى رؤيته، فقد أسرعت بالرحيل مع بسانيو فى نفس الليلة التى تلقت فيها رسالته.

عندما أوشكت رحلتهما على الانتهاء، فإن بسانيو ورغم إخلاصه لبوثماس لم يكن مؤمنًا بمساعدة بوثماس فى عمل شرير مثل هذا، فكشف لإموجين الطلب القاسى الذى كلفه به بوثماس.

وبدلاً من أن تقابل إموجين زوجًا يحبها وتحبه، وجدت نفسها مدانة محكوم عليها بالموت، فأصابها الحزن إلى حد كبير.

أقنعها بسانيو بأن تهدأ، وتنتظر وتتحلى بالصبر والجلد لفترة من الزمن، حتى يكتشف بوثماس خطأه، ويندم على حكمه الظالم: وفى نفس الوقت رفضت وهى فى محنتها العودة إلى بلاط أبيها، فنصحها بسانيو أن تتنكر فى ملابس الرجال لضمان مزيد من الأمان فى أثناء رحلتها، فوافقت على تلك النصيحة، وفكرت أنها بتنكرها هذا من الممكن أن تذهب إلى روما، وترى زوجها، الذى عاملها بمنتهى البربرية، إلا إنها لم تستطع نسيان حبه.

بعد أن زودها بسانيو بملابسها الجديدة، تركها لمصيرها المجهول، لأنه كان مجبراً للعودة إلى القصر، لكنه قبل رحيله أعطاها قنينة دواء، وقال إن الملكة أعطته له كعلاج ممتاز لكل الأوجاع.

كانت الملكة تكره بسانيو لأنه صديق لإموجين وبوثماس، فأعطته هذا الدواء بعد أن أمرت طبيبها بوضع السم فيه لاختبار أثره (كما قالت) على الحيوانات، لكن الطبيب كان يعرف نواياها الخبيثة، فلم يضف إليه السم، وأعطاها دواء آخر لا يحدث أى أثر، لكنه يجعل الشخص ينام عدة ساعات وتبدو عليه كل ملامح الموت. هذه الخلطة التى تصور أنها علاج منعش، أعطاها لإموجين، ونصحها أن تتناوله إذا شعرت بأى تعب فى الطريق، مع تمنياته ودعواته لها بسلامة الوصول والخلاص من متاعبها التى لا تستحقها ورحل.

وللصدفة الغريبة قادتها خطواتها مقاطعة بروفيلدنس فى فرنسا حيث يقيم أخواها، اللذان اختطفا خلسة فى طفولتهما، على يد "بلاريوس" الذى كان لورداً فى بلاط سيمبيلن واتهم زوراً بخيانة الملك وطرد من البلاط، وانتقامًا لنفسه قام بخطف طفلى سيمبيلن، وقام بتربيتهما فى إحدى الغابات، ويعيش مختبئًا فى أحد الكهوف. لقد قام باختطاف الطفلين بدافع الانتقام، لكن سرعان ما أحبهما بشغف كما لو كان طفليه، قام بتعليمهما بعناية، حتى أصبحا شابين يافعين، ولانتسابهما إلى جذور

ملكية نبيلة، كانا يقومان بالأعمال البطولية الجريئة، خاصة أنهما كانا يعيشان على الصيد ويبذلان أقصى جهدهما، ودائما ما كانا يضغطان على والدهما المفترض لإتاحة الفرصة لهما لتجريب حظهما فى الحرب.

من حسن حظ إموجين أن وصلت إلى الكهف الذى يعيشان فيه، بعد أن ضلت طريقها فى الغابة الشاسعة، وهى فى طريقها إلى "ميلفورد -هافن" (ومن ثم تتجه إلى روما)، ولم تستطع أن تجد مكانا تشترى منه طعاما، كانت منهكة جداً وجائعة وتكاد تموت، ولا يمنع كونها سيدة رقيقة أن تشعر بالتعب حتى لو كانت ترتدى زى الرجال، وتتجول وحدها فى الغابة. عندما رأت الكهف دخلت على أمل أن تجد أحداً بداخله أو طعاماً. وجدت الكهف خالياً، وعندما تطلعت حواليها اكتشف وجود لحم بارد، ولما كان جوعها شديداً فلم تستطع الانتظار ليدعوها أحد، فجلست وبدأت تأكل. ثم قالت لنفسها: " كم هى صعبة حياة الرجال، فكم أنا متعبة!. فعلى مدى ليلتين كانت الأرض سريرى : لكن عزيمتى ساعدتنى، وإلا كنت مرضت . عندما أرانى بسانيو "ميلفورد – هافن" من فوق قمة الجبل، بدت لى قريبة جداً راودتها الأفكار عن زوجها وقسوته عليها. فقالت : " يا عزيزى بوثماس، أنت شخص مزيف".

كان إخوة إموجين يقومان بالصيد مع والدهم المفترض، " بلاريوس"، وفى ذلك الوقت كانوا عائدين إلى مقرهم، كان بلاريوس قد أطلق عليهما اسمى "بوليدو" و"جادوال" ولم يكن يعلما أى شىء آخر، سوى أن بلاريوس هو والدهم، فى حين كان اسم هذين الأميرين "جيديروس" و "أرفيرا جوس".

دخل بلاريوس الكهف أولا، وعندما رأى إموجين أوقفهما قائلا : " لا تدخلا بعد، لقد أكلت طعامنا، ربما تكون جنية".

قال الشابان : " ما الأمر بحق جوبتر؟ " فقال بلاريوس ثانية : " يوجد ملاك فى الكهف، وإذا لم يكن الأمر كذلك فهى تحفة أرضية، حيث بدت إموجين فى منتهى الجمال رغم ملبسها الرجالى.

عندما سمعت أصواتهم آتية عبر الكهف قالت لهم : " لا تؤذونى أيها السادة الطيبون لأننى دخلت كهفكم، فقد ظننت أنه يمكننى أن أستجدى شيئًا أو أشترى ما أكلته. أنا فى الحقيقة لم أسرق شيئًا، ولم أكن أنوى ذلك، وهذه نقود ثمنا للحم، تركتها على الطاولة عندما بدأت الأكل، وأخذت أدعو بالخير لأصحاب هذا الطعام. لكنهم رفضوا نقودها بمنتهى الجدية. فقالت إموجين "أرى أنكم غاضبون منى، لكن أيها السادة، لو أنكم قتلتمونى بسبب غلطتى، فأرجو أن تعلموا أننى كنت سأموت إن لم أفعل ذلك".

سألها بلاريوس : " من أين أنت، وما هو اسمك".

أجابت إموجين : " إسمى فيدل، لى قريب يعيش فى إيطاليا، كان قد توجه إلى "ميلفورد - هافن" ويبدوا أنه هلك من الجوع . وأنا وقعت فى نفس الخطأ".

فقال بلاريوس العجوز : " بورك فيك أيها الشاب، أرجو ألا تعتقد إننا من طبقة الفلاحين، أو تقدر تفكيرنا طبقًا لهذا المكان الردىء الذى نعيش فيه. أنت تواجه مأزقا، فالوقت ليل، وسوف تنال أحسن ترحيب قبل أن ترحل وشكر لبقائك وتناولك الطعام. قدموا له التحية يا أولاد."

قام الشابان، شقيقاها بالترحيب بإموجين إلى داخل الكهف بكلمات كثيرة وقالا إنهما أحباها (أو كما قالا لها نحن أحببناك) كأخ ثم دخلوا إلى الكهف، يحملان غزالا (كان قد صادوه فى الغابة) أبهجتهم إموجين بحديثها الأُسرى، وساعدتهم فى إعداد عشائهم، مع أن ذلك ليس معتادًا بالنسبة لسيدة شابة من أصول ملكية نبيلة، أن تتعلم الطهى، إلا إنها كانت فى تلك اللحظة تفوقت فى فن الطهى كما عبر شقيقاها عن ذلك. فقد قام فيدل بتقطيع الجذور بأشكال مختلفة وأضافته إلى الحساء، كما لو أنها أخصائية تغذية . عند ذلك قال بوليرو لأخيه "كيف لملاك مثله أن يغنى".

لاحظ الاثنان أن فيدل يبتسم ابتسامة حلوة، إلا إن هناك مسحة من الحزن تكسو وجهه الجميل، كما لو أن الحزن والصبر قد تملكا منه .

لكل هذه السمات الرقيقة (أو ربما للصلة القريبة التى لا يعرفون عنها شيئا)، أصبحت إموجين (أو كما ينادونها فيدل) محببة لدى أخويها، وأحبتهم هى أيضا، وفكرت بأنها من أجل ذكرى حبيبها بوثماس، فبإمكانها أن تعيش وتموت فى الكهف مع شبان الغابة البريين، وقبلت وهى سعيدة أن تبقى معهم، حتى ترتاح بما فيه الكفاية من تعب السفر ثم تواصل طريقها إلى "ميلفورد-هافن".

عندما نفد لحم الغزال، واستعدوا للخروج لمزيد من الصيد، لم يستطع فيدل أن يذهب معهم، لأنها لم تكن على ما يرام. فالأسى، بلا شك، للطريقة القاسية التى عاملها بها زوجها، إضافة إلى التعب الذى حل بها بسبب تجوالها فى الغابة، كل ذلك تسبب فى مرضها.

ودعوها، وذهبوا إلى صيدهم، وهم يمتدحون السلوك النبيل والرقيق لذلك الشاب فيدل. وهكذا بقيت وحدها، وتذكرت دواء "بسانيو" الذى أعطاه لها، فتناولته فى الحال! واستغرقت فى نوم أشبه بالموت.

عندما عاد بلاريوس وإخوتها من الصيد، دخل بوليودو أولاً إلى الكهف، وتصور أنها نائمة، فخلع حذائه الثقيل، ليمشى بخفة حتى لا يوقظها، وكان ذلك تصرفا رقيقا انبثق من ذهن حارس الغابة النبيل، لكن بعد فترة اكتشف أنها لن تستيقظ بأى نوع من الضجيج، فاستنتج أنها ماتت، فانحنى عليها "بوليودو" برقة وإحساس أخوى، كما لو أنهم لم ينفصلوا أبدا عن بعضهم منذ طفولتهم.

اقترح بلاريوس أن يحملوها إلى الخارج فى الغابة ثم يقوموا بالطقوس الجنائزية بالأغانى والألحان الحزينة طبقا للمعتاد فى ذلك الوقت.

حمل الشقيقان إموجين إلى مكان ظليل بعيداً عن الأنظار وأرقداها برقة على العشب، وشرعا فى ترتيل أغان لروحها التى تخلت عنها - وغطوها بأوراق الشجر والزهور. قال "بوليودو" : " خلال نهايات الصيف، وإذا كنت لا أزال أعيش هنا، فسوف أنثر على قبرك، يا فيدل، زهرة الربيع الشاحبة، هذه الزهرة التى تشبه وجهك، تلك الزهرة ذات اللون الأزرق الذى يشبه عروقك، وأوراق النسرين الذكية، لكنها ليست

أكثر عبيراً من أنفاسك، كل ذلك سوف أنثره على جسدك . أما فى الشتاء فسوف أنثر الطحالب المبطنة بالزغب، عندما لا تكون هناك زهور تغطى جثمانك الرقيق.

عندما انتهوا من طقوس الجنازة رحلوا فى منتهى الأسى والحزن.

لم تمضى إموجين وقتا طويلا بعد أن تركوها وحيدة، فعندما انتهى تأثير الدواء المخدر، استيقظت ونفضت بسهولة ما يغطيها من اوراق الشجر والزهور الذى نثروها عليها، نهضت وهى تتخيل أنها كانت تحلم وقالت : " أذكر أننى كنت أرعى شئون الكهف، وأقوم بالطهى لمخلوقات أمينة، كيف حدث أن أصبحت هنا ومغطاة بالزهور؟

لم تكن قادرة على أن تعرف طريق عودتها إلى الكهف، ولا ترى أثراً لرفاقها الجدد، فاستنتجت أن كل ما حدث مجرد حلم، وعادت إموجين ثانية لاستئناف رحلتها الطويلة المضنية وهى تأمل أخيراً أن تعثر على طريقها إلى "ميلفورد –هافن" وتركب من هناك أى سفينة متجهة إلى إيطاليا، فكل تفكيرها كان فى زوجها بوثماس الذى تبحث عنه وهى متخفية فى زى رجل.

لكن أحداثاً كبرى وقعت فى ذلك الوقت، لم تعرف إموجين عنها شيئا، إذ نشبت الحرب فجأة بين إمبراطور روما أوجست قيصر وسيمبيلين ملك بريطانيا، وقد حط الجيش الرومانى استعداداً لغزو بريطانيا فى نفس الغابة التى تتواجد فيها إموجين، ومع هذا الجيش جاء بوثماس.

ورغم أن بوثماس جاء لتخوم بريطانيا مع الجيش الرومانى فلم يكن ينوى المحاربة فى صفه ضد وطنه، لكنه قصد الالتحاق بالجيش البريطانى، ليحارب فى صف ملكه الذى عاقبه.

كان لا يزال يعتقد أن إموجين خائنة، إلا إن خبر موتها بناء على أوامره التى كان يحبها بوله شديد : (فقد قام بسانيو بكتابة خطاب له، أخبره فيه أنه قد أطاع أوامره، وإن إموجين ماتت). كان له وقع ثقيل على قلبه، ولذلك عاد إلى بريطانيا، وكله رغبة فى أن يُقتل فى المعركة، أو يعدم على يد سيمبيلين لعودته إلى الوطن.

قبل أن تصل إموجين إلى "ميلفورد – هافن" وقعت فى أسر الجيش الرومانى،

لكن مظهرها وسلوكها شفعا لها واتخذها الجنرال الرومانى لوسيوس تابعًا له.

فى ذلك الوقت كان جيش سيمبيلين يتقدم لملاقاة العدو. وعندما وصل إلى الغابة، انضم "بوليودو" و "جادوال" إلى جيش الملك. كان الشابان يتوقان للقيام بأعمال بطولية، ولم يدر بخلدهما أنهما يقاتلان من أجل والدهما الملك. وذهب معهما بلاريوس العجوز إلى ساحة المعركة فقد كان يشعر بالندم للجرح الذى سببه لسيمبيلين عندما خطف ولديه، وأيضا لأنه كان مقاتلاً فى شبابه، فانضم بكل سعادة للقتال من أجل الملك الذى جرحه.

نشبت معركة عنيفة بين الجيشين، وكاد البريطانيون أن يُهزموا ويقتل سيمبيلين، لولا الشجاعة غير العادية التى أبداها كل من بوثماس وبلاريوس وابنى سيمبيلين، فقد أنقذوا الملك وحافظوا على حياته وغيروا مصير ذلك اليوم كليه، حتى أحرز البريطانيون النصر.

عندما انتهت المعركة الشرسة، قام بوثماس الذى لم يلق الموت الذى كان يرغب فيه، سلم نفسه لأحد ضباط سيمبيلين، لكى يعاقب بالموت بسبب عودته بعد أن طرد.

أما إموجين وسيدها فقد تم أسرهما، وأحضرا للمثول أمام سيمبلين، وأيضا عدوهم اللدود لاشيمو الذى كان ضابط بالجيش الرومانى، وأثناء مثولهم أمام الملك، أحضر بوثماس لكى يسمع الحكم بإعدامه، فى هذه اللحظة الحرجة تم إحضار بلاريوس وبوليدو وجادوال ليمثلوا أمام سيمبيلين، ليتسلموا جوائزهم إزاء الخدمات الجليلة التى قاموا بها ببسالة من أجل الملك، وكذلك تواجد بسانيو أحد أتباع الملك ليكرم أيضا.

الجميع وقوف فى حضرة الملك (تنتابهم آمال متباينة ومخاوف) بوثماس وإموجين، وسيدها الجنرال الرومانى، والتابع المخلص بسانيو، والصديق الخائن لاشيمو، وكذلك ابنا سيمبيلين مع خاطفهما بلاريوس.

كان الجنرال الرومانى أول من تكلم فى حين وقف الآخرون صامتين أمام الملك، وضربات قلوبهم تدق بسرعة.

تعرفت إموجين على بوثماس، عندما رأته، رغم أنه كان متنكرا فى ملابس فلاح : لكنه لم يتعرف عليها بملابس الرجال: وتعرفت أيضا على لاشيمو ورأت خاتماً فى إصبعه، واكتشفت أنه يخصها، لكنها لم تكن تعلم بعد أنه السبب فى كل ما حدث لها من متاعب. كانت تقف أمام أبيها كأسيرة حرب.

وتعرف بسانيو بالطبع على إموجين، لأنه الذى ألبسها ملابس الرجال. فقال لنفسه : " إنها سيدتى، طالما على قيد الحياة، فلندع الأيام تجرى بما فيه الخير أو الشر" كذلك تعرف عليها بلاريوس فقال بصوت هامس "لجادوال" : "أليس هذا الولد الذى بعث من الموت؟- فأجاب جادوال : " لحظة واحدة، لا يشبه الآخر كثيرا، فيما عدا لون بشرته الوردية التى تماثل لون بشرة فيدل" - فقال بوليودو : " إنه نفس الشخص حيًا " . فقال بلاريوس : " إهدأ إهدأ، لو كان هو. فأنا على يقين بأنه سيتحدث معنا". لكن بوليودو قال هامساً : " لكننا شاهدناه ميتًا، فأجاب بلاريوس : "أسكت".

وقف بوثماس فى هدوء منتظراً بكل ترحيب سماع حكم إعدامه، وقد قرر ألا يكشف للملك أنه أنقذ حياته فى المعركة، خشية أن يؤدى ذلك إلى عفو سيمبيلين عنه.

أما الجنرال الرومانى لاسيوس، الذى كانت إموجين تحت رعايته كتابع له، فكان أول المتكلمين (كما سبق أن ذكرنا) أمام الملك، فكان رجلاً شجاعًا وشخصيته نبيلة، وهذا نص كلامه للملك :

" أعرف أنك لا تقبل فدية من أسراك، لكنك تأمر باعدامهم جميعًا : أنا رجل رومانى، وسوف أعانى سكرات الموت بقلب رومانى، لكن هناك شىء واحد أستعطفك فيه . " ثم قرب إموجين لتكون أمام الملك" ثم قال : " هذا الفتى بريطانى المولد، فلتسمح لى بأن أفتديه . هو تابعى ولم يحدث يا سيدى أن كان لدى مثل هذا التابع، العطوف، يقوم بواجبه على أكمل وجه، بشوش دائما، صادق، أشبه بالممرضة، لم يصدر منه أى عمل خاطئ ضد بريطانيا، رغم أنه خدم رجلاً رومانيًا . أرجو أن تعفو عنه، لو أنك لن تثتثنى آخر غيره.

نظر سيمبيلين باهتمام على ابنته إموجين . لم يتعرف عليها من خلال تنكرها : لكن يبدو كما لو أن قوى الطبيعة البشرية كلها تجمعت فى قلبه، لأنه قال : " أنا

بالتأكيد رأيته من قبل، فوجهه مألوف لدى . وأنا لا أعرف لماذا أو ما هو السبب الذى يجعلنى أقول : " فلتعش، أيها الفتى" سأهبك حياتك، ولك أن تطلب منى أى شىء تريده، وسوف أمنحك إياه . أجل، حتى لو كانت حياة أنبل الأسرى لدى."

قالت إموجين : " بكل احترام وتبجيل أشكر جلالتك".

ذلك ما كان يعرف بالوعد الملكى مثلما تتعهد لأى شخص بتحقيق أى شىء يطلبه، مهما كان هذا الطلب، وبالتالى فإن الشخص الذى ينال هذا الوعد الملكى من حقه أن يطلب أى شىء. كان الجميع فى شوق شديد لسماع ما سيطلبه التابع، فقال لها سيدها لا سيوس : " أنا لا أستجدى حياتى، أيها الفتى الطيب، لأننى أعلم ما سوف تطلبه، فقالت إموجين : كلا، كلا، للأسف! أنا مشغولة بشىء آخر، يا سيدى الطيب . أنا لا أستطيع أن أطالب بحياتك."

دهش الجنرال الرومانى لأسلوب الامتنان والشكر الذى قاله الفتى.

ثبتت إموجين عينيها على لاشيمو، ولم يكن يشغلها إلا طلب واحد فقط بأن يجبر لاشيمو على الاعتراف منذ متى وهذا الخاتم فى إصبعه. وافق سيمبيلين على تحقيق طلبها وهدد لاشيمو بالتعذيب إذ لم يعترف بكيفية الحصول على هذا الخاتم الماسى فى إصبعه.

عندئذ اعترف بكل خسة ونذالة، بكل ما قام به من أفعال دنيئة، وحكى القصة كلها وكيف ارتبط برهان مع بوثماس وكيف نجح فى الانتصار على طيبته.

شعر بوثماس عند سماعه ذلك، ببرهان براءة زوجته بطريقة لا يمكن التعبير عنها وعلى الفور تقدم إلى الأمام واعترف لسيمبيلين بالقرار القاسى الذى طلب من بسانيو أن ينفذه على الأميرة، وصرخ صرخة مدوية، "أوه، إموجين مليكتى، حياتى، زوجتى ! آوه !، إموجين، إموجين، إموجين!

لم تستطع إموجين أن ترى زوجها الحبيب فى حالة الكرب هذه، دون أن تكشف عن نفسها، ومدى الفرحة التى غمرت بوثماس، وتخلص من الإحساس الثقيل بالذنب والأسى، واستعادة زوجته الطيبة الأصيلة التى عاملها بقسوة.

فرحة كبيرة غمرت سيمبيلين بعودة ابنته واستعادتها لعافيتها ومكانتها السابقة عند أبيها، وعدم الاكتفاء بالعفو عن زوجها بوثماس، بل اعترف به زوجاً لابنته.

انتهز بلاريوس تلك الفرصة الغامرة والتصالح، ليقوم باعترافه . فقدم "بوليدو " و "جادوال" إلى الملك، قائلا له هذان ولداك، "جيدروس" و "أرفيراجوس" .

عفا سيمبيلين عن بلاريوس العجوز، إذ لا يمكن لأحد أن يفكر فى العقاب، فى مثل تلك الظروف السعيدة الشاملة، فإن يجد ابنته على قيد الحياة، ويعود ابناه المفقودان فى سن الشباب، ورأى شجاعتهما فى القتال للدفاع عنه، فهذه فرصة حقيقية للسعادة.

كانت إموجين تقدم خدمات جيدة لسيدها السابق القائد الرومانى لاسيوس، الذى منحه الملك حياته بناء على طلبها، ومن خلال الوساطة التى قام بها لاسيوس ساد السلام بين روما وبريطانيا، ودام دون انتهاك سنوات طويلة .

لكن ماذا عن الملكة الشريرة زوجة سميبلين، فإزاء يأسها لتحقيق مخططها، أحست بتأنيب الضمير، ومرضت وماتت دون أن ترى ابنها الأحمق كلوتن الذى قتل فى شجار تسبب هو فى نشوبه. كانت هذه أحداث مأساوية جداً لتعكر صفو هذه النهاية السعيدة. دون أن تمسهم بشكل كبير، فقد كان من المرضى أن أصبح الجميع فى سعادة يستحقونها، وحتى الخائن لاشيمو رغم أغراضه الشريرة التى فشل فى تحقيق هدفه الأخير، فقد طرد دون عقاب.

الملك لير

كان للملك لير ملك بريطانيا، ثلاث بنات جونريل، زوجة دوق ألبانى، وريجان، زوجة دوق كورنوول، وكورديليا أصغرهن. كان كل من ملك فرنسا ودوق برجاندى يرغبان فى الزواج من كورديليا، وأثناء وقوع أحداث الرواية كانا يقيمان فى قصر الملك لير.

كان الملك العجوز الذى تخطى الثمانين بكثير، منهكا للغاية، فقرر ألا يتحمل المزيد من أعباء الحكم فى بلاده، ويترك الفرصة لمن هم أصغر سنا لتدبير شئون البلاد، فاستدعى بناته الثلاث ليعرف من أفواههن أيا منهن تحبه أكثر، وبالتالى يستطيع أن يقسم مملكته بينهن طبقا لحب كل منهن له.

فأعلنت جونريل الكبرى، أنها تحب والدها بأكثر مما تستطيع الكلمات أن تعبر عنه، وأنه أعز لديها من نور عينيها وحياتها وحريتها. ومع أنه من السهل التظاهر بمثل هذا الكلام الذى قد لا يعبر عن حب حقيقى، إلا أن ما نطق به لسانها إنما هو تعبير عما فى قلبها فوهب ثلث مملكته لها ولزوجها.

أما ريجان الابنة الثانية، التى كانت لا تقل زيفا عن أختها، فقد أعلنت أن ما صرحت به أختها لا يعبر تعبيرا كافيا عن الحب الذى تكنه هى لوالدها. وأنها قد اكتشفت أن كل المتع الأخرى لامجال لمقارنتها على الإطلاق، بالسعادة التى حظيت بها من حب مليكها ووالدها العزيز.

أحس لير بالرضا عن نفسه، لأن الله وهبه مثل هذه الذرية الوفية، كما أعتقد، فوهب ثلثا آخر من مملكته إلى ريجان وزوجها، مساويا لنفس القدر الذى وهبه لجونريل.

ثم التفت إلى صغرى بناته كورديليا بهجة نفسه كما كان يدعوها وسألها عما ستقوله .

كان يعتقد بكل تأكيد أنها سوف تسعد أذنيه بنفس الكلام المحب كأختيها، وربما تكون كلماتها أقوى من كلماتهما، لأنها كانت مفعمة بالخجل بسبب كلمات أختيها الزائفة، التى كانت تعلم أن القصد من ورائها فقط، لم يكن إلا للحصول على نصيبهما فى مملكة أبيهما. ولم تقل أى شىء إلا إنها أحبت أباها طبقا لما يمليه عليه واجبها، ليس أكثر ولا أقل!

صدم الملك لصدور هذه الكلمات من ابنته الأثيرة لديه، وكان يرغب منها فى أن تنتقى كلماتها، وتهذب حديثها، وإلا فإنها ستفسد حظها.

عندئذ قالت كورديليا للملك، إنه والدها الذى رباها وأحبها، وقد أحسنت تقدير ذلك، فأحبته وأطاعته وكانت عند حسن ظنه. لكنها لم تستطع القيام بمثل هذه الأحاديث الطويلة كما فعلت أختاها ولا تستطيع أن تعد بألا تحب أحدا سواه فى العالم . وإلا فلماذا يكون لأختيها أزواج، إذا كانتا حقا كما قالتا - لا تحبان أحدا أخر فيما عدا والدهما؟. ولو حدث وتزوجت فإنها ستكون متأكدة بأن زوجها يريد منها على الأقل نصف حبها، ونصف رعايتها وولائها.! أما إذا كانت مثل أختيها تحب والدها أكثر من أي شىء آخر، فإنها لن تتزوج أبدا.

لقد كانت كورديليا تحب والدها حبا حقيقيا، بنفس القدر الكبير الذى ادعته أختاها.. كان من الممكن أن تقول ذلك فى أى موقف آخر وبكلمات أكثر حبا وإحساسا بالأبوة . لكنها عندما اكتشفت أن كلمات أختيها المخادعة قوبلت بعطايا ثمينة، فكرت بأن أفضل شىء يمكنها أن تفعله أن تحب فى صمت، وهذا يُظهر أنها أحبت، لكن ليس مقابل ما يمكن أن تحصل عليه، فصدرت كلماتها بسيطة وأكثر صدقا من كلمات أختيها.

لقد جعل كبر السن الملك لير على درجة كبيرة من عدم التبصر، حتى لم يعد يميز بين ما هو صادق وبين ما هو كاذب . ولا بين الكلمات الحلوة المداهنة، والكلمات التى

تصدر عن القلب، فاشتد به الغضب لكلمات كورديليا الصريحة واعتبر ذلك نوعا من الكبرياء، لذلك وهب الجزء الثالث من مملكته الذى كان يخص كورديليا مناصفة بين الأختين وزوجيهما، دوق ألبانى ودوق كورنوول.

وأمام جميع رجال القصر الذين طلب استدعاءهم تنازل عن تاجه لكلتيهما، وعن جميع سلطاته لتحكما سويا. أما هو فاحتفظ لنفسه بلقب الملك، واتفق على أن يقيم فى قصر كل منهما شهرا بالتناوب بصحبة مائة فارس لخدمته.

كان تقسيم مملكته على هذا النحو الذى يتصف بالغضب والجنون أكثر مما يتصف بالتعقل، قد أصاب النبلاء بالدهشة والأسى، ولم يستطع أحد منهم مهما كان شأنه أن يتدخل فيما عدا إيرل كنت. فما كاد ينطق بكلمات طيبة عن كورديليا حتى أمره الملك الغاضب بأن يتوقف وإلا أمر بقتله، ولم يلق إيرل كنت بالاً إلى ذلك، فلقد كان وفيا دائما للملك لير، يقدره، ويحبه كوالد، ويتبعه كسيد.. وكان دائما على استعداد ليضحى بحياته ضد أعداء الملك أو عندما تكون حياة الملك فى خطر.

أما الآن فإن لير أصبح أكبر عدو له، وسيقف هذا الخادم المخلص أمامه ليصلح من شأنه.

توسل كنت إلى الملك أن يأخذ بنصيحته، ودائما ما كان يفعل ذلك فى الماضى، وألا يُقدم على فعل ما قرره دون تعقل. وقال إيرل كنت إنه مستعد أن يقدم حياته تنفيذا لحكمه إذا كانت الابنة الصغرى لا تحبه على الإطلاق. أما بالنسبة لتهديدات لير، فإنها لن تخيفه، لأن حياته كانت مكرسة فعلا لخدمة الملك، وبالتالى فلن تستطيع تلك التهديدات أن تمنعه من الكلام.

زادت كلمات إيرل كنت الصادقة من حدة غضب الملك، وكما يفعل الرجل المجنون الذى يقتل طبيبه، أصدر أوامره لخادمه المخلص أن يغادر البلاد، ومنحه خمسة أيام فقط ليعد نفسه للرحيل، أما إذا وجد داخل المملكة البريطانية فى اليوم السادس . فستكون تلك اللحظة هى نهاية حياته.

وهكذا ودع إيرل كنت الملك، وقبل ذهابه دعا لكورديليا أن تكون فى رعاية الآلهة. وتمنى فقط أن تترجم كلمات أختيها إلى أفعال مليئة بالحب، ثم رحل ليحاول أن يقضى بقية حياته فى بلد أخرى، كما قال.

استدعى لير كلاً من ملك فرنسا ودوق برجاندى فى تلك اللحظة، ليسمعا ما قرره لير بشأن ابنته الصغرى، وليعرف عما إذا كان لا يزال لديهما الرغبة فى الزواج من كورديليا، وقد أصبحت الآن لا تملك إلا نفسها لتقدمها لهما. رفض دوق برجاندى أن يقبلها زوجة له بهذه الحالة، لكن ملك فرنسا وقد تفهم لماذا فقدت حب والدها، أخذ بيدها وقال : إن معدنها الطيب يساوى عندى أكثر من مملكته. وطلب منها أن تودع أختيها وأباها، حتى ولو كان قاسيا عليها، وقرر بأنها سوف تذهب معه وتكون مليكته وتحكم مملكته أكثر عدلا من مملكة أختيها.

عند ذلك ودعت كورديليا أختيها بعينين دامعتين وتوسلت إليهما أن تحبا والدهما بإخلاص . قالتا لها إنهما تعرفان واجبهما، وقدمتا لها النصيحة بأن تحاول إسعاد زوجها، لأنه أخذها كشحاذة تقريبا، وهكذا رحلت كورديليا بقلب مثقل بالحزن، لأنها كانت تعلم بخديعة أختيها، وتمنت أن يكون والدها فى رعاية أياد أمينة أفضل من أيديهما.

لم تكد كورديليا ترحل حتى أسفرت الأختان عن شخصيتهما الحقيقيتين. وقبل نهاية الشهر الأول، الذى كان من المفروض أن يقضيه لير عند ابنته الكبرى جونريل، بدأ الملك العجوز يكتشف الفرق بين الوعود والأفعال. فما أن حصلت هذه السيدة الشريرة على كل ما منحه إياها، حتى بدأت تمنعه من التمتع بالحقوق البسيطة التى احتفظ بها لنفسه. لم تكن تطيق أن تراه هو وفرسانه المائة. وفى كل مرة تقابله فيها كانت تقابله بوجه عابس. وعندما كان الرجل العجوز يريد أن يتحدث إليها، كانت تدعى بأنها مريضة، حتى لا تراه. كان من الواضح أن سنه المتقدم أصبح عبئا ثقيلا غير ذى نفع، وأن فرسانه المائة مجرد تكلفة لا لزوم لها. ولم تكن هى فقط التى يصدر عنها ذلك الاهمال تجاه الملك، فلقد بدأ الخدم يحتذون تصرفاتها وطبقا لأوامرها كانوا يتجاهلون الملك أيضا، ويرفضون إطاعة أوامره أو يتظاهرون بعدم سماعه.

لم يستطع لير أن يقبل رؤية هذا التحول البادى فى سلوك ابنته، لكنه أغمض عينيه تجاه ذلك بقدر ما يستطيع، تماما مثل معظم الناس الذين لا يرغبون فى تصديق النتائج غير المرضية، الناتجة عن أخطائهم.

فى ذلك الوقت كان إيرل كنت الوفى قد اختار البقاء فى بريطانيا بقدر ما تسنح له الفرصة ليكون عونا لسيده، رغم معرفته أنه إذا اكتشف أمره فسيكون جزاؤه الموت. ومن ثم ارتدى ملابس الخدم، وعرض خدماته على الملك، الذى لم يتعرف عليه فى ملابسه. لكنه كان سعيدا ببساطته وأمانته، فتم الاتفاق على أن يقوم بخدمته، وبذلك حصل لير على فرصة عظيمة لنجاته، من خلال قيام إيرل كنت بخدمته تحت اسم كايوس.

وسرعان ما اكتشف كايوس الوسيلة لإظهار ولائه وحبه لسيده الملك. فى نفس ذلك اليوم، تصرف أحد خدم جونريل تجاه لير بعدم احترام وتحدث إليه بوقاحة، ومما لا شك فيه أن ذلك كان بإيعاز من جونريل نفسها، طرحه كايوس أرضا بسرعة، وكان هذا الأمر الذى يدل على الإخلاص سببا فى حب لير له كثيرا.

لم يكن كايوس هو الصديق الوحيد للير، فقد كان من عادة الملوك فى ذلك الوقت أن يحتفظوا بمهرج يضحكهم بعد عملهم الجاد. وكان المضحك البائس الذى عاش فى قصر لير قد بقى معه بعد تنازله عن التاج، وكان يقوم باضحاك الملك أحيانا من خلال كلماته المرحة، رغم أنه كان لا يستطيع أن يمنع نفسه أحيانا من الضحك على لير بسبب حماقته فى توزيع كل شىء على ابنتيه.

وذات مرة قال فى حضور جونريل: " حتى الحمار يعرف عندما تجر العربة الحصان"، وهو يقصد أن بنات لير اللاتى ينبغى أن يكن فى الخلف، أصبحن الآن أمام والدهن وأن لير لم يعد لير، لكنه ظل للير فقط.

فى تلك اللحظة أخبرت جونريل الملك بوضوح بأنه لن يكون فى إمكانه الاستمرار فى الإقامة بقصرها، إذا كان لا يزال يتمسك ببقاء فرسانه المائة. وقالت إن هذا مكلف دون طائل، يملأون القصر بالضجيج ويأكلون فقط.

وطلبت منه أن يقلل من العدد ويحتفظ فقط بكبار السن معه، من أمثاله والذين يناسبون سنه.

لم يستطع لير في البداية أن يصدق عينيه أو أذنيه. لم يعتقد أن ابنته يمكن أن تتحدث إليه بمثل هذه القسوة. لكن عندما كررت عليه طلبها، استشاط العجوز غضبا وقال لها إنها تنطق بغير الحقيقة، لأن المائة فارس كانت تصرفاتهم جميعا في منتهى الأدب والرقة، ولم يكن همهم الأكل، وإثارة الضجيج كما أدعت.

أمر لير بإعداد الخيل، لأنه سيذهب إلى ابنته الأخرى، ريجان: آخذاً معه فرسانه المائة. وتحدث عن عقوق جونريل ولعنها بكلمات مريرة يؤذى الآذان سماعها. ودعا الآلهة أن تحرمها إنجاب طفل، أو، إذا أنجبت، فلتعش حتى يسقيها من نفس الكأس الذى سقته منه، عدم الاحترام والحقد. وعندئذ ستدرك أن الابن العاق أسوأ من عضة الحية. وبدأ دوق ألبانى يقدم اعتذاراته عن أى تقصير يفترض لير أنه قد صدر منه تجاهه، لكن لير لم يصغ إليه. واتجه مع أتباعه إلى بيت ريجان. وفكر بينه وبين نفسه، كيف يبدو خطأ كورديليا صغيراً (لو أنه خطأ) إذا ما قورن بخطأ أختها، وبكى، عندئذ شعر بالخجل لأن مخلوقاً مثل جونريل لها مثل هذه السيطرة عليه، حتى تجعله يبكى.

كانت ريجان تقضى مع زوجها حياة رائعة فى قصرهما، وكان لير قد أرسل خادمه كايوس بخطابات إلى ابنته لتعد نفسها لاستقباله عند وصوله، هو وأتباعه . لكن جونريل كانت قد أرسلت خطابات إلى أختها أيضاً. تقول فيها إن والدها أصبح غير مطيع وحاد المزاج، ونصحت أختها بألا تستقبله بصحبة هذا العدد الضخم من الأتباع.

وصل هذا الرسول فى نفس الوقت الذى وصل فيه كايوس، وتقابل الاثنان، وكان نفس الخادم الذى طرحه كايوس أرضاً لسلوكه الوقح مع لير. ارتاب كايوس بشأن قدوم هذا الرجل، وتكلم معه بعنف، وطلب منه أن يبارزه، لكنه رفض. فضربه كايوس ضربة شديدة، لكن عندما سمعت ريجان وزوجها بما حدث، أمرا بأن يشد إلى آلة التعذيب رغم أنه رسول من قبل الملك، وينبغى أن يعامل باحترام. وهكذا، كان أول شىء تقع عينا الملك عند دخوله القصر، هو رؤية خادمه فى هذا الموقف المشين.

كانت هذه بادرة سيئة، للوضع الذى يمكن أن يُستقبل به، وقد تبع ذلك ما هو أسوأ، فعندما سأل عن ابنته وزوجها، قيل له إنهما فى غاية التعب بعد سفر طوال الليل، ولا يمكنه رؤيتهما . فطلب بغضب أن يراهما، لكن عندما جاءا أخيرا لتحيته كانت فى صحبتها جونريل الحاقدة، جاءت لتروى قصتها الملفقة وتحرض أختها ضد الملك والدها.

تأثر الملك العجوز جدا بهذا المنظر، وزاد سوءا عندما رأى ريجان تمسك بيدها. فسأل جونريل، عما إذا كان ينتابها الخزى لتنظر إلى لحيته البيضاء ونصحته ريجان بالعودة مع جونريل ثانية، ويعيش معها فى سلام، ويطرد نصف فرسانه ويطلب منها الصفح. وقالت إنه رجل مسن مخرف، وينبغى أن يوجه من خلال أشخاص لديهم حكمة أكثر منه.

وتساءل لير، أيتحتم عليه أن يركع على ركبتيه ويشحذ الخبز والملبس من ابنته. وقال إنه لن يعود معها أبدا وسيبقى مع ريجان، بصحبة فرسانه المائة، لأنها لم تنس نصف المملكة التى منحها إياها، وأن عينيها ليستا شريرتين كعينى جونريل، بل حانيتان رقيقتان . وقال كذلك، إنه من الأفضل بالنسبة له أن يذهب إلى فرنسا ويطلب عون ملكها الذى تزوج صغرى بناته وهى لا تملك شيئا، على أن يعود مع جونريل بعد أن يطرد نصف فرسانه.

لقد كان لير مخطئا عندما ظن أن ريجان ستعامله أفضل من أختها جونريل . كما أنها أعلنت أنها ترى أن خمسين فارسا عدد كبير ليبقى معه، وأن خمسة وعشرين فيهم الكفاية.

عندئذ التفت لير إلى جونريل وقد تحطم قلبه تقريبا؛ لأنه سيعود معها لأنها قبلت وجود خمسين فارسا، وهذا ضعف الخمسة والعشرين، وهكذا فإن حبها ضعف حب ريجان له. لكن جونريل سمحت لنفسها وتساءلت ما حاجته لخمسة وعشرين، أو حتى عشرة، أو خمسة، بينما خدمها أو خدم أختها من الممكن أن يقوموا على خدمته.

هكذا كانت الأختان الشريرتان تحاولان أن تكون كل منها أكثر قسوة من الأخرى على أبيها، الذى كان فى غاية الطيبة معهما. وشيئا فشيئا كانتا تسلبانه من كل فرسانه ومن كل الاحترام الذى تبقى له، باعتباره كان ملكا فى يوم من الأيام.

أن يتحول الإنسان من ملك إلى شحاذ، فهذا تحول صعب، وكان أكثر ما صدم قلب الملك المسكين هو عقوق ابنتيه، فبدأ عقله يضطرب، ومع أنه كان لا يعرف ما يقوله، إلا أنه كان على يقين بأن هذه الكائنات غير الطبيعية لابد أن تلقى عقابها.

وبينما كان يهدد بما لم تستطع يداه الهزيلتان أن تقوما به، حل الظلام وهبت عاصفة رعدية مرعبة، وومض البرق وهطل المطر . وما تزال بنتاه ترفضان إيواء أتباعه. وأمر لير بإعداد الخيل قائلاً إنه يفضل مواجهة غضب العاصفة المدمر بالخارج، على أن يبقى تحت نفس السقف مع هاتين البنتين العاقتين . أما هما، فقد تركتاه يمضى وأغلقتا الباب خلفه، بعد أن قالتا، إن التصرفات الحمقى للرجال، تؤدى بهم إلى العقاب الذى يستحقونه.

اشتدت الريح والمطر وازدادت العاصفة حدة عندما خرج الرجل العجوز لكى يقاومها، وبعد عدة أميال احتمى فى دغل من الشجيرات. وهناك على امتداد تلك الأرض الخراب أخذ الملك يتجول صارخا فى غضب خلال الريح والرعد. طالبا من الريح أن تلقى بالأرض داخل البحر، أو تجعل الأمواج تكبر حتى تغرق الأرض ولا تبقى أى أثر لذلك الجنس البشرى الناكر للجميل!

فى تلك الأثناء، ترك الملك وحيدا دون رفيق سوى المهرج الأحمق. الذى مازال باقيا معه. والذى حاول بكلماته المرحة أن يغطى على حظهما التعس، وأخذ يقول إنها ليلة سيئة جداً للسباحة فيها، وإنه من الأفضل حقيقة أن يذهب إلى ابنتيه ويطلب منهما الصفح.

على هذه الحالة التى وصل إليها هذا الملك العظيم عثر عليه خادمه المخلص إلى الأبد إيرل كنت الطيب، الذى تحول فى تلك الأثناء إلى كايوس وقال له: "أوه، يا سيدى العظيم، هل أنت هنا؟ إن المخلوقات التى تحب الليل. لا تحب أن تظهر أبدا فى مثل هذه الليلة. فقد دفعت هذه العاصفة المخيفة كل الوحوش إلى مخابئها. إن طبيعة الإنسان لا تحتمل ذلك. ولكن الملك لير أخبره بأن هذه الشرور الصغيرة لايحس بها الإنسان إذا كان هناك خطر أكبر، وعندما يكون المرء مرتاح البال، فإن الجسد

يكون لديه الوقت ليشعر بالمرض، لكن فكرة طرد كل المشاعر الأخرى فيما عدا شعور واحد يمزق قلبه. وتحدث ثانية عن عقوق ابنتيه وقال إن ذلك مثل الفم الذى يعض اليد التى تقدم إليه الطعام، لأن الآباء بمثابة الأيدى والطعام، وكل شىء بالنسبة للأطفال. وواصل كايوس رجاءه إلى الملك ألا يبقى فى هذا المكان وأقنعه أخيرا بالدخول إلى كوخ صغير.

فى البداية دخل المهرج لكنه سرعان ما خرج مذعورا قائلاً إنه شاهد عفريتا. ولم يكن ذلك سوى شحاذ فقير، تسلل إلى ذلك الكوخ للاحتماء فيه، وبث الرعب فى قلب المهرج بالتحدث عن الشياطين. وعندما رآه الملك، وليس عليه ما يستره سوى قطعة قماش تصل حتى وسطه، تأكد أنه رجل منح كل شىء، لبناته، ولم يصدق أن شيئا يستطيع أن يصل بالمرء إلى هذا الحال من البؤس إلا بنات قاسيات.

واكتشف كايوس بوضوح، من خلال حديثه هذا، ومن أحاديث أخرى نزقة، أن الملك فقد صوابه وأن المعاملة السيئة، التى عاناها من ابنتيه كانت السبب الحقيقى فى جنونه.

بدأ إخلاص إيرل كنت يظهر حينذاك بشكل أكبر مما سبق بكثير جدا. فاستطاع بمساعدة بعض فرسان الملك الذين ظلوا على ولائهم له، أن ينقل الملك إلى قلعة دوفر، حيث يوجد معظم أصدقائه المخلصين.

وأسرع إيرل كنت بالإبحار إلى فرنسا، وتوجه إلى قصر كورديليا وأخبرها بحالة والدها المؤسفة التى وصل إليها بسبب قسوة أختيها. فطلبت هذه الابنة الطيبة من زوجها أن يسمح لها بالذهاب إلى بريطانيا على رأس جيش كبير لإسقاط حكم هاتين البنتين القاسيتين وزوجيهما، وما أن وافق الملك على ذلك، حتى أبحرت كورديليا بصحبة جيش ملكى، نزل فى دوفر.

لكن لير سنحت له فرصة الهرب من رقابة الفرسان حيث تركه كنت عندهم. وعثر عليه بعض جنود جيش كورديليا يتجول فى الحقول بالقرب من دوفر، فى حالة مؤسية.

كان مجنونا تماما، يغنى بصوت عال لنفسه، وعلى رأسه تاج صنعه من القش، وبعض النباتات البرية التى التقطها من حقول القمح، كانت كورديليا متشوقة للغاية لرؤية والدها، لكن الأطباء نصحوها بتأجيل هذا اللقاء، حتى تتحسن حاله من خلال النوم والعلاج. وبمعاونة هؤلاء الرجال المهرة الذين وعدتهم كورديليا بكل ذهبها وجواهرها، إذا استطاعوا أن يشفوا والدها، وسرعان ما أصبح فى حالة تسمح له برؤية ابنته.

كان منظرا مؤثرا، أن ترى ذلك اللقاء بين الأب والابنة. فقد كان لير ممزقا بين الشعور بالبهجة لرؤية ابنته مرة ثانية، وبين الشعور بالخجل من استقبالها له بكل هذا الحنان، وهو الذى طردها بغروره الأحمق وغضبه. وكان عقله نصف الواعى يجعله أحيانا غير قادر على تذكر أين هو، أو من تلك التى تقبله بحنان وتتحدث إليه. وأحيانا كان يطلب من الموجودين معه ألا يضحكوا منه، إذا أخطأ فى أن هذه السيدة هى ابنته كورديليا. ركع الملك على ركبتيه وأخذ يطلب الصفح من ابنته، لكنها، وهى السيدة الصالحة، ظلت طوال الوقت راكعة تطلب منه أن يباركها، قائلة له إنه ليس من اللائق أن يفعل هكذا. فإن هذا واجبها نحوه، لأنها ابنته. ثم قبلته (وكما قالت) لتمحو كل قسوة أختيها، وقالت إنهما ينبغى أن تشعرا بالخزى من نفسيهما لطردهما والدهما الطيب العجوز ذى اللحية البيضاء، إلى الخارج فى البرد القارس. فحتى ولو كان كلب أعدائها وعضها. كان من المفروض أن يبقى فى مثل تلك الليلة إلى جوار المدفأة.

قالت كورديليا إنها قدمت من فرنسا خصيصا لتقدم له يد المساعدة. فقال إنها يجب أن تصفح وتعفو عنه، لأنه كان رجلا عجوزا وأحمق ولا يدرى ما كان يفعل، وبالتأكيد لديها المبرر الكافى حتى لا تحبه، لكن أختيها ليس لديهما مبرر لذلك، فأجابت كورديليا أنها ليس لديها مبرر لذلك ولا أختاها.

والآن نستطيع أن نترك هذا الملك العجوز فى رعاية ابنته المحبة. التى نجحت عن طريق النوم والعلاج، بمساعدة أطبائها أن يعيدوا بعض التوازن والهدوء أخيراً إلى ذلك العقل المضطرب، الذى فقد توازنه بسبب قسوة ابنتيه الأُخريين. ودعونا الآن نقول كلمة أو كلمتين عنهما.

بالطبع إن مثل هذه المخلوقات الحاقدة الناكرة للجميل، التى تنكرت لأبيها، لا يمكن أن يتوقع منها أن تكون أكثر إخلاصا لأزواجها. فسرعان ما أصبحتا منهكتين حتى من إبداء مظاهر الحب والولاء لهما، بل كان من الواضح أنهما يمنحان حبهما لرجل آخر. ووقعت كل منهما فى غرام نفس الشخص. وهو أدموند الابن غير الشرعى لإيرل جلوسستر المتوفى. الذى استطاع بحيله الماكرة أن يبعد أخاه إدجار، الوريث الشرعى، عن أخذ حقه، وأصبح هو الإيرل الحاكم.

فى تلك الأثناء، حدث أن توفى دوق كورنوول، زوج ريجان. فأعلنت ريجان على الفور عزمها على الزواج من إيرل جلوسستر. أشعل ذلك نار الغيرة فى قلب أختها، التى كان ذلك الإيرل الشرير قد باح لها بحبه فى أوقات مختلفة. فما كان من جونريل إلا أن قتلت أختها بدس السم لها. واكتشف زوجها دوق ألبانى فعلتها فأمر بإيداعها فى السجن وسرعان ما وضع حداً لحياتها، وهكذا اقتصت عدالة السماء من هاتين البنتين الشريرتين.

لكن نهاية حزينة، كانت فى انتظار كورديليا، التى كانت تستحق مصيرا أفضل بسبب أفعالها الطيبة، فقد انتصرت جيوش جونريل وريجان التى كانت تحت قيادة أدموند إيرل جلوسستر، على جيشها. وأخذت كورديليا إلى السجن حيث قتلت هناك. ولم يعش لير طويلا بعد وفاة ابنته الطيبة.

وقبل وفاة الملك، حاول إيرل كنت الطيب أن يخبره بأنه كان يتبعه تحت اسم كايوس. لكن لير لم يستوعب ذلك، بسبب عقله المضطرب، ولم يستطع أن يدرك كيف يكون إيرل كنت وكايوس نفس الشخص، لذا فقد رأى إيرل كنت أنه ليس من الضرورى أن يشرح له ذلك.. ولقد مات هذا الخادم المخلص بعد وفاة الملك مباشرة، مات عجوزا ومليئا بالأسى.

ونحن لسنا فى حاجة هنا لنذكر كيف قُتل دوق جلوسستر الشرير فى مبارزة فردية مع أخيه، أو كيف أن دوق ألبانى زوج جونريل، الذى لم يكن يشجعها أبدا فى أفعالها الشريرة، أصبح ملك إنجلترا بعد وفاة لير.

لقد مات لير وبناته الثلاث وتنتهى قصتنا معهم.

ماكبث

خلال حكم الملك العظيم دنكان، ملك اسكتلندا، كان يعيش لورد عظيم اسمه ماكبث . وكان من رجال الملك المقربين، لما يتمتع به من شرف وشجاعة فى القتال.

عندما كان القائد ماكبث وزميله القائد بانكو، عائدين منتصرين من موقعة كبيرة، استوقفتهما ثلاثة أشباح، أقرب إلى شكل النساء، فيما عدا أن لهم ذقونًا، كما أن جلودهم الشاحبة وملابسهم الغريبة جعلتهم لا يبدون مثل المخلوقات الأرضية.. وبادرهم ماكبث بالحديث، لكن كل واحدة منهن وضعت إصبعها على فمها طالبة السكوت، ونادته الأولى باسمه، (ماكبث) وبلقبه الرسمى لورد جلاميس . واندهش القائد كثيرا عندما وجد نفسه معروفا من قبل تلك المخلوقات، لكن دهشته ازدادت عندما نادته الثانية بلقب لورد كاودور، هذا اللقب الذى لم يكن يستحقه .. أما الثالثة فقد نادته قائلة: " مرحبا، بالملك القادم!" وأدهشته هذه النبوءة لأنه كان يعرف، أنه طالما أن أبناء الملك أحياء، فلا يستطيع أن يأمل فى الوصول إلى العرش. ثم التفتن إلى القائد بانكو وتعرفن عليه، وقلن له بكلمات غامضة : " ستكون أقل شأنا من ماكبث، ولن تكون سعيدا فقط، بل موفور السعادة! وتنبأن له، بأنه لن يتولى العرش أبدا، إلا إن أبناءه من بعده سيكونون ملوكا لاسكتلندا .. ثم استدرن فى الهواء واختفين، وهنا تأكد القائدان أنهن ساحرات..!

وبينما هما واقفين يفكران فى هذه الأمور الغريبة. وصل رسول خاص من قبل الملك، ليخلع على ماكبث لقب واسم دوقية كاودور.

كان لهذا الحديث الغريب أثره على نفس ماكبث، لأنه تطابق مع ما قالته الساحرات، الأمر الذى ملأه بالحيرة فوقف مذهولا، غير قادر حتى على الرد على

الرسول.. ومنذ تلك اللحظة، بدأت الآمال الضخمة تداعب ذهنه، فى إمكانية تحقيق النبوءة الثالثة، وبالتالى فقد يصبح ذات يوم ملكا لاسكتلندا.

فالتفت إلى بانكو وقال: "ألا تتمنى أن يكون أولادك ملوكا، خاصة وأن ما وعدتنى به الساحرات قد تحقق؟"

فأجاب بانكو: "إن هذا الأمل قد يدفعك للتطلع إلى العرش، لكن رسل الظلام قد يصدقون معنا فى أشياء صغيرة، حتى تقودنا إلى ارتكاب أفعال شريرة".

لكن كلمات الساحرات، كانت قد استقرت فى أعماق تفكير ماكبث، حتى أنه أعرض عن تحذيرات بانكو الطيب. منذ ذلك الوقت، وجه كل تفكيره فى كيفية الفوز بعرش اسكتلندا..

قص ماكبث لزوجته تلك النبوءة الغريبة للساحرات، وما تلى ذلك من أحداث. كانت الليدى ماكبث سيدة شريرة تطمع فى مكانة عالية لنفسها ولزوجها، وتتمنى لو أنها هى وزوجها يصلان إلى هذه المرتبة العظيمة بأى وسيلة كانت. وأخذت تناقش ماكبث فى ذلك الأمر، ولم تتورع فى أن تقول له إن قتل الملك أمر ضرورى جدا لتحقيق النبوءة.

حدث فى تلك الفترة أن قام الملك بزيارة ماكبث فى قلعته، بصحبة ولديه مالكولم، ودونالبين، ومجموعة من اللوردات والمستشارين لتهنئة ماكبث بانتصاره فى الحرب.

كانت قلعة ماكبث مبنية فى مكان لطيف، والهواء هناك منعش وصحى، حيث أقامت طيور السنونو أعشاشها على الجدران، ذلك أن هذه الطيور، لا تقيم أعشاشها إلا فى الأماكن المعروفة بجوها الطيب، وعندما دخل الملك، سعد جدا بالمكان، وسعد كذلك بنفس القدر لذلك الاهتمام والاحترام والتبجيل الذى لاقته به السيدة المضيفة ليدى ماكبث، التى كانت تجيد فن تغطية أهدافها الشريرة، وراء ابتسامتها، وتبدو كالزهرة البرية، التى تخفى حية تحتها!

وإزاء تعب الملك من الرحلة، فقد ذهب مبكرا إلى الفرش، وبصحبته اثنان من الخدم (كما جرت العادة) ينامان بالقرب منه.. كانت سعادته بهذا الاستقبال غير عادية، حتى أنه قام بتوزيع بعض المنح والهدايا على الضباط الكبار، قبل أن يذهب إلى النوم، ومن ضمن هذه الهدايا، ماسة غالية إلى الليدى ماكبث، تحية لها لما أبدته من كرم الضيافة والترحيب.

فى منتصف الليل، ذلك الوقت الذى تكون فيه نصف مخلوقات العالم نائمة شبه ميتة، والأحلام الشريرة تزعج رؤوس الرجال النائمين، ولا يكون يقظا سوى الذئاب والقتلة، كانت الليدى ماكبث مستيقظة تخطط لقتل الملك، وهى لم تكن تفعل ذلك خروجا عن المألوف بطبيعة كونها امرأة، لكنها كانت متخوفة من طبيعة زوجها، من أن تكون مشبعة بلين العاطفة الإنسانية، للقيام بعملية القتل.. رغم أنها كانت تعرف رغباته الطموحة، لكنه كان يخشى ارتكاب الأخطاء الفاحشة، ذلك أنه لم يرتب لارتكاب مثل هذا الجرم العظيم.

صحيح أنها نجحت فى إقناعه بالجريمة، لكنها كانت تشكك فى إرادته بالتنفيذ، لتلك الرقة التى كان يتيميز بها قلبه (إذ كان أكثر منها كرمًا ولطفًا) والتى قد تعوق تنفيذ المهمة. لذلك قامت هى نفسها بالذهاب إلى حجرة نوم الملك وبيدها سكين حادة، واقتربت من سرير الملك، وقد عملت حسابها أن يكون الخادمان فى حالة سكر وغافلين عن الحراسة.

كان دنكان يرقد نائمًا يشخر من أثر تعب الرحلة، وعندما نظرت إليه عن قرب، وجدت فى وجهه وهو نائم شيئا ما، جعلها تفكر فى والدها . ولم يطاوعها قلبها أن تهم بقتله!

وعادت لتتحدث مع زوجها، الذى بدا متراجعًا حيال ذلك الأمر. فهناك عدة اعتبارات تقف الآن ضد هذه الفعلة. ففى المقام الأول هو ليس شخصًا عاديًا، بل من المقربين إلى الملك، كما أن الملك يحل فى ضيافته اليوم، ومن واجب المضيف أن يمنع أية محاولة لقتل ضيفه لا أن يحمل هو سكين الجريمة، بل ورأى أن الملك دنكان ملك

رحيم، واضح فى خصومته مع أعدائه، ومحب لأعوانه من النبلاء، وبالنسبة له بصفة خاصة..إن مثل هؤلاء الملوك هم رسل العناية الإلهية، وسوف يلقى كل من يؤذيهم العقاب مضاعفا من أعوانهم. هذا بالإضافة إلى أن الملك كان يخصه دون الرجال جميعا لرجاحة فكره، فكيف يلوث كل هذا التكريم، بدماء جريمة بشعة كهذه؟!.

اكتشفت الليدى ماكبث أن زوجها بدا يتحول تجاه الخير، وقرر ألا يتمادى فى ذلك الأمر أكثر من ذلك.. لكنها كانت امرأة من ذلك النوع الذى لا يتراجع عن هدفه الشرير بسهولة.. فبدأت تصب فى أذنيه كلمات تشحن رأسه بوجهة نظرها.. وأخذت تقدم له المبرر تلو المبرر لكى لا يتراجع عن تحقيق ما وعدته به الساحرات، وكم سيكون التنفيذ سهلا، وكيف أن عملاً مثل هذا ذات ليلة قصيرة، ستسعد باقى لياليهم وأيامهم القادمة، وتوصلهم إلى العرش والسلطة الملكية!.

وأخذت تسخر من تراجعه عن قصده، ووصفته بأنه متردد وجبان، وأعلنت ووجهها يبتسم أنها كانت تود رغم أنها مارست الرضاعة وتعلم مدى حب الأم لطفلها الذى أرضعته - لو أنها كانت تنتزع طفلها من على صدرها وتسحق رأسه، لتنفذ تلك الفعلة، لو أنها أقسمت، مثلما أقسم هو على القيام بها.. ثم قالت، كيف أنه من السهل القاء تبعة الجريمة على الخدم السكارى. واستطاعت بشجاعة منطقها أن تقنعه، بأن القيام بهذا الفعل الدامى سيزيد من شجاعته وصلابته..!

وهكذا، أمسك الخنجر فى يده، وتسلل بخفة إلى الحجرة التى يرقد فيها دنكان! ولكن بينما كان فى طريقه، تخيل أنه رأى خنجراً آخر فى الهواء، مقبضه يتجه ناحيته، ونصله يقطر دما. وعندما حاول أن يمسكه، لم يكن هناك شىء غير الهواء، وأن الأمر ليس إلا مجرد خيالات، نتيجة لما يدور فى رأسه المحموم والمهمة التى ينبغى عليه أن ينفذها..

نفض عنه خوفه . ودخل غرفة الملك، وقتله بضربة واحدة من خنجره.. وبمجرد اقتراف الجريمة ابتسم أحد الخدم المرافقين للملك، وهو نائم، بينما صاح الآخر: "جريمة" واستيقظ الاثنان.. وشرعا فى تلاوة صلاة قصيرة، وقال أحدهما، "فليغفر لنا

الله!" فأجاب الآخر، "آمين!" ثم عاودا النوم مرة ثانية. وحاول ماكبث الذى كان يقف مصغيا إليهما، أن يقول : "آمين" . عندما قال أحدهما، " فليغفر لنا الله!"، إلا إن الكلمة وقفت فى حلقة، ولم يستطع أن يقولها، رغم أنه كان فى حاجة ملحة للمغفرة..!

وتخيل أنه سمع صوتا يصيح : " لن يذوق ماكبث طعم النوم بعد الآن، لأنه قتل نائما، نائما بريئا، وهذه سنة الحياة" . وظل الصوت يردد صيحاته فى أرجاء البيت: "لن يذوق طعم النوم بعد الآن، فلقد قتل لورد جلاميس رجلا نائمًا، لذا فلن يذوق لورد كاودور طعم النوم، لن ينام ماكبث بعد الآن!"..

وعاد ماكبث إلى زوجته فى حالة مضطربة، وذهنه ملىء بتلك الخيالات المرعبة، لدرجة أنها بدأت تشك فى أنه قد فشل فى مهمته ولم ينفذ الجريمة.

ولما رأته فى تلك الحالة المشوشة أخذت توبخه لفقدانه تماسكه، وأرسلته ليغسل يديه من الدم الملتصق بهما. أما هى فقد أخذت الخنجر، وذهبت لتلوث خدود الخدم بالدماء، حتى تلصق التهمة بهما.

ومع طلوع الصباح، اكتشفت الجريمة التى لا يمكن إخفاؤها . وأظهر ماكبث وزوجته حزنا كبيرا، وكانت الأدلة ضد الخدم من القوة بما فيه الكفاية لإدانتهما. رغم أن كل الاتهامات الخفية كانت تشير إلى أن ماكبث هو الذى فعلها، لأن لديه من الدوافع القوية أكثر مما لدى الخدم المساكين للقيام بذلك، وهرب ابنا دنكان : مالكولم، الأكبر، إلى انجلترا، ودونالبين الأصغر، إلى أيرلندا..

وبهروب ابنى الملك، اللذين كانا من المفروض أن يخلفاه فى الملك، أصبح العرش خاليا، وتوج ماكبث ملكا، وهكذا تحققت نبوءة الساحرات تماما.

رغم ارتقاء ماكبث وزوجته للعرش، إلا أنهما لم ينسيا تلك النبوءة الأخرى، التى تقول، بأنه رغم أن ماكبث هو الملك، ولديه أولاد، فإن العرش سيؤول من بعده لأولاد بانكو. فهل معنى ذلك أنهما قد لوثا أيديهما بالدم، وقاما بارتكاب تلك الجريمة الفظيعة، لكى يجلس أبناء بانكو على العرش، وكان ذلك كفيلا بأن يجعلهما يفكران سويا. ويصلان إلى قرار بالتخلص من بانكو وابنه بالموت.

من أجل ذلك قاما بإعداد حفل عشاء فاخر، دعوا إليه كل اللوردات العظام، ومن ضمنهم،وجهت الدعوة بكل التبجيل والاحترام إلى بانكو وابنه فليانس.. وعندما كان بانكو فى طريقة إلى القصر ليلا، انقضت عليه مجموعة من القتلة بعث بهم ماكبث وقتلوه، واستطاع فليانس أن يهرب أثناء القتال.

أثناء العشاء، كانت الملكة تتصرف مع جميع المدعوين بطريقة كلها مودة ورقة ملكية، وقامت بدور المضيفة فى كرم واهتمام وأسعدت كل الموجودين... وأخذ ماكبث يتحدث إلى لورداته ونبلائه بمودة وتحرر، قائلا إنه مع أن كل النبلاء يتمتعون برعايته، إلا إن بانكو له منزلة خاصة لديه. وبمجرد الانتهاء من هذه الكلمات ظهر له شبح بانكو، الذى أوعز بقتله، ودخل القاعة وجلس على الكرسى الذى كان من المفروض أن يجلس عليه ماكبث. ورغم أن ماكبث كان رجلا جسورا، يستطيع أن يواجه الشيطان دون أدنى رجفة فإنه وقف ساكنا لا يتحرك وعيناه مثبتتان على الشبح.. واعتقد جميع النبلاء أن الملك يتطلع فقط إلى الكرسى الشاغر، فيما عدا الملكة التى أحسست أنها حالة من حالات الجنون. واستمر ماكبث يتطلع إلى الشبح، ولم يهتم بما يقوله الجميع، وخاطبه بكلمات مجنونة، تنطوى على معان، تعرفها الملكة. وخشية منها أن ينكشف السر، أسرعت تطالب الحاضرين بالانصراف، معللة الحالة التى كان عليها ماكبث، بمرض يعانى منه منذ فترة طويلة.

كم كان ذهن ماكبث مليئًا بالخيالات المرعبة. وأصبح نوم الملكة ونومه متقطعا، تغشاه الأحلام المزعجة ولم يكن مقتل بانكو يزعجهم بقدر ما كان يرعبهم فرار فليانس، الذى يعتبرونه الآن والدا لسلسلة من الملوك، سوف تحجب العرش عن أولادهم.

وبمثل هذه الأفكار البائسة لم تعرف حياتهم الهدوء والسكينة، وقرر ماكبث أن يقابل الساحرات مرة ثانية، ليتعرف منهن على ما قد يكون أسوأ من ذلك..

عثر عليهن فى كهف بمنطقة نائية من البلاد، حيث كن يقمن بطقوسهن السحرية المرعبة، التى يستدعين خلالها أرواح الموتى لتنبئهم بالمستقبل، من خلال خلطة مرعبة تتكون من الضفادع، والخنافس، والحيات، وطيور السمندل، ولسان كلب، ورجل

سحلية، وجناح بومة، ودرع تنين، وناب ذئب، وبطن سمكة قرش، وجلد جاف لساحرة، وجذور أشجار سامة، ومرارة عنزة، وكبد يهودى، وبعض قطع صغيرة لشجرة صنبور، كانت جذورها تضرب فى المقابر، وإصبع طفل ميت.. كل هذه الأشياء كانت موضوعة فى قدر كبير يغلى على النار، وكلما ازدادت درجة حراراته، كان يبرد بدم قرد البابون.. كما كان يضاف إلى ذلك الخليط، دم أنثى خنزير أكلت صغارها.. وبواسطة هذه الطقوس على حد قولهن، كن يجبرن أرواح الموتى على الإجابة على أسئلتهن.

سألوا ماكبث عما إذا كان يرغب فى إزالة شكوكه عن طريقهم أو عن طريق أسيادهم، من الأرواح.. ورغم جزعه الشديد من الأشياء المرعبة التى رآها، فإنه أجاب بجسارة : " أين هم؟ دعونى أراهم!" .. فنادوا الأرواح، التى كانت ثلاثة أرواح..

ظهر أولهم فى هيئة رأس ذات ذراعين، ونادى على ماكبث بالاسم، وطلب منه أن يكون حذرا من لورد فايف، وشكره ماكبث، لأنه كان يكره ماكدوف لورد فايف.

وظهر ثانيهم فى هيئة طفل ملطخ بالدم، وناداه بالاسم، وطلب منه ألا يعتريه أى خوف، ويسخر من قوة الرجال، لأن النساء لم يلدن بعد من يستطيع إيذاءه.. ونصحه بأن يكون دمويا، وجسورا وشجاعا، فصاح الملك: " لكن ماكدوف لن يبقى على قيد الحياة !.. فما الداعى إذن لأن أخشاه؟.. وعلى كل فسأقوم بتأمين سلامتى تأمينا مزدوجا. لكنه لن يعيش، وبذلك أستطيع أن أتخلص من ذلك الخوف الذى يقبع فى قلبى، فأستطيع النوم رغم قصف الرعد..!

وانصرفت الروح الثانية، وظهرت الثالثة فى هيئة طفل متوج، يمسك بيده شجرة. ونادى على ماكبث بالاسم، وطمأنه قائلا له بأنه لن يهزم أبدا، طالما أن غابة بيرنام لم تتحرك من مكانها وتأتى حتى جبل دانسينان!

فصاح ماكبث : "نبوءة حلوة طيبة.. من ذلك الذى يستطيع زحزحة الغابة من مكانها، وهى ضاربة بجذورها فى الأرض؟ أعتقد أننى سأعيش فترة الحياة العادية للإنسان، ولن أموت مقتولا.. لكن قلبى يتحرق لمعرفة أمر واحد. فقل لى، إذا كانت قدراتك تسمح بذلك، هل سيرث أولاد بانكو العرش؟

وهنا غاص الإناء فى الارض، وسمعت ضوضاء موسيقى، ومرت بالقرب من ماكبث أشباح ثمانية أشبه بالملوك، كان أخرهم بانكو يحمل مرآة تنعكس على سطحها أشكال عديدة لآخرين، وهو مخضب بالدماء، يبتسم لماكبث ويشير إليهم.. هنا تيقن ماكبث أن هؤلاء هم سلالة بانكو الذين سيرثون عرش اسكتلندا من بعده.. وعلى صوت موسيقى ناعمة، بدأت الساحرات يرقصن وقدمن عرضا تحية لماكبث، ثم اختفين.. ومنذ ذلك الوقت أصبحت كل أفكاره دموية ومخيفة..!!

وكان أول شيء سمع به عندما خرج من كهف الساحرات، هو هروب ماكدوف لورد فايف، إلى انجلترا، لينضم إلى الجيش الذى يتكون ضده تحت قيادة مالكولم، الابن الأكبر للملك الراحل، على أمل إعادة مالكولم، الوارث الشرعى إلى العرش.. فتوجه ماكبث وقد أعماه الغضب، إلى قلعة ماكدوف، وقتل زوجته وأطفاله، وكل ما يمت بصلة قرابة إلى ماكدوف..

أثارت هذه الأفعال وغيرها حفيظة كل النبلاء ضده. وكلما أتيحت الفرصة لأحدهم كان يهرب للانضمام إلى مالكولم وماكدوف، اللذين كانا يتقدمان الآن على رأس جيشهما القوى الذى كوناه فى انجلترا، أما باقى النبلاء فقد كانوا يدعون لهما بالتوفيق سرا، لأنهم لا يستطيعون الجهر بذلك خوفا من ماكبث.

كان الجميع يكرهونه، ولا أحد يحبه أو يثق فيه. لأن الكل رأوا فيه قاتلا. وبدأت تراود ماكبث رغبة فى أن يلقى مصير دنكان الذى قتله، ويرقد الآن ساكنا فى قبره!

ماتت الملكة، التى كانت شريكه الوحيد فى كل أعماله الشريرة، وقد كان ماكبث يجد على صدرها أحيانا بعض الراحة القصيرة، من تلك الأحلام المزعجة التى كانت تنتابها كل ليلة.. ويقال إنها انتحرت لعدم قدرتها على تحمل مرارة وعار أعمالها الشريرة، وكراهية الناس لها، وهكذا وجد ماكبث نفسه وحيدا دون رفيق أو حبيب يرعاه، أو صديق يبثه أفكاره الشريرة..

أصبح ماكبث غير عابئ بالحياة، راغبا فى الموت، لكن زحف جيش مالكولم المرتقب أثار فى نفسه ما بقى لديه من شجاعة قديمة، فقرر أن يموت (كما عبر هو

عن ذلك) "وسلاحه بيده".. بالإضافة إلى أن الوعود الفارغة التى وعدته بها الساحرات، قد ملأته بأمل كاذب، وتذكر ما قالته الأرواح، بأن النساء لن يلدن بعد من يستطيع ايذاءه. وأنه لن يهزم أبدا إلا إذا تحركت غابة بيرنام إلى دانسينان، الأمر الذى تصور عدم إمكان حدوثه على الإطلاق. لذلك حصن نفسه فى قلعة قوية وانتظر اقتراب مالكولم..

وذات يوم قدم إليه رسول، شاحب الوجه ويرتجف من الرعب، وغير قادر على وصف ما قد رآه.. وقال فى النهاية، إنه بينما كان واقفا يراقب التل، نظر تجاه بيرنام. وخيل إليه أنه رأى الغابة بدأت تتحرك! فصاح ماكبث: " عبد كاذب!، إذا كنت تتكلم كذبا، فسوف تعلق حيا على أقرب شجرة حتى تموت جوعا. وإذا كانت روايتك صحيحة، فأرجو ألا أراك إلى جوارى" . ومنذ ذلك الوقت، وهنت عزيمة ماكبث، وأخذ يشك فى كلام الأرواح . وما كان ينبغى عليه أن يخاف، إلا إذا تحركت غابة بيرنام.. وبالفعل فقد تحركت الغابة الآن!

فقال: " على أى الأحوال، لو أن الذى ذكره الرسول صحيحا، فدعنا نحارب وننتهى، ولا ملاذ لى فى الفرار أو البقاء هنا. لقد بدأت أشعر بالإجهاد من الشمس، وأود لو تنتهى حياتى!" .. وبهذه الكلمات اليائسة، تقدم ماكبث لملاقاة أعدائه، الذين كانوا قد وصلوا إلى القلعة..

المشهد الغريب، الذى جعل الرسول يعتقد أن الغابة تتحرك، يمكن تفسيره ببساطة، فعندما تقدم الجيش المهاجم خلال غابة بيرنام، أمر مالكولم جنوده - شأنه فى ذلك شأن القواد العظام - بأن يقطع كل فرد فرع شجرة ويحمله أمامه. لتخفى هذه الأفرع العدد الحقيقى لجنود جيشه.. وبدأ تقدم الجنود وهم يحملون أفرع الأشجار، وكأن الغابة تتحرك مما أفزع الرسول .. وهكذا تحققت كلمات الأرواح، على عكس ما فهمها ماكبث، وهكذا فقد واحدا من آماله الكبيرة..

بدأ القتال يأخذ مجراه، ورغم أن ماكبث كان يعاونه بكثير من التراخى، بعض الذين اعتبروا أنفسهم أصدقاءه، فإن القتال دار بضراوة بالغة وشجاعة، ومزقوا كل

من كان يعترض طريقه، حتى وصل إلى حيث كان ماكدوف يقاتل. وما أن رآه ماكدوف حتى تذكر تحذير الأرواح بعدم ملاقاته دونا عن الرجال جميعا، وفكر فى التراجع.. لكن ماكدوف وقد وقع بصره عليه خلال القتال، منعه من ذلك. ونشب بينهما قتال شرس، وجه إليه خلاله ماكدوف ألفاظا بذيئة لأنه قتل زوجته وأولاده. على حين كان ماكبث يتمنى فى قرارة نفسه، لأنه يحمل وزر دماء عائلته، ألا يدخل معه فى قتال، إلا أن ماكدوف ظل يدعوه للقتال، واصفا إياه بالطاغية، القاتل، السفاح، الشرير..!

تذكر ماكبث كلمات الروح، بأن النساء لم يلدن بعد من يستطيع إيذاءه، فابتسم وكله أمل، وقال لماكدوف: " أنت تضيع جهدك سدى، يا ماكدوف.. قد يكون من السهل أن تصيب الهواء بسيفك دون أن تمسنى به .. فحياتى يكتنفها السحر، وليس من السهل لأى إنسان عادى أن يتغلب عليها..!"

قال ماكدوف: " لا تأمل كثيرا فى هذا السحر، وقل لتلك الروح الكاذبة التى قالت لك ذلك، بأن ماكدوف ليس إنسانا عاديا، ولم يعش حياة الناس العاديين، ووجد فى هذا العالم قبل أن يولد من بطن أمه!".

فقال ماكبث وهو يضطرم غضبا بعد أن شعر بآخر أمل يفلت منه : " ملعون ذلك اللسان الذى قال لى ذلك، وأرجوك ألا تدع إنسانا يصدق أبدا أكاذيب الساحرات والأرواح، الذين يخدعوننا بكلمات تحمل أكثر من معنى، فعلى حين يحافظون على وعودهم بالمعنى الحرفى،يفسدون آمالنا بمعانى مختلفة. أنا لن أقاتلك!"..

فقال ماكدوف : "فلتعش اذن! وسوف نجعل منك فرجة للناس، كما يتفرجون على الوحوش، وسنضع لافتة نكتب عليها: " تفرجوا على الطاغية!"..

فقال ماكبث، وقد عادت إليه شجاعته بعد أن فقد الأمل : " كلا أبدا. أنا لن أعيش حتى أقبل الأرض تحت أقدام مالكولم، وتطاردنى اللعنات من الجماهير الغاضبة.. وعلى الرغم من أن غابة بيرنام قد تحركت، وعلى الرغم من أنك الإنسان الذى لم تلده امرأة بعد ليواجهنى، إلا أننى سأحاول للمرة الأخيرة!"..

بهذه الكلمات المجنونة ألقى بنفسه فوق ماكدوف، الذى استطاع بعد قتال عنيف أن يهزمه، ويقطع رأسه، ويقدمها هدية إلى الملك الشرعى مالكولم، بعد أن استعاد سلطته التى سلبت منه لمدة طويلة، وجلس على عرش الملك دنكان العظيم، تحوطه صيحات الفرح من النبلاء والجماهير..!

العبرة بالخواتيم

كان برترام كونت مقاطعة روزلون حيث العهد باللقب والمقاطعة بعد وفاة والده. وعندما سمع ملك فرنسا بوفاة والد برترام، بعث إلى ابنه رسالة يطلب منه الحضور على الفور إلى بلاط القصر الملكى فى باريس، نظراً للصداقة التى كان يكنها للكونت الراحل، ليشمل الشاب برترام برعايته وحمايته.

كان برترام يعيش مع والدته الكونتيسة المترملة، عندما حضر لورد عجوز من البلاط الفرنسى يدعى لافيو، جاء ليصحبه إلى البلاط الملكى. كان ملك فرنسا صاحب سلطة مطلقة، والدعوة إلى البلاط تعد تكليفاً رسميا، أوامراً واجب التنفيذ، لا يستطيع أحد من رعاياه، مهما كانت منزلته عصيان ذلك الأمر، ولذلك شعرت الكونتيسة أن فراق ابنها بدا وكأنها تقوم بدفن زوجها للمرة الثانية، الذى حزنت على فقدانه مؤخراً، ولكنها رغم ذلك لا تستطيع أن تبقيه يوماً واحدا، فأعطت أوامرها برحيله. حاول لافيو الذى جاء لمصابحته، أن يهدئ الكونتيسة ويخفف من حزنها لفقدانها اللورد الراحل، ولغياب ابنها المفاجئ، وقال فى محاولة لإطرائها، أن الملك يتعاطف مع الأميرة وربما ترى فى شخص جلالته زوجًا، وربما يكون والداً لابنها، بمعنى، أن الملك الطيب حتما سيساند برترام فى نجاحه . وأخبرها لافيو أن الملك أصيب بمرض فظيع، أعلن الأطباء لا شفاء منه. أبدت الكونتيسة حزنًا شديداً عند سماعها عن اعتلال صحة الملك، وقالت إنها كم كانت تود أن يكون والد هيلينا (امرأة شابة كانت إلى جوارها) على قيد اليحاة، فلم تكن تشك إطلاقا، أنه كان بإمكانه شفاء الملك من مرضه، ثم قالت له شيئا عن تاريخ هيلينا فهى الابنة الوحيدة لطبيب مشهور اسمه "جيرارد ناربون" وأوصى أن تكون ابنته تحت رعايتها بعد وفاته، ومنذ موته أصبحت هيلينا تحت رعايتها، وأخذت الكونتيسة تشير بفضائلها وإمكاناتها الرائعة، قائلة إنها ورثت هذه

الفضائل عن أبيها. وبينما كانت تتكلم، بكت هيلينا بأسى وحزن فى صمت، الأمر الذى جعل الكونتيسة تخفف عنها بلطف حزنها الشديد لوفاة والدها.

قام برترام بوداع والدته. وودعته الكونتيسة بدموع كثيرة والدعاء له. وقامت بتوصية لافيو عليه قائلة: " أرجوك، أيها اللورد، أن تنصحه وترشده، لأنه جديد على مجلس البلاط".

كانت آخر كلماته موجهة إلى هيلنا، لكنها كانت مجرد كلمات لطيفة متمنيا لها السعادة، وأنهى وداعه القصير معها بقوله: " أرجو أن تريحى أمى، سيدتك، والقيام بالكثير من أجلها".

كانت هيلينا تحب برترام منذ فترة طويلة. وعندما بكت فى صمت وحزن، فلم تكن الدموع التى ذرفتها من أجل والدها جيرارد ناربون، صحيح أنها أحبت والدها، لكن مشاعرها المليئة بالحب العميق، الذى سوف تفتقده، جعلها تنسى ملامح أبيها المتوفى، ولم يصور لها خيالها سوى صورة برترام".

لقد أحبت هيلينا برترام منذ فترة طويلة، إلا إنها تتذكر دائمًا أنه كونت مقاطعة روزليون، سليل أقدم عائلة فى فرنسا. وهى متواضعة المولد. فوالدها لا يعتد به، شىء لا يذكر. أسلافه كلهم من النبلاء، ولذلك كانت تنظر إلى برترام، من منظور عال نبيل المولد، وسيدها، ولم تجرؤ على تصور شىء آخر سوى أن تعيش خادمة له، تعيش وتموت خادمة له. بدت المسافة بعيدة جداً بين سمو وارتفاع مقامه وبين كيانها المتواضع، لدرجة أنها كانت تقول " لقد حدث فجأة أن وقعت فى حب نجم ساطع منير، وظننت أننى سأتزوجه، لكن برترام يعلونى بمسافة بعيدة".

كان غياب براترام يملأ عينيها بالدموع، وقلبها بالأسى، رغم أنها تحبه دون أمل، فقد كانت تشعر براحة جميلة عندما تراه كل ساعة، وتجلس تتأمل عينيه الداكنتين، وحاجبيه المقوسين، وتموجات شعره الجميل، حتى تبدو وكأنها ترسم صورة له على لوحة قلبها، ذلك القلب القادر تمامًا على تذكر كل خط فى ملامح ذلك الوجه المحبوب.

عندما مات جيرارد ناريون، لم يترك لها إرثًا سوى بعض الوصفات الطبية النادرة ثبت نجاحها وفعاليتها، استطاع من خلال الدراسة العميقة التى حصلها والخبرة الطويلة فى الطب، أن ينتج أدوية فعالة مؤكدة النجاح. من بين هذه الأدوية كان هناك دواء للمرض المضنى الذى ذكره لافيو وأصاب الملك، وعندما سمعت هيلينا عن معاناة الملك، رغم ما هى عليه من قلة شأن ويأس، فكرت فى مشروع طموح بأن تذهب بنفسها إلى باريس، وتتولى علاج الملك. لكن رغم أن هلينا هى صاحبة هذه الوصفة، فإنه من غير المحتمل، وقد قرر الأطباء المعالجون للملك أن مرضه لا شفاء منه، ولن يثقوا فى فتاة فقيرة غير متعلمة، لو أنها عرضت أن تقوم بشفائه. لكن أمالها الواثقة فى تحقيق النجاح، إذا سمح لها بالمحاولة، بدت أكثر ضمانا مما كان يأمل والدها، رغم أنه كان طبيبًا مشهوراً فى زمانه، لأنها استشعرت ثقة قوية بأن هذا الدواء الجيد بورك من قبل كل النجوم السماوية الجالبة للحظ، وسيكون بمثابة خطوة تُحسن من حظها، وترفع من شأنها لتكون جديرة كزوجة لكونت مقاطعة روزلون.

لم يمر وقت طويل على رحيل برترام، حتى عرفت الكونتيسة من أحد حراسها، أنه سمعها تتحدث مع نفسها، وأدرك من الكلمات التى سمعها أنها واقعة فى حب برترام وتفكر فى الذهاب إلى باريس . صرفت الكونتيسة الحارس بعد أن شكرته، وطلبت منه أن يخبر هيلينا بأنها تريد التحدث إليها. فقد آثار ما سمعته عن هيلينا ذكريات الأيام الماضية البعيدة فى ذهن الكونتيسة، تلك الأيام على الأرجح التى بدأ حبها لوالد برترام، فقالت لنفسها: " رغم أن ذلك حدث لى عندما كنت صغيرة . فالحب هو الشوكة المرتبطة بزهرة الشباب، لأننا فى فترة الشباب، إذا لم نكن أطفالاً طبيعين، فهذه الأخطاء تنتمى إليها، رغم أنها وقتها لا نعتبرها أخطاء". بينما كانت الكونتيسة مستغرقة فى أخطاء الحب أيام شبابها، دخلت هيلينا، فقالت لها: " هيلينا، تعلمين أننى بمثابة أم لك". فأجابت هيلينا، " أنت سيدتى الموقرة النبيلة". فقالت الكونتيسة ثانية " أنت ابنتى، أقول أنا أمك، لماذا فزعت وشحب لونك بسبب كلماتى". وبنظرات فزعه وأفكار مضطربة، خشية أن تكون الكونتيسة قد شكت فى حبها لابنها، فواصلت كلامها: " عفواً يا سيدتى، أنت لست أمى، ولا أنا ابنتك" فقالت الكونتيسة: لكن

يا هيلينا، ربما إبنتى بالتبنى، وأخشى أن يكون ذلك ما تقصدينه، فكلمة أم وإبنة تزعجك للغاية. هيلينا، هل تحبين ابنى؟ ". فقالت هيلينا المرتعبة: " عفواً، يا سيدتى الطيبة . فأعادت الكونتيسة سؤالها: "هل تحبين ابنى؟" فقالت هيلنا: " ألا تحبينه أنت أيضا يا سيدتى؟" . فردت الكونتيسة: " لا داعى لمثل هذه الإجابة المراوغة، يا هيلينا . هيا، هيا، أفصحى عن مشاعرك، لأن حبك ظاهر للعيان تماماً. ركعت هيلينا على ركبتها واعترفت بحبها، وتوسلت إلى سيدتها النبيلة وكلها فزع وخجل أن تسامحها، وبكلمات معبرة مليئة بالاحساس بعدم التكافؤ بينهما أكدت لها أن برترام لا يعلم أنها تحبه، وقارنت حبها المتواضع، بذلك الرجل الهندى الذى يعبد الشمس التى تطل عليه من عل، لكنها لا تعرف أى شىء عنه. وسألتها الكونتيسة عما إذا كانت اعتزمت الذهاب إلى باريس؟ فإعترفت هيلينا بكل ما خططته فى ذهنها، عندما سمعت كلام لافيو عن مرض الملك، فقالت الكونتيسة: " هل كان ذلك هو الدافع لك للذهاب إلى باريس؟ هل كان ذلك؟ تكلمى بصراحة، أجابت هيلينا بصدق" إن سيدى اللورد ابنك، جعلنى أفكر فى ذلك، ولم يغب عن ذهنى فى أثناء مناقشة أفكارى، لا باريس. ولا الدواء ولا الملك. " استمعت الكونتيسة إلى اعترافها الكامل، دون أن تقول كلمة، لكنها سألتها بجدية عن مدى إمكانية نجاح الدواء فى شفاء الملك. وإكتشفت أن ذلك هو أهم إنجاز كان يمتلكه جيرارد ناربون، وأهداه إلى ابنته وهو على فراش الموت، وتذكرت وعدها المقدس الذى أقسمته فى تلك الساعة الحرجة، بالقيام برعاية ابنته، التى شاء قدرها، وقدر الملك، على الاعتماد على نجاح هذا الإنجاز الذى يعد من ابتكار فكر هذه الفتاة المحبوبة، ولم تكن الكونتيسة تعلم عنه شيئاً، لكن ربما تقوم العناية الإلهية بإتمام شفاء الملك، وتدعم مستقبل ابنه جيرارد، فسمحت لها بالسفر ومواصلة طريقها، وأمدتها بكل كرم بما تحتاجه من لوازم السفر، ومرافقين مناسبين، وبدأت هيلينا رحلتها إلى باريس مع تمنيات الكونتيسة ودعواتها لها بالنجاح.

وصلت هيلينا إلى باريس، وبمساعدة صديقها اللورد العجوز لافيو، حصلت على إذن ملكى بالدخول إلى القصر، لكن واجهتها عقبات كثيرة، إذ لم يكن من السهل اقتناع الملك بتناول الدواء الذى قدم له من قبل هذه الطبيبة الشابة . لكنها أخبرته أنها إبنة جيرارد ناربون (الذى كانت شهرته معروفة للملك)، وأنها تقدم له أثمن دواء من

مجموعة الأدوية لوالدها، هذا الدواء الذى يحتوى على خلاصة خبرة ومهارة أبيها الراحل، وأنها تتعهد بأن تضحى بحياتها، إذا فشلت فى استعادة صحة جلالته تماماً خلال يومين، وأخيراً اقتنع الملك بتناول الدواء، على شرط أنه خلال يومين تفقد هيلينا حياتها إذا لم يتم شفاء الملك، أما إذا نجحت، فيعدها بإعطائها حق اختيار أى رجل فى فرنسا كلها (باستثناء الأمراء) ترغب فى الزواج به، وإختيار الزوج سيكون بمثابة أجر هيلينا الذى تستحقه إذا هى شفت الملك من مرضه.

كانت هيلينا على يقين من أن دواء والدها لن يخيب آمالها، وقبل نهاية اليومين، أصبح الملك فى أتم صحة وعافية، واجتمع بالنبلاء الشبان فى بلاطه، للتشاور فى الجائزة التى عرضها على طبيبته باختيار أى زوج يعجبها وسوف يحقق لها ذلك، وطلب من هيلينا أن تتطلع إلى هذه المجموعة الشابة من النبلاء والعذاب، وتختار زوجاً لها. لم تستغرق وقتاً طويلاً فى اختيارها، فقد كان برترام كونت روزلون ضمن هذه المجموعة من اللوردات، فالتفتت إليه، وقالت: " هذا هو الرجل. أنا لا أجرؤ على القول، يا سيدى اللورد، بأننى اخترتك، بل إننى أهب نفسى لك، وخدماتى طالما أنا على قيد الحياة لتكون تحت أمرك. فقال الملك : " اذن، أيها الشاب برترام، هى لك، زوجة لك". لم يتردد برترام فى إعلان عدم رضاه عن هدية الملك، باهدائه هيلينا، التى قال عنها، إنها ابنة طبيب فقير، تربت تحت رعاية أبيه، والآن تعيش تحت رعاية أمى. بعد أن سمعته هيلينا ينطق بهذه الكلمات التى تتسم بالرفض والاحتقار، قالت للملك. " طالما أنت بخير، يا مولاى، فأنا سعيدة، دع الأمور تمضى." لكن الملك لم يسمح أن يُستخف بأمر ملكى أصدره، لأن سلطة إهداء المنح لنبلائه خاصة فى الزواج كانت واحدة من المزايا الكثيرة لملوك فرنسا، وهكذا، وفى نفس اليوم تم زواج برترام وهيلينا. كان زواجاً صعباً أجبر عليه برترام، وزواجاً غير واعد بالنسبة للسيدة المسكينة، التى اعتقدت أنها حصلت على زوج نبيل، جازفت بحياتها للحصول عليه، لكن يبدو أنها لم تكسب سوف بريق أجوف، لأن حب زوجها لها لم يكن هبة باستطاعة ملك فرنسا بمقتضى سلطاته أن يمنحه لها.

لم يمض وقت طويل على زواج هيلينا، حتى طلب منها برترام أن تتوسط له لدى الملك ليعفيه من حضور مجلس البلاط، وعندما أحضرت الإذن بالرحيل، قال لها إنه لم

يكن مهيئًا لذلك الزواج المفاجئ، الذى تسبب فى عدم استقراره، لذا لا ينبغى عليها أن تدهش من السلوك الذى يتحتم عليه أن يتبعه. وإذا كانت هيلينا لم تدهش، إلا إنها حزنت عندما اكتشفت نيته لتركها. وأمرها أن تعود إلى أمه فى المقاطعة. عندما استمعت هيلينا لهذا القرار القاسى، أجابت : " سيدى، ليس لدى ما أقوله إزاء ذلك، ولكونى أكثر الناس خدمة وطاعة لك. فسوف أحاول بكل ما أستطيع، الالتزام بذلك حتى لا تطول فترة الهجر، حيث فشلت نجومى فى رفع شأنى". لكن كلام هيلينا الذليل لم يحرك غطرسة برترام ويتعاطف مع زوجته الرقيقة، ورحل عنها دون أن يودعها حتى ولو بالطريقة اللطيفة العادية.

عودة إلى الكونتيسة بعد رجوع هيلينا . التى حققت الهدف من رحلتها. أنقذت حياة الملك، وتم زفافها إلى حبيب قلبها، اللورد دوق مقاطعة روزلون، والآن عادت سيدة مغتمة حزينة إلى حماتها النبيلة، وعندما دخلت القصر، وصلها خطاباً من برترام، حطم قلبها تماما.

استقبلتها الكونتيسة بود وترحاب حار، باعتبار أنها اختيار ابنها، وأصبحت ذات مقام عال، وقالت كلمات لطيفة لتخفف عنها ما قام به برترام من إرسال زوجته وحدها إلى قصره، وتجاهله بأنها مازالت فى شهر العسل. لكن هذا الاستقبال الكريم فشل فى استعادة البهجة إلى فكرها، فقالت: "سيدتى، سيدى اللورد رحل إلى الأبد". ثم قرأت ما جاء فى خطاب برترام: (عندما تستطيعن خلع الخاتم من إصبعى، وهذا لن يحدث أبداً، ساعتها، يمكنك أن تدعونى بزوجك، لكن فى اللحظة التى أكتب فيها هذا الخطاب، فهذا مستحيل) ثم قالت: " هذه جملة فظيعة". دعتها الكونتيسة بالتحلى بالصبر، وقالت، إذا كان برترام قد رحل، فإنها بمثابة ابنة لها، وتستحق دستة لوردات أفضل كثيراً مما قام به برترام من تصرف صبيانى ردىء، وكانت تناديها دائمًا بسيدتى. لكن كل ما كانت تبذله الكونتيسة من جهود وإطراء لطيف للتخفيف من حزنها، ذهبت هباء".

كانت عينا هيلينا لا تزالان تحملقان فى الخطاب. فبكت بأسى وحزن شديدين، وقرأت جملة "طالما ليس لى زوجة، فليس هناك داع للبقاء فى فرنسا" فسألتها

الكونتيسة: " هل هذه الكلمات مكتوبة فى الخطاب؟" نعم، يا سيدتى" كان ذلك ما ردت به هيلينا المسكينة.

صباح اليوم التالى، اختفت هيلينا. وتركت خطاباً يتم تسليمه للكونتيسة بعد رحيلها، لتعرف السبب فى رحيلها المفاجئ: أخبرتها فى الخطاب، أنها فى أشد الحزن، لأنها دفعت برترام للتخلى عن بلده، وموطنه، وحتى تكفر عن خطئها، فقد قررت أن تحج إلى مزار القديس "جاكيوس لى جراند"، واختتمت خطابها برجاء أن تخبر ابنها بأن الزوجة التى كرهها للغاية قد غادرت بيته إلى الأبد.

عندما غادر برترام باريس، ذهب إلى فلورنسا، وأصبح ضابطًا فى جيش دوق فلورنسا، وبعد المشاركة فى حرب ناجحة، تميز فيها عن أقرانه بأعمال جسورة، تلقى خطاباً من أمه، يحمل أنباءً، بأن هيلينا لن تزعجه بعد ذلك، وكان وقتها يستعد للعودة إلى الوطن، فى حين كانت هيلينا وهى فى ثياب الزيارة المقدسة، قد وصلت إلى فلورنسا.

كانت فلورنسا هى المدينة التى يمر بها الزوار عادة وهم فى طريقهم إلى مزار القديس جاكيوس لى جراند، عندما وصلت إلى هذه المدينة، سمعت عن بيت ضيافة الأرملة، الذى يستضيف الزوار من النساء، المتجهين لمزار القديس للإقامة، حيث تقدم لهن أسباب الراحة والمبيت. توجهت هيلينا إلى هناك، فرحبت بها الأرملة بمنتهى اللطف والدماثة، ودعتها لمشاهدة ما ترغب من معالم تلك المدينة الشهيرة، كما قالت لها إذا كانت تريد أن ترى جيش الدوق، فمن الممكن أن تصطحبها. حيث يمكنها أن تلقى نظرة عامة عليه . وقالت أيضا: " سترين هناك مواطنًا من بلدك، اسمه كونت روزلون، قام بخدمات جليلة فى حرب الدوق." لم ترغب هيلينا فى أى دعوة أخرى، عندما علمت أن برترام سيشارك فى الاستعراض. اصطحبتها مضيفتها، وهى تشعر بسعادة يكسوها الأسى والحزن لأنها ستلقى نظرة مرة ثانية على وجه زوجها العزيز سألتها، الأرملة: " أليس رجلاً وسيما؟ أجابت هيلينا بصدق تام : "أعتقد أنه على ما يرام" . طوال سيرهما فى الطريق، لم يكن كل ما يشغل الأرملة سوى الحديث عن برترام:

فقصت عليها قصة زواج برترام، وكيف أنه هجر زوجته المسكينة، والتحق بجيش الدوق وتجنب العيش معها. ولسوء حظ هيلينا فقد استمعت بصبر للحكاية، وعندما انتهت، لم يكن تاريخ حياته قد اكتمل بعد، لأنها بدأت حكاية أخرى، كانت كل كلمة فيها تؤثر بعمق فى قلب هيلينا، لأن الحكاية تشير إلى أنه واقع فى حب ابنتها.

رغم أن برترام لم يعجبه الزواج الذى فُرض عليه من الملك، إلا إنه لم يفتقد إحساسه بالحب، لأنه منذ التحاقه بالجيش فى فلورنسا، وقع فى حب ديانا، فتاة جميلة فارهة، وابنة هذه الأرملة التى تستضيفها، وكل ليلة تصدح الموسيقى والأغانى امتداحًا لجمال ديانا، فقد كان يقف تحت نافذتها ويتغنى بجمالها، كل ذلك من أجل أن تسمح له بزيارتها خلسة بعد أن تكون العائلة قد استغرقت فى النوم، لكن ديانا لم تقتنع رغم كل ما قام به، بالموافقة على طلبه الخاطئ، ولم تبد أى تشجيع لتوسلاته، لأنها تعرف أنه رجل متزوج، لأن تربية ديانا اعتمدت على نصائح أمها المتعقلة المتبصرة، رغم أنها كانت تعيش الآن تحت ظروف معيشية قليلة الموارد، فإنها كانت من أصل طيب، وتنتمى إلى عائلة كابيوليت النبيله.

كل ما قالته تلك السيدة الطيبة لهيلينا كان مدحًا كثيرًا لفضائل وأخلاقيات ابنتها التى تتسم بالتعقل والحكمة، وأضافت أنها على قدر كبير من التعليم المتميز إضافة إلى النصائح التى تعطيها لها، لدرجة أنها رفضت طلب برترام بعد أن ألح عليها بصفة خاصة، أن تسمح له بزيارتها هذه الليلة حيث يرغب كثيرا فى رؤيتها، لأنه سيغادر فلورنسا مبكرًا صباح الغد.

رغم أن هيلينا حزنت لسماع حب برترام لابنة الأرملة، فإن هذه الحكاية شحذت فكرها ففكرت فى خطة (أقل جسارة من خطة شفاء المريض الناجحة فى المرة السابقة) لتستعيد زوجها اللورد الذى لا يقوم بأداء واجبه. وكشفت للأرملة بأنها هيلينا، الزوجة التى هجرها برترام زوجها، وطلبت من مضيفتها الطيبة وابنتها أن يوافقا على إتمام زيارة برترام، والسماح لها بأن تقدم نفسها لبرترام على أنها ديانا، وقالت لها إن دافعها الأساسى ورغبتها فى إتمام اللقاء السرى مع زوجها، هو أن

تحصل على الخاتم منه، كما قال، حتى ولو أصبحت فى موقف يستطيع هو التعرف عليها كزوجته.

وعدتها الأرملة هى وابنتها بمساعدتها فى مهمتها، وتعاطفا إلى حد كبر مع هذه الزوجة التعسة المهجورة، وأيضا الوقوف إلى جانبها، ووعدتهما بمكافأة نقدية لها لما ستقومان به من خدمة. وبناء على ذلك وفى نفس اليوم اختلقت هيلينا قصة تبعث بها إلى برترام تفيد بأنها ماتت، على أمل أنه عندما يسمع هذا الخبر، فيشعر بالتحرر ويقوم بإتمام خياره الثانى ويطلب الزواج منها وهى متخفية فى شخصية ديانا، وإذا استطاعت أن تحصل على الخاتم والخطوبة أيضا، فلم يراودها شك بأنها سوف تحقق شيئا من مستقبل ينتظرها.

فى ذلك للمساء، عندما حل الظلام، تم دعوة برترام بالسماح له بالتواجد فى غرفة ديانا، حيث كانت هيلينا على استعداد لاستقباله. كان وقع كلمات الحب والاطراء والترحيب الذى لاقاها به، ذا أثر مبهج عليها، رغم أنها كانت تدرك أن المقصود به ديانا، ولما كان برترام فى منتهى السعادة بلقائها، فتعهد لها بقسم مقدس بأن تكون زوجة له، يحبها إلى الأبد، مما جعلها تأمل بأن يكون ذلك نبوءة بمشاعر صادقة، عندما يكتشف أنها هيلينا زوجته التى هجرها.

لم يكن برترام يتصور أن هيلينا سيدة تمتلك تلك المشاعر الجياشة، ربما لأنه لم يكن يوليها اهتمامًا . باعتبار أنه يراها كل يوم، ولم يلحظ جمالها أبدا، لأن الوجه الذى يتعود الإنسان على رؤيته بشكل دائم، يفقد تأثيره، الذى يحدث عندما يراه لأول مرة، سواء كان هذا الوجه جميلاً أو عاديًا، أما بالنسبة لفهمه لها فقد كان من المستحيل أن يقدره، لأنها تذكر أنها كانت تقف أمامه بمشاعر حبها المضطربة، ولا تنطق بكلمة: أما الآن فيبدو أن مستقبل مصيرها، والنهاية السعيدة لكل خطط مشروعات حبها، يتوقف على مدى ما تركته من تأثير على تفكير برترام خلال لقاء تلك الليلة، فقد بذلت كل ذكائها لإسعاده، بكلماتها البسيطة اللطيفة وحديثها الجميل، وسلوكها المحب حتى سحرته، فأقسم لها أنها ستكون زوجته. طلبت منه أن يعطيها

الخاتم الذى فى إصبعه ليكون تذكاراً لتقديره، فأعطاها إياه، وفى مقابل هذا الخاتم الذى كان ذا أهمية أن تستحوذ عليه، أعطته الخاتم الذى أهداه الملك لها. وقبل أن يطلع ضوء النهار صرفت برترام، وعلى الفور بدأ رحلته تجاه بيت أمه.

أقنعت هيلينا الأرملة وديانا لمصاحبتها إلى باريس، فمساعدتهما ضرورية جداً لإنهاء خطتها بشكل تام. عندما وصلوا إلى هناك، اكتشفوا أن الملك ذهب لزيارة الكونتيسة فى روزلون، فتبعته هيلينا إلى هناك. بأقصى سرعة ممكنة.

كان الملك فى أتم صحة وعافية، ودائما ما يتذكر الجميل الذى قامت به هيلينا، الذى أدى إلى شفائه، وفى اللحظة التى رأى فيها الكونتيسة، بدأ يتحدث عن هيلنا، ووصفها بالدرة الثمينة، التى ضاعت بسبب حماقة ابنها : لكنه عندما لاحظ أن الموضوع يحزن الكونتيسة، لأنه يمس موت هيلينا، فقال: " سيدتى الطيبة، لقد عفوت عنه ونسيت الأمر كله." . لكن فليو العجوز ذا الطبيعة الطيبة الذى كان حاضراً، لم يستطع تحمل ذكرى هيلينا المحبوبة، لتمر هكذا ببساطة، فقال: " إن ما يجب أن أقوله، إن اللورد ارتكب جرماً فظيعاً فى حق صاحبة السعادة، والدته، وزوجته، وارتكب فى حق نفسه أكبر خطاء على الاطلاق، لأنه فقد زوجته التى كان جمالها يبهر أنظار الجميع، وحديثها يأسر الأسماع، وكذلك كمال أخلاقها الذى جعل كل القلوب تهفو لخدمتها." فقال الملك : " إن امتداح ما فقد، يجعل الذكرى عزيزة علينا - استدعوه للمثول أمامى . " وكان يقصد برترام، الذى حضر للتو ووقف أمام الملك، ليبدى عميق أسفه للأذى الذى سببه لهيلينا، والملك، ووالده المتوفى، ولوالدته الحبيبة، وتوسل إلى الملك بأن يعفو عنه ويعطيه فرصة أخرى لرد جميله. لكن مشاعر الملك السمحة سرعان ما تبدلت تجاهه، لأنه لاحظ أن برترام يضع فى إصبعه نفس الخاتم الذى أهداه لهيلينا: وأنه يذكر جيداً أن هيلينا استدعت أرواح كل القديسين ليكونوا شهوداً عليها، بأنها لن تخلع هذا الخاتم إلا إذا أرسلته إلى الملك فى حالة تعرضها لكارثة تحل بها، ورداً على تساؤل الملك عن كيفية حصوله على هذا الخاتم. روى برترام قصة غير محتملة الحدوث، بأن سيدة ألقت إليه بالخاتم من أحد النوافذ، وأنكر تماماً عدم رؤيته لهيلينا منذ يوم زواجه. كان الملك يعلم تماماً أن برترام يكره زوجته،

فخشى أن يكون قتلها، فأمر حراسه بالقبض عليه، قائلاً: " أشك أن هناك، أشياء خفية، فهناك ظنون فظيعة تراودنى، وأخشى أن تكون حياتها قد سلبت منها بطريقة شريرة." فى هذه اللحظة دخلت ديانا وأمها، وقدمتا التماسًا للملك، يطلبان فيه من جلالته أن يستخدم سلطته الملكية فى إجبار برترام على زواج ديانا، حيث وعدها بقسم مقدس بالزواج منها. خشى برترام من غضب الملك فأنكر لأنه لم يعدها بأى شىء، عندئذ أخرجت ديانا الخاتم الذى كانت هيلينا قد وضعته بين يديها، لتؤكد صدق كلامها، وقالت بأنها أعطته الخاتم الذى يضعه فى إصبعه، بدلاً من ذلك الخاتم، وأقسم ساعتها بالزواج بها. عند سماع ذلك أمر الملك بالقبض عليها أيضا. لأن ما روته عن الخاتم يختلف عما رواه برترام، وتأكدت شكوك الملك وقال، إذا لم يعترفا بكيفية الحصول على خاتم هيلينا، فسيحكم عليهما بالإعدام. فطلبت ديانا من أمها أن تحضر بائع المجوهرات الذى اشترت منه الخاتم ليؤكد ذلك، فخرجت الأرملة، وسرعان ما عادت ومعها هيلينا.

أما الكونتيسة الطيبة وقد استشعرت وهى فى حالة من الحزن الصامت الخطر الذى يحيق بابنها، فانتابها الفزع أن تصبح الشكوك فى قيامه بقتل زوجته حقيقة، وما إن رأت عزيزتها هيلينا، التى أحبتها بمشاعر أمومية، مازالت على قيد الحياة، حتى شعرت بفرحة وبهجة كان من الصعب أن تتحملها، حتى الملك الذى من النادر أن يعتقد فى المزاح، لم يصدق أنها هيلينا، فقال: " هل ما أراه حقيقة هى زوجة برترام؟ . أما هيلينا التى كانت تعتبر نفسها زوجة غير معترف بها بعد، فقد أجابت: " كلا، يا سيدى اللورد، إن ما تراه ما هو إلا شبح زوجة، مجرد اسم وليست الأصل". فصرخ برترام بصوت عال. "اثنتان، اثنتان! لا يمكن! فقالت هيلينا لبرترام : " يا سيدى اللورد، عندما تقمصت دور الفتاة الجميلة، وجدتك عطوفا بشكل رائع، انظر، ها هو خطابك! " وقرأت له بأداء مرح تلك الكلمات التى رددتها ذات مرة بكل أسف. " عندما يمكنك الحصول على هذا الخاتم من إصبعى..." وذلك ما قد حدث، إنه أنا من أعطيتها الخاتم. فهل ستصبح لى، لقد فزت الآن مرتين؟ فأجاب برترام : " هل من الممكن أن توضحى الأمر أكثر، لو أنك السيدة التى تحدثت معها فى تلك الليلة، فسأحبك إلى الأبد، إلى الأبد."

لم تكن المهمة صعبة بالنسبة للأرملة وديانا فى مساعدة هيلينا لإثبات الحقيقة، وسعد الملك كثيراً بديانا، للمساعدة الودودة التى قامت بها لهيلينا المحبوبة، التى يقدرها كثيراً، للخدمات التى قدمتها له، ووعد ديانا أيضا بزوج من النبلاء، وأوحت له حكاية هيلينا، أنه لا مانع على الإطلاق أن يشمل حق الملوك فى منح الهبات والعطايا، للسيدات الجميلات اللاتى يقمن بخدمات جليلة.

وأخيراً، اكتشفت هيلينا أن ميراث أبيها أيده حسن طالع النجوم السماوية، لأنها أصبحت الآن الزوجة الأثيرة لحبيبها برترام، وزوجة ابن السيدة الكريمة، كما أنها أصبحت كونتيسة مقاطعة روزلون.

ترويض الشرسة

كانت كاثرين، أكبر بنات بابتستا، وهو رجل ثرى من بادوا، فتاة ذات مزاج جامح وصوت عال ولسان سليط. حتى أنها كانت لا تعرف فى بادوا باسم آخر سوى كاثرين الشرسة. وبالطبع كان من غير المحتمل ومن المستحيل فى الواقع، أنه سيوجد من يتقدم للزواج من هذه الفتاة أبدا. ولهذا فقد وجه الكثيرون اللوم إلى بابتستا لرفضه عروض زواج رائعة لأختها الرقيقة بيانكا، وحجته فى ذلك أنه عندما ينفض يده من الأخت الكبرى يكون لبيانكا الصغيرة مطلق الحرية فى الزواج.

حدث فى تلك الأثناء أن قدم إلى بادوا رجل يدعى بتروشيو بهدف البحث عن زوجة. ولم يثبط من عزيمته تلك الاعتبارات عن حدة مزاج كاثرين، خاصة عندما علم أنها ثرية وجميلة، فصمم على الزواج من تلك الشرسة الشهيرة، وترويضها ليجعل منها زوجة مطيعة رقيقة.

وحقيقة لم يكن هناك من هو أنسب من بتروشيو ليحاول ذلك. كان معتدا بنفسه مثل كاثرين، ومسليا وصاحب روح فكهة. بالإضافة إلى أنه كان حكيما جدا، وصاحب رأى صائب، ويعرف كيف يتظاهر بالغضب والعنف. لدرجة أن بإمكانه أن يضحك بسعادة على تظاهره هذا. كانت كل مظاهر السلوك الخشن والعنف هى الطريقة الوحيدة فقط، كما تصور، عندما أصبح زوجا لكاثرين للسيطرة على غضب زوجته الجامح.

عندما ذهب بتروشيو لطلب يد كاثرين الشرسة كان أول شىء طلبه من بابتستا أن يلتمس الفوز بابنته الرقيقة كاثرين، كما سماها بتروشيو، لتكون زوجة له. وقال، إنه عندما سمع عن تواضعها وسلوكها المهذب حضر من فيرونا ليطلب يدها.

وبرغم أن والدها كان يتمنى أن تتزوج فقد وجد نفسه مضطرا للاعتراف بأن شخصية كاثرين على العكس تماما من ذلك. وحتى يتضح ما هى عليه من رقة، فقد اندفع داخل الحجرة مدرس الموسيقى ليشكو من أن كاثرين الرقيقة، تلميذته، قد ضربته على رأسه بآلتها الموسيقية لأنه تجرأ واكتشف بعض الخطأ فى عزفها.

عندما سمع بتروشيو ذلك قال: " يا لها من فتاة رائعة!.. كم أحبها كثيرا، وأود أن أتحدث إليها قليلا!". وعندما طلب من والدها أن يمنحه موافقته قال: لابد أن أعود لمباشرة أعمالى يا سيدى بابتستا،، فأنا لا أستطيع أن آتى كل يوم لأكسب ودها كما ترى، فوالدى مات كما تعلم، وترك لى إرثا يشمل كل أراضيه وعقاراته. أرجوك أن تخبرنى. لو أننى فزت بحب ابنتك، كم من المال ستهبه لها..؟"

وبرغم أن بابتستا رأى أن هذا سلوك خشن لا يتناسب مع عاشق، لكن لأنه سيكون سعيدا لزواج كاثرين، فأجاب بأنه سيهبها ألفى كرون، ونصف ميراثه بعد وفاته..

وهكذا تم الاتفاق على الزواج الغريب بسرعة، وذهب بابتستا ليخبر ابنته الشرسة بأن لها عاشقا، وأرسلها إلى بتروشيو لتسمع منه رغبته فى الزواج منها.

فى تلك الأثناء كان بتروشيو قد قرر الطريقة التى يعبر بها عن حبه لها.. وقال: لو أنها ستكون غاضبة منى، فسأقول لها أنها تشدو بعذوبة كالطائر، وإذا بدت عابسة، سأقول لها أنها تبدو فى صفاء الوردة التى غسلتها الأمطار. ولو أنها لم تتحدث إلى بكلمة، فسوف امتدح بساطة وجمال لغتها، وإذا طلبت منى أن أغادر المكان، فسوف أشكرها، كما لو أنها قد طلبت منى أن أبقى معها أسبوعا!

عندئذ دخلت كاثرين وتحدث إليها بتروشيو.

– صباح الخير يا كات، لأن هذا هو اسمك الذى سمعته!

لم ترق لكاثرين هذه التحية فقالت باعتداد : إن على من يريد التحدث إلى أن ينادينى بكاثرين!

فأجاب العاشق : " أنت تكذبين، لأنهم يدعونك كات ببساطة، وكات الجميلة، وأحيانا كات الشرسة: لكنك يا كات، أجمل وأرق كات فى العالم، ولذلك عندما سمعت يا كات، عن رقتك تُمتدح فى كل مكان، أتيت لأحظى بك زوجة لى!"

وهكذا تم أغرب غزل بينهما، بصوت عال وكلمات غاضبة، فأوضحت له كيف أنها حازت بجدارة على لقب السليطة، على حين أنه امتدح لغتها الجميلة، وأخيراً عندما سمعا صوت قدوم والدها، قال بسرعة: عزيزتى كاثرين، دعينا نوقف هذا الحديث التافه، لأن والدك قد وافق على أن تكونى زوجتى، وسواء رغبت أم أبيت، فسوف أتزوجك!.

عندما دخل بابتستا أخبره بتروشيو أن ابنته استقبلته بلطف، ووعدت بالزواج منه يوم الأحد القادم.

فقالت كاثرين : إن هذا ليس صحيحا، فإنها تود لو تراه مشنوقا يوم الأحد.. وأضافت: " إنها تلوم والدها لرغبته فى تزويجها من رجل مجنون مثل بتروشيو". فطلب بتروشيو من والدها ألا يعير اهتماما لكلماتها الغاضبة، لأنهما اتفقا على أن تبدو غير موافقة فى حضوره، لكن عندما كانا بمفردهما، اكتشف أنها تحبه جدا!

قال لها : " ناولينى يدك يا كات، سأذهب إلى فينيسيا لأشترى لك ثيابا جميلة لزواجنا. إستعد للاحتفال، يا سيدى وادعو الضيوف.. لن أنسى إحضار الخواتم، والملابس الفاخرة، حتى تبدو حبيبتى كاتى فى أبهى جمالها. قبلينى يا كات لأننا سنتزوج يوم الأحد القادم!.

فى يوم الأحد، احتشد كل ضيوف حفل الزفاف، وظلوا منتظرين قدوم العريس لوقت طويل، وبكت كاثرين خشية أن يكون بتروشيو يسخر منها. وأخيراً عندما ظهر، لم يحضر معه شيئًا من الملابس الفاخرة التى وعد بها كاثرين. حتى هو نفسه لم يلبس ملابس العريس، بل كان يرتدى ملابس غريبة غير مناسبة، كما لو أنه كان ذاهبا فى مهمة عمل جادة. حتى خادمه كان يرتدى ملابس فقيرة، وكذلك الخيل التى ركباها كان مظهرها على هذا النحو.

لم يستطع أحد أن يقنع بتروشيو بتغيير ملابسه، وقال إن كاثرين سوف تتزوجه هو وليس ملابسه. وعندما اكتشفوا أنه لا فائدة ترجى من نقاشه، توجهوا إلى الكنيسة، وهناك ظل يتصرف بنفس الطريقة المجنونة. عندما سأله القسيس عما إذا كان يقبل كاثرين زوجة له، فأجابه بصوت مرتفع جدا أدهش القسيس، وجعل الكتاب المقدس يسقط من بين يديه، وبينما كان ينحنى لالتقاطه، ناوله ذلك العريس المجنون ضربة جعلته يسقط على الأرض ومعه الكتاب. وطوال فترة عقد القران، كان يدق قدميه فى الأرض ويصرخ، حتى أن كاثرين المعتدة بنفسها بدأت تضطرب وترتعش خوفا.

بعد انتهاء مراسم الزفاف، وبينما كانوا فى الكنيسة، طلب نبيذا وشربه، فى صحة كل الموجودين، دون إبداء سبب لتصرفه الغريب سوى أن ذقن الرجل تبدو هزيلة وعطشانة، وفى حاجة إلى الشراب لتنمو!

لم يسبق أن حدث زواج غريب على هذا النحو، لكن بتروشيو إدعى الجنون فقط، حتى يحقق مزيدا من النجاح فى خطته التى رسمها لتهذيب زوجته الشرسة.

كان بابتستا قد أعد حفل زفاف كلفه كثيرا، لكن، عندما عادوا من الكنيسة، أصر بتروشيو على أخذ عروسه إلى بيته فورا. ولم يفلح نقاش بابتستا معه ولا كلمات كاثرين الغاضبة أن تثنيه عن عزمه. وأعلن أن من حقه كزوج أن يفعل ما يحلو له مع زوجته وأسرع خارجا بكاثرين، وكله تصميم وثقة بأن لا أحد يجرو على محاولة إيقافه!

وجعل بتروشيو زوجته تمتطى ظهر حصان يبدو عليه الشقاء والهزال والجوع، انتقاه خصيصا لتركبه، ولم يكن الحصان الذى يركبه هو أو خادمه بأفضل من ذلك. وانطلقوا راحلين فى طريق وعرة موحلة. وعندما كاد حصان كاثرين أن يسقط، كان يصرخ بصوت مرتفع فى ذلك الحيوان المسكين الذى كان يتحرك بالكاد تحت حمله!.

أخيراً بعد رحلة مجهدة، لم تسمع كاثرين خلالها إلا صياح بتروشيو العاصف فى الخادم والخيل، حتى وصلوا إلى بيته. ورحب بتروشيو بقدومها إلى بيتها بمنتهى

الرقة، لكنه كان قد رتب فى ذهنه ألا تتناول طعاما أو تسنح لها فرصة للراحة فى تلك الليلة.

كانت الموائد مفروشة، وسرعان ما قدم العشاء لكن بتروشيو تظاهر بأن كل أطباق الطعام ليس كما ينبغى، وألقى اللحم على الأرض، وأمر الخدم أن يرفعوا الطعام. وقال إنه فعل كل ذلك، بسبب حبة لكاثرين، إذ لا ينبغى أن تأكل لحما ليس مطهوا جيدا.

عندما تعبت كاثرين ولم يعد هناك أمل فى العشاء، ذهبت لتستريح، لكنه ادعى أن الفراش غير مرتب كما ينبغى وألقى بالملاءات فى كل أجزاء الغرفة، فوجدت نفسها مجبرة على الجلوس على مقعد وإذا حدث واستغرقت فى النوم كانت تستيقظ بسرعة على صوت زوجها المرتفع، وهو يعنف الخدم لعدم ترتيب حجرة عروسه كما ينبغى.

فى اليوم التالى استمر بتروشيو فى التصرف بنفس الطريقة، فواصل حديثه إلى كاثرين بكلمات طيبة، لكنها عندما حاولت أن تأكل، ادعى أن كل ما أمامها من طعام ليس على ما يرام، وألقى بطعام الإفطار على الأرض كما فعل بطعام العشاء وهكذا وجدت كاثرين - كاثرين المتعجرفة - وجدت نفسها مجبرة لتطلب من الخدم أن يحضروا لها طعامها سرا، لكن كانت لديهم أوامر مسبقة من بتروشيو بأنهم لا يجرؤون على تقديم أى شىء لها دون علم سيدهم!

قالت كاثرين لنفسها : : " آه! أيتزوجنى لكى يجعلنى جوعانة؟.. إن الشحاذين الذين يأتون إلى باب دار أبى يقدم لهم الطعام. لكن أنا، التى لم تعرف أبدا أن تتوسل من أجل أى شىء، أُترك هكذا دون طعام أو نوم، لقد جعلنى متيقظة بصياحه . ولم يطعمنى إلا بصياحه، والشىء الذى يجعلنى أتميز غضبا، أنه يفعل ذلك باسم الحب الشديد".

قطع أفكارها دخول بتروشيو، وقد أحضر لها قطعة صغيرة من اللحم وقال لها: "كيف حال حبيبتى كات؟ أرجو أن تعرفى، يا حبى، كم أفكر فيك كثيرا.. لقد قمت بطهى اللحم لك بنفسى. وأعتقد أن هذا الفعل منى يستحق الشكر.. ماذا، ولا كلمة؟.. إذن فأنت لا تحبين اللحم، وضاع كل جهدى عبثا".

ثم أمر الخادم أن يأخذ طبق اللحم بعيدا.

استطاع الجوع الشديد أن يقلل من عجرفة كاثرين، وبرغم أنها كانت ما تزال غاضبة جدا قالت: " أرجوك، أتركه هنا".

لكن بتروشيو كان يقصد أن يجعلها أكثر تواضعا، فأجاب: " إن أقل خدمة تقابل بالشكر، وأعتقد أن خدمتى يجب أن تقابل بالشكر قبل أن تلمسى اللحم".

عندئذ قالت كاثرين رغما عنها: " أشكرك، يا سيدى"

وهكذا سمح لها بتناول قطعة صغيرة جدا من اللحم، قائلا: " ربما تجعل قلبك الرقيق أكثر حنانا، يا كات ؟ تناولى ذلك كله بسرعة. والآن يا حبى سوف نعود إلى بيت والدك، فى أبهى زينتنا بالحلل الحريرية والقبعات والخواتم الذهبية".

ولكى يجعلها تصدق حقيقة أن فى نيته فعل ذلك، استدعى خياطا، وصانع قبعات، أحضرا معهما بعض الملابس الجديدة التى أمر بها من أجلها. ثم، ناول طبقها للخادم لكى يأخذه بعيدا قبل أن تسد رمقها وقال: " هيه، هل أكلت؟".

عرض صانع القبعات قبعة قائلا: " ها هى القبعة التى أمرت بها".

عند ذلك، بدأ بتروشيو يثور ثانية، قائلا بأن هذه القبعة لا يزيد حجمها عن قشرة اللوز، وقال لصانع القبعات خذها واصنع واحدة أكبر.

قالت كاثرين: "سآخذ هذه، فكل السيدات الرقيقات يرتدين مثل هذه القبعات".

فأجاب بتروشيو: " عندما تصبحين رقيقة سيكون لديك واحدة، لكن ليس قبل ذلك".

فقالت كاثرين بعد أن جعلها الطعام تستعيد قواها قليلا: "لماذا، يا سيدى، أعتقد أنه مسموح لى بالكلام وسوف أتكلم، فأنا لست طفلة، فهناك أناس أفضل منك استمعوا إلى وأنا أعبر عما يدور فى ذهنى، وإذا لم تستطع. فالأفضل لك أن تسد أذنيك!"

لم يشأ بتروشيو أن يستمع إلى هذه الكلمات الغاضبة لأنه اكتشف طريقة أفضل لمعاملة زوجته أفضل من إثارة نقاش معها. فكانت إجابته كالتالى: لماذا؟ أنت تقولين الحقيقة! إنها قبعة صغيرة لا قيمة لها، وأنا أحبك لأنك لست معجبة بها!

فقالت كاثرين : " تحبنى، أو لا تحبنى، فالقبعة تعجبنى، وسوف أخذها ولا شىء سواها على الإطلاق".

قال بتروشيو وهو يتظاهر بعدم فهمها: "تقولين أنك ترغبين فى رؤية الفستان"!

عندئذ تقدم الخياط وأراها فستانا جميلا كان قد صنعه لها. فقال بتروشيو الذى كان يتعمد ألا تحصل على قبعة أو فستان: "إن خامة القماش فقيرة، كما أن الفستان صنع بشكل ردىء.

قال الخياط: "لقد قلت لى أن أصنعه حسب أخر موضة".

وعلقت كاثرين بقولها إنها لم يسبق لها رؤية فستان أجمل منه أبدا!

كان ذلك كافيا لبتروشيو. فأصدر أوامره بأن يعطى هؤلاء الناس أثمان بضائعهم، وتقدم لهم معتذراً عن المعاملة الغريبة التى عاملها بهم، ودفع بالخياط وصانع القبعات خارج الحجرة بكلمات قاسية وإشارات غاضبة. ثم التفت إلى كاثرين وقال لها : "حسن، هيا بنا يا كات، فسوف نذهب إلى منزل والدك حتى بهذه الملابس الفقيرة التى نرتديها الآن!".

أمر بإعداد الخيل، وقال بشكل وقور إنه يتحتم عليهما أن يصلا إلى بيت بابتستا وقت الغداء.

لم يكن الوقت صباحا عندما قال ذلك، بل كان منتصف النهار ولذلك جرؤت كاثرين على القول، لكن بلهجة خاضعة، لأنها كانت قد هزمت تقريبا، من خلال أسلوب معاملته القاسى: " لكن، يا سيدى، أود أن أقول لك أن الساعة الآن الثانية، ولن نصل هناك إلا وقت العشاء"!.

كان قصد بتروشيو من ذلك أن يروضها تماما قبل أن يأخذها لترى والدها، وأن توافق على كل شيء بقوله . وكما لو أنه إله الشمس وله من القدرة أن يأمر بتغيير الساعات، قال فليكن الوقت الذى يراه هو، مناسبا قبل أن يرحل، وقال: "لأن كل ما أقوله أو أفعله، ما زلت تعارضينه. أنا لن أذهب اليوم، وعندما أقرر الذهاب، فسيكون ذلك فى الوقت الذي أحدده أنا!!".

أجبرت كاثرين على التدرب على الطاعة التى جدت فى حياتها ليوم آخر، ولم يكن بتروشيو سيسمح لها بالذهاب إلى بيت والدها إلا بعد أن تتعلم إطاعته دون مناقشة. وحتى أثناء رحلتهما، إلى هناك، كانت مهددة بأن يعيدها، لأنها عارضته عندما قال إن القمر يسطع فى وضح النهار، وقالت إنها الشمس! .

فقال: " أقسم بابن أمى الذى هو نفسى، بأنه سيكون القمر أو النجوم. أو ما أرغبه، قبل أن نصل إلى بيت والدك".

عند ذلك تصرف كما لو كان سيعود ثانية، لكن كاثرين، التى لم تعد كاثرين الشرسة، بل التى أصبحت زوجة مطيعة، قالت:" أرجوك، أن نواصل رحلتنا، فقد قطعنا الآن مسافة طويلة. ستكون الشمس أو القمر، أو ما ترغب أن يكون حتى لو أردته شمعة، أعدك بأنه سيكون كذلك بالنسبة لى"! .

وأراد بتروشيو أن يثبت ذلك، فقال ثانية: "أقول إنه القمر"! .

فأجابت كاثرين : "أعرف، إنه القمر"!

فقال بتروشيو: " أنت تكذبين، إنها الشمس المباركة".

فأجابت كاثرين: " فلتكن إذن الشمس المباركة!. لكنها تكون الشمس عندما تقول أنت إنها ليست كذلك، ستكون أى شيء تريده، مهما يكن، وسيكون الأمر دائما هكذا بالنسبة لكاثرين".

عندئذ سمح لها بمواصلة الرحلة. وحتى يعرف ما إذا كانت هذه الطاعة ستستمر، خاطب رجلا عجوزا التقوا به فى الطريق على أنه فتاة شابة، وقال له: "يوم طيب، أيتها الآنسة الرقيقة!".

ثم سأل كاثرين إذا كانت قد رأت من قبل فتاة جميلة كهذه، وأخذ يمتدح حمرة وبياض وجنتى الرجل العجوز، ويقارن عينيه بنجمتين لامعتين. ثم تحدث إليه ثانية قائلا: " أيتها الآنسة الجميلة المحبوبة، نهارك سعيد مرة أخرى".

ثم قال لزوجته: " حبيبتى كات، عانقيها من أجل خاطر جمالها!".

وسرعان ما تحدثت كاثرين بنفس الطريقة إلى الرجل العجوز بعدما أصبحت مُروضة تماما وقالت له: "كم أنت جميلة يا آنسة.. ونضرة وحلوة. إلى أين أنت ذاهبة، وأين منزلك؟ يا لسعادة والديك بإنجاب بنت جميلة مثلك!!".

فقال بتروشيو: " ماذا يا كات، ما هذا؟ آمل ألا تكونى قد جننت. فهذا رجل، ورجل عجوز مجعد الوجه، وليس فتاة صغيرة كما تقولين".

عند ذلك قالت كاثرين: " سامحنى أيها الرجل العجوز. فلقد أعمت الشمس بصرى للدرجة التى أرى فيها كل شىء أنظر إليه أخضر اللون. والآن أراك فى الواقع أبا محترما آمل أن تسامحنى لخطئى المؤسف!".

قال بتروشيو: " فلتسامحها أيها الرجل العجوز وقل لنا إلى أى طريق تتجه، فسوف تسعدنا بصحبتك إذا كنت متجها وجهتنا".

اندهش الرجل العجوز جدا من الطريقة التى تحدثا بها إليه، وأجاب قائلاً : "اسمى فينسنتيو، وأنا ذاهب لزيارة ابنى الذى يعيش فى بادوا"

عرف بتروشيو بأن هذا الرجل العجوز هو والد لوسنتيو الشاب الذى يزمع الزواج من ابنة بابتستا الصغرى، بيانكا. وقد أسعد بتروشيو فينسنتيو بحديثه عن الزواج الثرى الذى يوشك ابنه أن يقوم به، وواصلوا سفرهم فى سعادة بالغة حتى وصلوا إلى بيت بابتستا، حيث أقيم احتفال ضخم بمناسبة زواج بيانكا ولوسنتيو، أقامه بابتستا عن رغبة صادقة عندما نفض يده من كاثرين.

وعندما دخلا البيت رحب بهما بابتستا وشاركا فى الاحتفال كأنهما عروسان جديدان آخران.

لم يستطع كل من لوسنيتو زوج بيانكا، وكذلك هورتنسيو العريس الجديد الآخر، أن يمنعا أنفسهما من السخرية من زوجة بتروشيو المتسلطة. كان هذان العريسان السعيدان فى منتهى السعادة برقة طباع زوجتيهما، وأخذا يسخران من بتروشيو لاختياره السيئ الحظ . لم يلتفت بتروشيو كثيرا لمزاحهم حتى غادرت السيدات الحجرة بعد الغداء، فوجد أن بابتستا أنضم إليهما فى السخرية منه. لذا فعندما أعلن بتروشيو أن زوجته من الممكن أن تظهر من الطاعة والولاء أكثر من زوجتيهما.

قال والد كاثرين: " أنا أعلن بكل أسف يا بتروشيو، أنك اخترت أسوأ بناتى على الإطلاق!"

قال بتروشيو: " حسن، لكنى أقول لا. ولكى أثبت لكم أننى أقول الحقيقة، دع كلا منا يرسل إلى زوجته، ومن تحضر زوجته على الفور تكون أكثرهن طاعة، ويكسب زوجها الرهان الذى سنتفق عليه.

كان الزوجان الآخران على أتم استعداد لذلك، لأنهما أكثر طواعية من كاثرين المتعبة.. كان الرهان المقترح عشرين كراون، لكن بتروشيو قال بمرح إن ذلك يبدو كما لو أنه يراهن على كلب من كلابه، لذا فهو يرفع الرهان مائة مرة بالنسبة لزوجته. فرفع لوسنتيو وهورتنسيو الرهان إلى مائة كراون، وكان لوسنتيو أول من أرسل خادمه لاستدعاء زوجته.. بيانكا.

سرعان ما عاد الخادم وقال: " سيدى، إن سيدتى تقول لك أنها مشغولة ولا تستطيع الحضور".

قال بتروشيو: " ماذا! هل قالت إنها مشغولة ولا تستطيع الحضور؟ هل هذه إجابة تليق بزوجة؟".

فضحك الجميع منه، وقالوا نرجو أن يكون الأمر أفضل لو أن كاثرين أجابت بما هو أسوأ من ذلك.

ثم جاء دور هورتنسيو ليرسل فى إستدعاء زوجته، وقال لخادمه: " اذهب، واطلب منها برجاء أن تحضر إلى".

قال بتروشيو: " أوه، يرجوها! وبهذا ينبغى أن تحضر".

قال هورتنسيو: " أنا أخشى يا سيدى، أن زوجتك لن تحضر حتى لو توسلت إليها أن تحضر!".

وسرعان ما عاد الخادم، وبدأ الضيق على وجه هذا الزوج المخلص، عندما لم ير زوجته، فقال للخادم " أين زوجتى؟".

قال الخادم: " سيدى، إن سيدتى تقول إنك تمزح، لذا فهى لن تأتى. ويمكنك الذهاب إليها بدلا أن تحضر هى".

قال بتروشيو : " أسوأ وأسوأ..".

بعد ذلك أرسل خادمه قائلا له: " أذهب إلى سيدتك وقل لها أنى أمرها بالحضور!"

ولم يكن هناك وقت للمجموعة حتى تفكر فى أنها قد تحضر أو لا تحضر، إطاعة لأمره، عندما صاح بابتستا مندهشا: ها هى كاثرين تأتى!

دخلت وقالت بخنوع إلى بتروشيو: " ماذا ترغب يا سيدى، لترسل فى طلبى؟" .

فقال: " أين أختك بيانكا، وزوجة هورتنسيو؟" فأجابت كاثرين: " أنهما تتحدثان بجوار المدفأة".

قال بتروشيو: " اذهبى وأحضريهما إلى هنا" .

خرجت كاثرين دون نقاش لتنفذ أمر زوجها.

فقال لوسنتيو: " هذا شىء مدهش للغاية!" .

فقال هورتنسيو: " هو كذلك بالفعل وأنا أتساءل ماذا يعنى ذلك".

قال بتروشيو: " ذلك يعنى السلام، والحب، والحياة الهادئة،، وأننى سيدها، وباختصار، إن كل شىء فى منتهى السعادة واللطف".

فقال والد كاثرين، وقد امتلأ سعادة للتغير الذى حدث لابنته: " الآن يا بنى بتروشيو، فقد حالفك الحظ!.. لقد كسبت الرهان، كما أننى سأهبها عشرين ألف كروان بالإضافة إلى ما أعطيتها من قبل، كما لو أنها ابنة أخرى، لأنها تغيرت تماما حتى أننى عرفتها بالكاد".

قال بتروشيو: " كلا، سأكسب الرهان بمزيد من التأكيد، عندما أظهر المزيد من الفضائل فى تكوينها الجديد القائم على الحب والطاعة!"

فى تلك اللحظة دخلت كاثرين بصحبة السيدتين وواصل بتروشيو حديثه قائلا: "انظروا من أين أتت وقد أحضرت معها زوجتيكما العاصيتين أسيرتين لقدرتها على الاقناع.. اسمعى يا كاثرين، إن قبعتك لا تناسبك، اخليعها والقيها تحت قدميك".

خلعت كاثرين قبعتها فى الحال وألقتها على الأرض.

فقالت زوجة هورتنسيو: " يا إلهى!.. آمل ألا أطالب بفعل شىء سخيف مثل ذلك!" .

وقالت بيانكا: " يا لغباء ذلك التصرف الذى تسمينه واجبا!" .

عندئذ قال زوج بيانكا لها: " كم كنت أتمنى أن يكون تصرفك بمثل هذه الحماقة! إن تصرفك، يا بيانكا الجميلة، كلفنى مائة كراون، منذ وقت الغداء!".

فقال بيانكا: "إذن فأنت أحمق كذلك، حتى تراهن على تصرفاتى" .

قال بتروشيو: " كاثرين، قولى لهاتين السيدتين عن الالتزامات الواجبة عليهن بالنسبة لازواجهن" .

عندئذ، ولدهشة الجميع، أخذت كاثرين تمتدح التزام الزوجة للطاعة. وهكذا أصبحت كاثرين مشهورة مرة أخرى فى بادوا.. ليس كما كانت من قبل كاثرين الشرسة، لكن كاثرين الزوجة الأكثر طاعة والتزاما لزوجها..!.

كـوميديا الأخـطاء

كانت مقاطعة سيراكوزا ومقاطعة إفيسيوس على خلاف بينهما، وصدر قانون صارم فى إفيسيوس بمعاقبة أى تاجر من سيراكوزا يتواجد فى مدينة إفيسيوس بالإعدام، إلا إذا كان فى إستطاعته دفع ألف مارك، فدية لحياته.

حدث أن قبض على أجيون التاجر العجوز من سيراكوزا يتجول فى شوارع إفيسيوس، وعندما وقف أمام الدوق، خُيْر ما بين أن يدفع الغرامة، أو يحكم عليه بالإعدام.

لم يكن مع أجيون أية نقود ليدفع الغرامة، لكن الدوق قبل أن ينطق بحكم الإعدام عليه، طلب منه أن يحكى قصة حياته، ويذكر السبب الذى جعله يغامر ويأتى إلى مدينة إفيسيوس.

فقال أجيون إنه لا يخشى الموت، لأن الحزن جعله يائس من الحياة، لكن تلك المهمة الثقيلة لم تكن عبئًا عليه مقارنة بأن يحكى تفاصيل حياته التعسة. ومن ثم بدأ يحكى قصة حياته بالكلمات التالية:

"ولدت فى سيراكوزا، وتربيت لأعمل فى حرفة التجارة. تزوجت سيدة وعشت حياة سعيدة، ثم أجبرت للذهاب إلى إبيدامنم، وبقيت هناك أعمل لمدة ستة أشهر، ثم اكتشفت أنه ينبغى على أن أبقى هناك فترة أطول، فأرسلت لزوجتى، التى ما أن وصلت، حتى دخلت المستشفى لتلد ولدين، والغريب فى الموضوع أن الاثنين كانا شبه بعضهما، ومن الصعب التفريق بينهما. فى نفس الوقت الذى ولدت فيه زوجتى هذين التوأمين، كانت هناك امرأة فقيرة تعيش فى نفس الخان الذى تعيش فيه زوجتى، أحضرت إلى المستشفى وولدت ولدين، وكانا شبه بعضهما تماما، مثل ولدى. ولما كان والدهما فى غاية الفقر، اشتريت الولدين وقمت بتربيتهما ليقوما بخدمة ولدى.

كان ابناى فى منتهى الرقة. وكانت زوجتى فخورة جداً بولديها، وكانت يوميا تبدى رغبتها فى العودة إلى بلدها، فوافقت على غير رغبة منى، وفى ساعة نكده ركبنا ظهر مركب. لأننا لم نبحر من قبل من إبيدامنم، فهبت عاصفة هوجاء، ظلت تزمجر بعنف، لدرجة أن البحارة أدركوا أنه لا أمل فى انقاذ المركب، فتجمعوا داخل قارب لإنقاذ حياتهم، وتركونا وحدنا على ظهر المركب، حيث كنا نتوقع كل لحظة أن نهلك بسبب العاصفة العنيفة.

أصابنى، بكاء زوجتى المستمر، وحزنها إشفاقا على الأطفال الأبرياء، اللذين لا يعرفون ما معنى الخوف، لكنهم يبكون لمجرد أن أمهم تبكى – أصابنى ذلك بالرعب والفزع من أجلهم، رغم أننى لا أخشى الموت، وكانت كل أفكارى متجهة لايجاد وسيلة لإنقاذهم . قمت بربط ابنى الأصغر فى نهاية صارٍ صغير، مثلما يفعل البحارة لتحاشى العاصفة، وربطت فى الطرف المقابل للصارى التوأم الأصغر(العبد)، وفى نفس الوقت وجهت زوجتى لتقوم بربط الطفلين الآخرين فى صارٍ آخر بنفس الطريقة التى قمت بها . وبهذه الطريقة كانت هى تقوم بالعناية بالطفلين الكبيرين، وأنا أقوم برعاية الطفلين الصغيرين. ثم ربط كل واحد منا نفسه فى الصاريين مع الأطفال، ورغم ذلك الاحتياط، فقد افترقنا عن بعضنا، لأن المركب انزلقت لتصدم بصخرة كبيرة، وتحطمت إلى أشلاء، أما نحن، وقد كنا نتعلق فى هذين الصاريين الأسطوانيين، فقد طفونا على سطح الماء، وبينما كنت أعتنى بالطفلين، وغير قادر على مساعدة زوجتى، التى كانت مع الطفلين الآخرين، سرعان ما بعدت عنا، رغم أنها كانت على مرمى بصرى، والتقطهم قارب صيادين من كورنثة (على ما أعتقد)، وما أن رأيتهم فى أمان، فركزت جهدى للصراع مع الأمواج الشرسة للحفاظ على ابنى العزيز والعبد الصغير. أما نحن فقد تم التقاطنا بدورنا بعد فترة بواسطة إحدى المراكب، وتعرف البحارة على وقاموا بالترحيب بنا ومساعدتنا، وأنزلونا بسلام فى سيراكوزوا، ومنذ تلك الساعة الحزينة، لم أعرف أبداً ماذا حدث لزوجتى وابنى الأكبر.

بدأ ابنى الشاب الذى أوليه كل إهتمامى ورعايتى عندما بلغ عمره ثمانية عشر عام، يتساءل عن أمه وشقيقه. وكان فى كثير من الأحيان يلح على بأنه سيأخذ خادمه، العبد الصغير، الذى فقد أخاه أيضا، ويذهبان للبحث عنهما: وآخيراً وافقت على غير إرادتى، على الرغم من رغبتى الشديدة فى معرفة أى أنباء عن زوجتى وابنى على الاكبر، فإن إرسال ابنى الأصغر للبحث عنهم، كان بمثابة مجازفة لاحتمال فقدانه أيضا. والآن مضت سبع سنوات منذ أن غادر ابنى، وقضيت خمس سنوات فى الترحال عبر العالم للبحث عنه : ذهبت إلى أبعد أماكن اليونان وإلى حدود آسيا وطفت بالسواحل المتاخمة، إلى أن وصلت هنا إلى إفيسيوس، وفى نيتى ألا أترك أى مكان لأعثر على هؤلاء البحارة، لكننى فى هذا اليوم يجب أن أضع نهاية لقصة حياتى، وكم ساكون سعيداً على ما أعتقد بموتى، لو أننى تأكدت بأن زوجتى وأبنائى على قيد الحياة".

عند هذا الحد أنهى أجيون البائس قصة حياته التعسة، فأشفق الدوق على الوالد التعس، الذى عرض نفسه للخطر، لحبه لأولاده المفقودين، فقال، لو لم يكن الأمر ضد القوانين التى أقسمت باحترامها، ونظراً لمكانته وسمو منصبه، لكان عفا عنه، إلا أنها لا تسمح له بذلك، لكن، بدلاً من تنفيذ حكم الإعدام فى الحال، كما جاء فى نص القانون، فسوف يتيح له مهلة هذا اليوم لكى يحاول جمع النقود بالتسول، أو يقترضها لدفع الغرامة.

لم يكن يوم المهلة هذا بمثابة جميل أو معروف بالنسبة لأجيون، لأنه لا يعرف أى أحد فى إفيسيوس، فبدت الفرصة ضئيلة بالنسبة له، فمن الذى يقرض رجلاً غريبا ألف مارك ليدفع الغرامة. وبالتالى عاد وكله يأس وإحباط إلى محبسه، متوارياً من مقابلة الدوق.

من المفترض أن أجيون لا يعرف أى أحد فى إفيسيوس، لكن فى نفس الوقت الذى كان معرضاً فيه للخطر بفقد حياته لاهتمامه بالبحث عن ابنه الصغير، كان ذلك الابن وكذلك ابنه الأكبر، كلاهما فى مدينته إفيسوس.

كان ابنا أجيون بالإضافة إلى أنهما يشبهان بعضهما تماما وجهًا وجسمًا، يحملان نفس الاسم أيضا، فكلاهما يدعى أنتيوفولس، والتوأمان الآخران العبدان يحملان اسم دروميو. الابن الأصغر لأجيون أنتفولس السيراكوزى الذى حضر والده العجوز للبحث عنه فى إفيسيوس، كان قد وصل إلى إفيسيوس مع خادمه دروميو، فى نفس اليوم الذى وصل فيه أجيون. ولما كان يعمل تاجراً فى سيراكوزا أيضا، فقد كان من المحتمل أن يتعرض لنفس الخطر الذى تعرض له والده. لكن لحسن حظه، فقد قابل صديقا، فأخبره بالخطر الذى تعرض له تاجر عجوز من سيراكوزا، فنصحه بأن يدعى أنه تاجر من ابيدامنم، وذلك ما وافق عليه أنتفولس، وحزن لسماع أن أحداً من موطنه يتعرض لهذا الموقف الخطر، لكن بعد تفكير لم يدم كثيراً تأكد أن ذلك التاجر العجوز هو والده.

أما الابن الأكبر لأجيون (فيجب أن يكون اسمه أنتفولس الأفيسيوسى، حتى نميز بينه وبين أخيه أنتفولس السيراكوزى فقد عاش فى إفيسوس اثنى عشر عاما، وأصبح رجلاً ثريا، وقادراً على دفع مبلغ الفدية لإنقاذ حياة والده، لكنه لم يكن يعلم أى شىء عن والده، لكونه كان صغيراً عندما تم إنقاذه من البحر مع والدته، بمعرفة الصيادين، وهذا هو الشىء الوحيد الذى يذكره ويحتفظ به. ولا يتذكر أى شىء سواء عن والدته أو والده، أخذ الصيادون أنتيفولس وأمه والعبد الصغير دروميو، وفرقوا بين الطفلين وبينها بنية القيام ببيعها (وسبب ذلك حزنا فظيعا للسيدة البائسة). ثم بيع أنتفولس ودروميو إلى دوق منيافون، وهو مقاتل مشهور، وعم دون إفيسيوس، وأخذ الطفلين معه عندما قام بزيارة ابن أخيه الدوق.

أعجب دوق إفيسيوس بالصغير أنتفولس وتولى رعايته وعندما كبر، ألحقه بالجيش، وأثبت تميزا لشجاعته الفائقة فى الحرب، عندما أنقذ حياة سيدة الدوق، فكافأه بتزويجه من أدريانا، سيدة ثرية من أفيسيوس، التى كان يعيش معها (وما زال العبد درميو يصاحبه) حتى اللحظة الذى حضر فيها أبوه إلى هنا.

أما أنتفولس السيراكوزى، عندما ترك صديقه الذى نصحه بأن يقول إنه جاء من أبيدامنم، أعطى بعض النقود لتابعه دروميو ليوصلها إلى الخان الذى سيتناول فيه العشاء، وفى نفس الوقت قال إنه يرغب فى مشاهدة المدينة ومراقبة سلوك الناس.

كان دروميو رقيقًا ظريفًا، وعندما كان أنتيفولس يشعر بكآبه أو عصبيه، دائمًا ما كان يسرى عنه بحكايات مرحة ومواقف ظريفة، وكان مدى حرية الكلام التى منحها لدروميو أكثر من المعتاد بين سيد وتابعه.

عندما صرف أنتيفولس السيراكوزى دروميو، وقف لبرهة يفكر فى تجواله منفرداً للبحث عن أمه وأخيه، ولم يعرف أى أنباء عنهما فى كل مكان ذهب إليه، فقال لنفسه بأسى" أنا مثل نقطة مياه فى محيط، تبحث عن زميلتها التى سقطت، وتاهت فى مياه البحر الشاسعة. وهكذا، وبكل أسف، حتى أجد أمى وأخى، فهل أضيع أنا أيضا".

وبينما كان يفكر مليا فى رحلاته المضنية، التى لم تسفر عن شىء حتى الآن، عاد دروميو (كما تصور) فدهش أنتيفولس، لعودته سريعا، فسأله إلى من أعطى النقود. لم يكن الذى يتكلم معه تابعه دروميو، بل كان شقيق التوأم الذى يعمل مع أنتيفولى الأفيسيوسى. فالتوأمان دروميو والتوأمان أنتفولس، كانا يشبهان بعضهما تماماً كما قال أجيون منذ طفولتهم، فلا عجب أن يعتقد أنتيفولس بأنه عبده الذى عاد، فسأله لماذا عاد سريعاً هكذا. فرد عليه دروميو: " إن سيدتى أرسلتنى لتدعوك للعشاء. الديك الرومى يشوى، والخنزير فوق النار، واللحم سوف يبرد إذا لم تحضر إلى البيت". فقال انتيفولس: " لا مجال للمزاح الآن، أين تركت النقود؟" فرد عليه دروميو، بأن سيدته أرسلته ليحضره للعشاء . فقال أنتيفولس: " أى سيدة؟" فقال دروميو: " ماذا، زوجتك المبجلة، يا سيدى". ولما كان أنتيفولس غير متزوج، فغضب جداً من دروميو، فقال: " ألأننى أتباسط معك أحيانا فى الحديث، فهل يصل بك الحد لتتجرأ وتمزح معى بهذا الأسلوب المتحرر. أنا لست فى حالة مزاجية طيبة الآن، أين النقود؟ نحن غرباء هنا، كيف يصل بك الأمر إلى هذا الحد الكبير حتى تتعامل مع سيدك وراعيك بهذه الطريقة" عندما سمع دروميو سيده كما يعتقد، يتحدث عن كونهم غرباء، فتصور أن أنتيفولس يمزح فرد عليه بمرح، " أتوسل إليك يا سيدى أن تمزح عندما تجلس للعشاء. ليس لدى مهمة سوى أن أجعلك تذهب إلى البيت، لتناول العشاء مع سيدتى وشقيقتها". فى تلك اللحظة نفد صبر أنتفولس، وضرب دروميو، ففر عائداً إلى البيت، وأخبر سيدته بأن سيده رفض الحضور لتناول العشاء، وقال إنه ليس لديه زوجة.

غضبت أدريانا زوجة أنتيفولس الأفيسيوسى غضبًا شديدًا عندما سمعت أن زوجها قال ليس لديه زوجة، لأنها كانت تغار عليه جداً، وقالت من الواضح أن زوجها يحب امرأة أخرى، وتفوهت بكلمات غير مهذبة عبرت عن غيرتها وتوبخيها لزوجها، حاولت أختها لوسيانا التى تعيش معها، عبثا أن تبدد شكوكها المبنية على غير أساس.

عندما عاد أنتفولس السيراكوزى إلى الخان ووجد دروميو سالمًا ومعه النقود، كاد أن يوبخه ثانية لمزاحه معه، عندما دخلت أدريانا واتجهت إليه، دون أن يساورها أدنى شك بأن من رأته هو زوجها، وبدأت توبخه لأنه ينظر إليها بغرابة (كما لو أنه، لم يرى هذه السيدة الغاضبة من قبل)، ثم قالت له كم كان يحبها قبل أن يتزوجها، والآن هو يحب امرأة أخرى بدلا منها. وقالت له : " كيف يمكن ذلك، يا زوجى، كيف يمكن أن تفقد حبها له"، فقال انتيفولس وهو فى منتهى الدهشة: " أنا لست زوجك، يا سيدتى!". لكن راح كل ما قاله بأنه ليس زوجها عبثًا وأنه تواجد هنا فى إفيسيوس منذ ساعتين، لكنها أصرت أن يذهب معها إلى البيت، وأخيراً بعد أن لم يستطع التخلص منها، ذهب معها إلى بيت أخيه، وتناول العشاء معها هى وشقيقتها، التى كانت تناديه أيضا بزوج أختها، وأخذ يفكر وكله دهشة فى الأخ الأخر، الذى يبدو أنها تزوجها فى الحلم . أو ربما يكون هو يحلم الآن. أما دروميو الذى صحبه لم تكن دهشته أقل من سيده، لأن الطاهية كانت هى الأخرى زوجة أخيه وكانت تناديه زوجها.

بينما كان أنتيفولس السيراكوزى يتناول العشاء مع زوجة أخيه، عاد شقيقه الزوج الحقيقى إلى البيت للعشاء مع خادمه دروميو، لكن الخدم إمتنعوا عن فتح الباب، لأن سيدتهم أمرتهم بعدم السماح لأى أحد بالدخول، وعندما كررا الدق على الباب، وقالا إنهما أنتيفولس ودورميو، سخرت الطاهية منهما، وقالت إن أنتيفولس يتناول عشاءه ودروميو متواجد بالمطبخ، ورغم أنهما دقا الباب كثيراً، لكن لم يسمح لهما بالدخول، وأخيراً إنصرف أنتيفولس غاضبًا جداً، لكن للمفاجئة الغريبة أنه سمع صوت رجل يتناول العشاء مع زوجته.

عندما إنتهى أنتيفولس السيراكوزى من العشاء، ظل متحيراً من أمر تلك السيدة التى تصر على أن تدعوه بزوجها، وأيضًا عندما سمع أن درومیو تدعوه الطاهية بزوجها أيضا، وما أن غادر البيت بعد أن استطاع أن يجد ذريعة للانصراف، ورغم أنه كان سعيداً جداً مع لوسيا، أختها، إلا أنه كره أدريانا الغيور العصبية، ولم يكن درومیو أفضل حالاً منه على الإطلاق مع من تدعوه زوجها فى المطبخ، ولذلك كان كلاً من السيد وخادمه سعداء بالتخلص من زوجتيهما الجديدتين، بأسرع ما يمكن.

فى اللحظة التى غادر بها أنتيفولس السيراكوزى البيت، قابله صائغ أخطأه، مثلما فعلت أدريانا، بأنه أنتيفولس الأفيسيوسى، وأعطاه سلسلة ذهبية بعد أن ناداه باسمه، وعندما رفض أنتيفولس أخذ السلسلة، قائلا إنها لا تخصه، فرد عليه الصائغ، إنه صنعها بناءً على أوامره، ومضى فى طريقه، تاركا السلسلة بين يدى أنتيفولس، فأمر تابعه أن يأخذ حاجياته إلى ظهر المركب مفضلاً عدم البقاء فى هذا المكان أكثر من ذلك، حيث واجهته هذه المغامرات الغريبة، التى بالتأكيد حيرته.

أما الصائغ الذى أعطى السلسلة عن طريق الخطأ لأنتيفولس، فقد قبض عليه فوراً لأنه كان مدينا بمبلغ من المال، وحدث أن كان أنتيفولس الأخ المتزوج فى نفس المكان عندما قبض الضابط على الصائغ، الذى ما أن شاهده حتى طلب منه أن يدفع له ثمن السلسلة الذهبية التى سلمها له، وكان الثمن يوازى تقريبا نفس المبلغ المدين به والذى قبض عليه بسببه. أنكر أنتيفولس تسلمه السلسلة، لكن الصائغ قرر أنه قبل أن يسلمه السلسلة بدقائق ناقشا هذا الأمر لفترة طويلة، واعتقد الاثنان أنهما على صواب، لأن الأخين كانا شبيهين ببعضهما، ولذا كان الصائغ متأكداً تماماً أنه قد سلم السلسلة له، ووضعها بين يديه، وأخيراً قام الضابط بأخذ الصائغ إلى السجن بسبب الدين المستحق، وفى نفس الوقت طلب الصائغ من الضابط أن يقبض على أنتيفولس، من أجل ثمن السلسلة، وانتهى الموقف، بأن أخذ الضابط كلاً من أنتيفولس والصائغ إلى السجن معًا.

بينما كان أنتيفولس فى طريقه إلى السجن، قابل دروميو السراكوزى، خادم أخيه، وأعتقد أنه خادمه وأمره أن يذهب إلى أدريانا زوجته ويخبرها بأن تبعث إليه بالنقود التى كانت سببا فى القبض عليه. تحير دروميو من أمر سيده الذى يرسله ثانية إلى ذلك البيت القريب الذى تناول فيه العشاء، والذى كان من قبل فى عجلة من أمره لكى يغادره بأسرع وقت. وبالتالى لم يجرؤ على الرد عليه، فى حين أنه جاء ليخبره بأن المركب جاهزة للإقلاع، لأنه رآه فى حالة مزاجية لا تسمح بالمزاح معه. لذا إنصرف وهو يدمدم مع نفسه لأنه سيتحتم عليه العودة إلى بيت أدريانا، حيث الطاهية التى تدعوه زوجها. لكنه قال: " يجب أن أذهب، فالخدم ينبغى أن يطيعوا أوامر أسيادهم".

أعطته أدريانا النقود، وأثناء عودته قابل أنتيفولس السراكوزى الذى كان لا يزال فى حالة من الدهشة للمفاجآت الغريبة التى حدثت له، ولأن شقيقه كان شخصية معروفة فى إفيسيوس، فما يكاد أى رجل يقابله فى الشارع حتى يقوم بتحيته لأنه شخصيته معروفة تماماً. وبعضهم كانوا يعطونه نقوداً ويقولون إنهم كانوا مدينين له، والبعض الأخر كان يدعوه لزيارته، وآخرون كانوا يقدمون له الشكر لما قام به من خدمات طيبة لهم، والكل يعتقد أنه أنتيفولس ألافيسيوسى، حتى أن خياطاً قدم إليه قطعاً من الحرير إشتراها له، وأصر على أن يقوم بأخذ مقاساته ليصنع له بعض الملابس.

بدأ أنتيفولس يشك فى أنه وسط أمة من المشعوذين والبلهاء، كما أن دروميو لم يحاول على الإطلاق أن يريح سيده من حالة الحيرة والدهشة التى تملكته، وعندما سأله عن كيفية تخلصه من الضابط الذى كان يقوده إلى السجن، وكيس الذهب الذى أرسلته أدريانا معه ليدفع الدين الذى عليه. إلا أن كلام دروميو عن موضوع القبض عليه وسجنه، والنقود التى أحضرها من أدريانا، أربك أنتيفولس تماماً فقال: " يبدو أن رفيقى دروميو أصابه خبل بالتأكيد، وأننا نعيش فى وهم، وصاح قائلا: "فلتخلصنا قوة مباركة من ذلك المكان الغريب!".

ولم يلبث أن داهمه شيء أخر في منتهى الغرابة، متمثلاً في امرأه نادته أيضًا باسمه أنتيفولس، وأخبرته أنه تناول العشاء معها في ذلك اليوم، وطلبت منه سلسلة ذهبية ادعت أنه وعد بإعطائها لها. في هذه اللحظة فقد أنتيفولس صبره، ووصفها بأنها مجنونة، وأنكر أنه لم يعدها أبداً بسلسلة، ولم يتناول معها العشاء، ولم ير وجهها قبل هذه اللحظة. لكن السيدة أصرت، مؤكدة أنه تناول العشاء معها ووعدها بسلسلة، يصر أنتيفولس على إنكارها، وقالت زيادة على ذلك، أنها أهدته خاتمًا قيما، وإذا أصر على عدم إعطائها السلسلة الذهبية، فهي تصر على إسترداد خاتمها. ثار أنتيفولس وانتابه هياج شديد واتهمها بالجنون وأنكر معرفته بها أو بخاتمها، وابتعد عنها تاركا إياها في غاية الدهشة بسبب كلماته ومنظره الشرس. لأنها كانت متأكدة تمامًا أنه تناول العشاء معها، وأنها أهدته خاتمًا، بناء على وعده لها بإهدائها سلسلة ذهبية. لقد وقعت هذه السيدة في نفس الخطأ الذي وقع فيه الآخرون، لأنها تعاملت معه بدلاً من أخيه، أنتيفولس المتزوج الذي قام بكل تلك الأشياء التي اتهمت بها أنتيفولس.

عندما مُنع أنتيفولس المتزوج من دخول بيته (باعتبار أنه موجود داخل البيت بالفعل) فقد انصرف غاضبا جداً، بافتراض أنها إحدى نوبات الغيرة التي تنتاب زوجته، التي اعتادت عليها، وتذكر أنها كانت تتهمه زورًا بزيارته لعديد من السيدات، وانتقامًا منها، لمنعه من دخول بيته، صمم على أن يذهب لتناول العشاء مع هذه السيدة التي استقبلته بترحيب كبير، عكس زوجته التي أهانته بشكل كبير، فوعدها أنتيفولس بأن يهديها سلسلة ذهبية، كان ينوي إهدائها لزوجته، وهي نفس السلسلة التي أخطأ الصائغ وأعطاه لشقيقه. فرحت السيدة جداً بأن تحصل على سلسلة ذهبية، فأعطت انتيفولس المتزوج خاتما، وعندما قابلت شقيقه باعتباره هو، أنكر ذلك وقال إنه لا يعرفها وتركها في حالة وجدانية سيئة، فبدأت تفكر بأنه بالتأكيد فاقد لوعيه، وعلى الفور قررت الذهاب إلى أدريانا لتخبرها بأن زوجها قد جن. وبينما كانت تخبر أدريانا بذلك، حضر زوجها بصحبة الصائغ الذي سمح له بالحضور معه إلى البيت ليحصل على نقوده، لأن النقود التي أرسلتها أدريانا مع دروميو، سُلمت إلى أنتيفولس الآخر.

صدقت أدريانا حكاية السيدة عن جنون زوجها وأنه لابد أن يكون حقيقة، خاصة عندما وبخها على منعه من دخول بيته، وتذكرت كذلك أنه أثناء تناوله العشاء معها كان يدعى طوال الوقت بأنه ليس زوجها، ولم يكن موجوداً فى إفيسوس ذلك اليوم، وبالتالى فلابد أن يكون قد أصيب بالجنون، ولذلك فقد دفعت للصائغ نقوده وصرفته. وأمرت خدمها بتقييد زوجها بالحبال، وحبسته فى حجرة مظلمة. وأرسلت لاحضار طبيب ليشفيه من مرضه، وطوال الوقت ظل أنتيفولس يصرخ بقوة معلنا عن رفضه لهذا الاتهام الزائف، حتى تبدى التشابه التام الذى يحمله لشقيقه على ملامحه. لكن هياجه الزائد أكد لهم أنه قد أصيب بالجنون، أما دروميو الذى كان على نفس حال سيده، فقد قيدوه أيضاً، وحبس مع سيده.

بعد أن حبست أدريانا زوجها، جائها خادم ليقول لها إن انتيفولس ودروميو قد حررا نفسيهما، فلقد رآهما يسيران بحرية فى الشارع المجاور.

عندما سمعت ذلك أسرعت إلى الخارج لتعيدهما إلى البيت، ومعها بعض الناس للامساك بهما: وذهبت أختها معها. عندما وصلوا إلى بوابات الدير المجاور لهم شاهدوا أنتيفولس ودروميو، كما إعتقدوا، وقد خدعوا بسبب الشبه الشديد بين التوائم الأربعة.

كان أنتيفولس السيراكوزى ما يزال يشغله ذلك الارتباك بسبب ذلك التشابه. فقد كانت السلسلة الذهبية التى أعطاها له الصائغ معلقة فى عنقه، والصائغ يوبخه لإنكاره أنه أخذها منه ويرفض أن يدفع ثمنها، وكان أنتيفولس يحتج بأن الصائغ أعطاه السلسلة دون مقابل فى الصباح، ومنذ تلك الساعة لم ير الصائغ ثانية.

اقتربت أدريانا منه ونعتته بزوجها المعتوه، الذى فر من محبسه، وكاد الرجال الذين معها أن يضربوه هو ودروميو، لكنهما فرا ودخلا الدير، وتوسل أنتيفولس إلى رئيسة الدير لتقوم بحمايتهما داخل الدير.

خرجت رئيسة الدير بنفسها لتعرف سبب ذلك الشغب. كانت سيدة وقور مبجلة. لديها من الحكمة لتحكم فيما رأته. ولم تتسرع على الاطلاق فى الحكم على الرجل

الموجود داخل الدير، وقامت بسؤال الزوجة بكل حزم عن حكاية جنون زوجها فقالت: "ما هو سبب الاعتلال المفاجئ لزوجك؟ هل فقد ثروته فى البحر؟ أم بسبب موت صديق عزيز لديه وتأثير ذلك على ذهنه." أجابت أدريانا، لا شيء من ذلك هو السبب". فقالت رئيسة الدير: " ربما تكون مشاعره قد تحولت إلى سيدة أخرى، باعتبارك زوجة له، ودفعه ذلك ليصبح فى هذه الحالة." فقالت أدريانا أنها طالما فكرت أن يكون حبه لإمرأة أخرى هو السبب فى غيابه المتكرر عن البيت. لكن اتضح أن حبه لامرأة أخرى ليس هو السبب، لكنها الغيرة الزائدة التى تعترى زوجته، هى التى أجبرته على ترك البيت (اكتشفت رئيسة الدير ذلك من خلال سلوك أدريانا العنيف) فقالت: " حتى نتعرف على الحقيقة، فلابد أنك قمت بتوبيخه لذلك". فأجابت أدريانا: " أجل، فعلت ذلك"، فقالت رئيسة الدير: " آه، هذا لا يفى بالغرض". حاولت أدريانا أن تقنع رئيسة الدير بأنها قالت ما يكفى لأنتيفولس بصدد هذا الموضوع، فأجابت قائلة: " كان هذا الموضوع هو مدار حوارنا الدائم، حتى فى الفراش لم أكن أتركه ينام إلا ونتحدث عن هذا الموضوع. وحتى أثناء الطعام لم أكن أدعه يأكل إلا ونتحدث عن ذلك. وعندما أكون وحدى معه، لا أتكلم عن أى شيء آخر، وعندما نكون فى صحبته كنت أشير إلى ذلك. حتى أصبح كلامى كله يتسم بالازدراء له لأنه أحب سيدة أفضل منى".

رسمت رئيسة الدير صورة كاملة خلال إعترافها الكامل عن مدى غيرة أدريانا، فقالت: " ونتيجة لذلك أصيب زوجك بالجنون. إن حقد الغيرة الشديدة للمرأة بمثابة سم قاتل أكثر فعالية من عضة كلب مسعور. ويبدو أن نومه كان متقطعا بمحاصرتك له. فلا عجب أن يفقد عقله، ويقل وزنه، فقلة الطعام تجعل المرض يتمكن من الجسد ويصيبه بالحمى. تقولين إن مزاحه قد قل بسبب الشجار، ومنع من ممارسة حياته الاجتماعية والابتكار، وهذا ما يؤدى لذلك إلى الاضطراب العقلى واليأس المميت. وكانت العاقبة أن غيرتك أدت بزوجك للجنون".

إعتذرت أختها لوسيانا عما بدر من أدريانا، قائلة إنها دائمًا ما كانت توبخ زوجها بلطف، ثم قالت لأختها " لقد استمعت لهذا التفسير دون أن تردى عليه؟" لكن رئيسة الدير جعلتها تستوعب غلطتها فلم تستطع الإجابة إلا بقولها : " لقد استنكرت لومى له".

على الرغم من الخجل الذى أبدته أدريانا بسبب سلوكها، لكنها ما زالت تصر على أن تسلم زوجها لها، لكن رئيسة الدير لم تكن لتسمح لأى أحد بأن يدخل الدير، وفى نفس الوقت لم تكن ترغب فى أن تسلم هذا الرجل التعيس لرعاية زوجته الغيور، إلا إذا قررت أن تعامله معاملة طيبة حتى يشفى. وعادت إلى داخل الدير. وأمرت بإغلاق البوابات بعد رحيلهم.

طوال هذه اليوم الذاخر بالأحداث؛ حيث حدثت أخطاء عديدة بسبب تشابه الأخوة التوائم، كاد يوم المهلة الممنوحة لأجيون أن ينتهى، فالوقت الآن قارب على الغروب، وعند غروب الشمس لابد أن يتم إعدامه إذا لم يستطع دفع النقود.

كان مكان تنفيذ حكم الإعدام بالقرب من الدير، لكنه وصل إليه بعد أن دخلت رئيسة الدير إلى الداخل، وكان الدوق قد أشار بشكل شخصى، إنه إذا تقدم أى شخص لدفع الفدية، فمن الممكن أن يتم العفو عنه.

أما أدريانا فقد توقفت عن تصرفاتها العصبية، وهرعت إلى الدوق باكية تطلب عدالته وانصافه . وأخبرته أن رئيسة الدير رفضت أن تسلمها زوجها المجنون لكى تقوم برعايته، وبينما كانت تتكلم. دخل زوجها الحقيقى وخادمه دروميو بعد أن قاما بفك أسرهما ووقف أمام الدوق يطلب العدل والانصاف، ويشكو بأن زوجته قد اتهمته زوراً بالجنون، وأخبره عن الطريقة التى خلص بها يديه، وغافل حراسه. دهشت أدريانا للغاية لرؤية زوجها، وكانت تتصور أنه موجود فى الدير.

عندما رأى أجيون ابنه، استنتج أنه ابنه الذى تركه للبحث عن أمه وشقيقه، وشعر بالأمان لأن ابنه العزيز سيكون على استعداد ليدفع النقود المطلوبة لفديته. عندئذ تكلم مع أنتيفولس بمشاعر أبوية، آملاً بسعادة، بأنه سيقوم الآن بإطلاق سراحه، لكن لدهشته الشديدة فوجى أجيون بأن ابنه ينكر معرفته تماماً، لأن أنتيفولس هذا لم يرى والده منذ أن افترقا خلال العاصفة فى تصوره، وبينما كان أجيون العجوز المسكين يحاول عبثا أن يجعل ابنه يتعرف عليه، معتقداً بشكل أكيد أن ما عاناه من حزن وقلق قد أثر عليه وباعد صورته، للدرجة التى جعلت ابنه لا يتعرف

عليه، أو ربما يكون خجلاً من معرفة أبيه فى شكله المزرى، خلال هذا الخلط، حضرت رئيسة الدير وأنتيفولس الآخر ودروميو، وفوجئت أدريانا برؤية زوجين لهما يقفان أمامها.

الآن انكشف الخطأ واللغز الذى أربكهم جميعًا . عندما رأى الدوق أنتيفولس فى شخصين وكذلك إثنين تحت اسم دروميو، فاكتشف على الفور سر هذا اللغز، وتذكر حكاية أجيون التى قصها عليه صباحًا وقال لابد أن يكون هذان الوالدان ابنى أجيون وتابعيهما التوأم.

إلا أن هذه الفرحة غير المتوقعة على الإطلاق التى أنهت قصة حياة أجيون، التى حكاها فى الصباح بكل أسى وحزن، وحكم الإعدام قبل غروب الشمس، اكتملت بنهاية سعيدة، بأن كشفت رئيسة الدير المبجلة عن شخصيتها وأعلنت بأنها زوجة أجيون التى طال غيابها والأم المحبة لولديها أنتيفولس.

عندما أخذ الصيادون ابنها الأكبر دروميو منها، دخلت دير الراهبات، ولحسن سلوكها وفضائلها وحكمتها، تم اختيارها أخيرًا لتصبح رئيسة الدير، وعندما قامت بتقديم واجبات الضيافة لشخص غريب بائس، فقد قامت دون أن تعلم، بحماية ابنها.

أثناء تبادل التهانى والمشاعر الحميمة بين هؤلاء الفرقاء منذ زمن بعيد. الأب والأم وأولادهما، تناسوا أن أجيون ما زال تحت تهديد الحكم بالإعدام، وبعد أن هدؤا قليلا، قدم أنتيفولس الأفيسيوس الفدية للدوق لإنقاذ حياة أبيه، لكن الدوق عفا عنه دون مقابل، ولم يشأ أن يأخذ النقود. وتوجه الدوق مع رئيسة الدير وزوجها الذى عثرت عليه أخيرًا، والأولاد، إلى الدير لسماع هذه العائلة وهى تترنم بلحن نعمة الشكر للنهاية المباركة لسوء حظهم. أما دروميو التوأمان فقد نالا التهانى أيضا والتحية، وكان كل منهما يطرى الآخر لجمال مظهره، وهما فى منتهى السعادة ليرى كل منهما نفسه فى الآخر (كأنه يرى نفسه فى مرآه) فى شخص أخيه.

أما أدريانا فقد استفادت كثيرًا من نصائح حماتها، ولم تعد تحمل فى ذهنها أى شكوك زائفة، أو تغار على زوجها.

تزوج أنتيفولس السيراكوزى لوسيانا الجميلة، شقيقة زوجة أخيه، أما الطبيب أجيون فقد عاش فى أفيسوس مع زوجته وأولاده سنوات عديدة.

إلا أنه رغم كشف كل ما كان من أحداث مربكة، فإن ذلك لم يمنع على الإطلاق من وقوع بعض الأخطاء مستقبلا، تذكرنا بتلك المغامرات بشكل كوميدى مثل أن يخطئ أنتيفولس منهما أو درروميو منهما فى التعرف على الآخرين. وينتج عن ذلك مواقف كوميدية مسلية.

دقة بدقة

حكم مدينة فيينا دوق لطيف الطبع رقيق الحس، سمح لرعاياه بتجاهل القوانين دون عقاب، ومن بينها قانون واحد هام كاد ألا يكون له وجود فقد نُسى تقريبًا، ولم يشأ الدوق أبدًا أن يضعه موضع التنفيذ. كان هذا القانون يدين أى شخص بعقوبة الموت، إذا عاش مع امرأة ليست بزوجته، وإزاء تسامح الدوق لم يعد لهذا القانون أى أهمية، وأصبحت الهيئة الكنسية المقدسة لعقد الزواج مستخف بها، وتدفقت الشكاوى على الدوق كل يوم من قبل آباء الفتيات فى فيينا، بأن بناتهم يتعرضن للغواية، ويعشن كرفيقات للرجال العذاب.

استوعب الدوق بكل أسى ازدياد هذه الرذيلة بين رعيته؛ لكنه استشعر داخل نفسه بأنه لو قام بتغيير مفاجئ لهذا التساهل الذى سمح به حتى هذا اليوم، وأمر بتطبيق القانون بكل صرامة وحسم للحد من هذه الظاهرة، فربما يجعل الناس (الذين يحبهم حتى هذا اليوم) يعتبرونه طاغية مستبداً: فقرر أن يختفى لفترة عن إدارة البلاد، ويقوم بإنابة شخص آخر تكون له كل سلطاته، ليقوم بتطبيق القانون ضد هؤلاء العشاق المبتذلين ويصبح موضع التنفيذ، دون أن يُلحق بنفسه أى اتهام لشخصه بالقسوة.

اختار الدوق اللورد أنجلو، وهو رجل يتمتع بسمعة قديس فى فيينا لجديته فى حياته واستقامته للقيام بهذه المهمة، حيث إنه الشخص المناسب لتنفيذ هذه المهمة الصعبة؛ وعندما عرض الدوق ذلك، على اللورد إسكالوس مستشاره الأول، قال إسكالوس: " لو أن هناك رجلاً فى فينيا يستحق أن يقوم بمثل هذه المهمة السامية النبيلة، فلا أفضل من اللورد أنجلو". غادر الدوق فيينا بحجة أنه يقوم برحلة إلى بولندا، تاركا أنجلو ليقوم بتصريف شئون الدولة نيابة عنه أثناء غيابه، لكن غياب

الدوق لم يكون سوى ادعاء، إذ أنه عاد سراً إلى فيينا متخفيا فى ثياب راهب، بقصد أن يقوم بمراقبة كيفية إدارة أنجلو الذى يتمتع بسمعة قديس، لشئون البلاد سراً.

بمجرد أن تولى أنجلو مهام منصبه الجديد، حدث أن قام أحد السادة واسمه كلوديو، باغواء فتاة والخروج عن طاعة والديها؛ وإزاء ذلك، وبمقتضى سلطات اللورد الجديدة، ثم القبض عليه وأودع السجن، وبمقتضى نصوص القانون القديم المتجاهل لفترة طويلة، أصدر أنجلو حكمه بإعدامه. بُذلت جهود كثيرة للعفو عن الشاب كلوديو، وتوسط له اللورد إسكالوس العجوز الطيب. وقال: " للأسف، فإن هذا السيد الشاب الذى أحاول إنقاذه، ابن شخصية من النبلاء، الذى من أجل خاطره أرجو أن تعفوا عن هذا الشاب." لكن أنجلو أجاب: " لا ينبغى علينا أن نحول القانون إلى" خيال مآته" نضعه فقط ليفزع الطيور، إذ كان العرف لا يرى ضرراً فى ذلك، فلنجعل ذلك شعاراً، وليس هناك أى خوف. سيدى. لابد أن يعُدم.

قام لوشيو صديق كلوديو بزياته فى السجن، فقال له كلوديو: أرجوك يا لوشيو، أن تقدم إلى خدمه. اذهب إلى أختى إيزابيل، التى تنوى دخول دير سانت كلير، وتخبرها بخطورة موقفى، وتتوسل إليها بأن تتود إلى نائب الدوق الصارم؛ وتذهب إليه. فأنا أعلق آمالى على ذلك. لأنها تستطيع أن تتحدث معه بشكل مناسب، ومن الممكن أن تقنعه ؛ هذا بالإضافة إلى أسلوبها فى الحديث الذى يعجز اللسان عن وصفه وتستغل نضارة شبابها المكتسى بالأسى، الذى يؤثر فى الرجال.

كانت إيزابيل شقيقة كلوديو، كما قال، قد دخلت الدير فى ذلك اليوم للاستعداد لتكون راهبة كما اعتزمت، وبعد أن مرت بمرحلة الاختبار لتثبيتها كراهية، وبينما كانت تتساءل عن مهام الراهبة ونظم الدير، سمعت صوت لوشيو، عندما دخل إلى هذا المكان المقدس يقول: " سلام على أهل هذا المكان"، فقالت إيزابيل: " من ذلك الذى يتكلم؟". فردت الراهبة: " إنه صوت رجل، يمكنك أن تذهبى إليه، وتعرفى ما خطبه، أما أنا فلا أستطيع. فعندما ترتدين ملابس الراهبة، لا ينبغى عليك التحدث مع الرجال، إلا فى حضور رئيسة الراهبات وإذا تكلمت فلا ينبغى أن تكشفى عن وجهك، إما إذا كشفت

عن وجهك فلا يجوز أن تتكلمى." فقالت إيزابيل: " أليس لديكم كراهبات مزايا أخرى؟"
فأجابت الراهبة: " أليس ذلك بما فيه الكفاية؟" فقالت إيزابيل: " أجل، حقا، أنا لم أقل ذلك رغبة فى الاعتراض، بل أرغب فى المزيد من التعاليم الصارمة على الراهبات، المختارات لدير سانت كلير" مرة ثانية سمعوا صوت لوشيو فقالت الراهبة : " إنه ينادى ثانية، أرجو أن تردى عليه". توجهت إيزابيل إليه وردت على تحيته، وقالت : "سلام وتحية، من الذى ينادى؟". اقترب منها منحنيًا فى احترام وتبجيل، وقال: " سلام على العذراء العفيفة، بما أنت عليه من جمال تشى به الورود على خديك حباك به الله!. هل تسمحى لى برؤية إيزابيل الراهبة الجديدة، شقيقة كلوديو بخصوص موضوع مؤسف حدث له". فقالت إيزابيل: " دعنى إذن أسألك! فأنا إيزابيل شقيقته". فرد عليها: " أنت السيدة الجميلة الرقيقة، شقيقك يبعث إليك بتحياته من خلالى؛ لأنه فى السجن". فقالت إيزابيل : " يا للمصيبة! لماذا؟ . أخبرها لوشيو عندئذ، بأنه سجن لاغوائه فتاة شابة". فقالت: " آه. أخشى أن تكون ابنة عمى جولييت. لم تكن جولييت وإيزابيل أقرباء، لكنهما أدعيتا ذلك لذكرى صداقتهما فى المدرسة، ولما كانت إيزابيل تعلم أن جولييت تحب كلوديو، فقد كانت تخشى أن تقودها عواطفها تجاهه، إلى الخطيئة. فرد عليها: " إنها هى". فقالت إيزابيل : "لماذا إذن لا يسمح له بالزواج من جولييت". فأجاب لوشيو بأن كلوديو سيسعد بالتأكيد من الزواج بجولييت، لكن اللورد نائب الدوق حكم عليه بالموت إزاء جريمته. وقال لها : " إلا إذا استعنتِ بصلواتك للعفو عنه لدى أنجلو، هذه هى مهمتى بينك وبين شقيقك المسكين" فقالت إيزابيل : " واحسرتاه، يا لعجز قدرتى للقيام بعمل طيب من أجله؟ أنا أشك فى قدرتى على التأثير على أنجلو". فقال لوتشيو: "إن شكوكنا تضللنا، وتجعلنا نخسر شيئا طيبا من الممكن أن نفوز به، بسبب خشيتنا المحاولة. اذهبى إلى اللورد أنجلو! فعندما تتضرع العذارى وهن راكعات ويبكين، فإن الرجال يقومون بالعفو مثل الآلهة". فقالت إيزابيل: "سوف أرى ماذا يمكن أن أفعله، سوف أذهب لكن بعد أن أحيط رئيسة الراهبات بمهمتى، بعدها سأذهب إلى أنجلو. طمئن أخى، ولن يحل الليل، إلا وسأبعث رسالة بنجاح مسعاى".

أسرعت إيزابيل بالذهاب إلى القصر، وألقت بنفسها عند قدمى أنجلو قائلة: "ألتمس من نبالتكم، النظر فى قضيتى المحزنة، لو تفضلتم سموكم بسماعها"، فقال أنجلو : لابأس، ما هى قضيتك "فقامت بعرض التماسها للعفو عن أخيها بأسلوب مؤثر للغاية. لكن أنجلو قال: " ليس هناك علاج لذلك، أيتها الفتاة، لقد تم الحكم على أخيك، ولابد أن يموت: فقالت إيزابيل: " هذا صحيح، لكنه قانون جائر. ليس لدى إلا أخ، فلترعاك السماء! " وكانت على وشك مغادرة المكان. لكن لوشيو الذى كان بصحبتها، قال: " واصلى، ولا تنهى الموضوع، عودى إليه ثانية، توسلى إليه، اركعى تحت أقدامه، تعلقى بعباءته. أنت بردانه جداً، لو أنك فى حاجة إلى دعم، فلن تناليه بكلامك الداجن هذا. فركعت إيزابيل ثانية على ركبتها مطالبة بالرحمة. فقال أنجلو " لقد صدر الحكم ضده، لقد فات وقت ذلك". فقالت إيزابيل: فات وقت ذلك! لماذا، كلا. لقد قلت ذلك لكى تستدعيه ثانية. صدقنى يا سيدى اللورد، بأنه لا مظاهر الأبهة والتشريفات الرسمية التى ترتبط ببعض الناس، ولا تاج الملك ولا سيف النائب، ولا صولجان الحكم تعادل نصف ما تفعله الرحمة والسماح من خير."، فقال أنجلو" " أرجو أن تنصرفى"، لكن إيزابيل ظلت تتواسل إليه، وقالت: " لو أن أخى كان فى موقعك وأنت فى موقعه، وانزلقت لما وقع فيه وكان هو فى موقعك، فإنه لن يكون بمثل هذه القسوة. كنت أتمنى من السماء أن تكون لدى ما لديك من سلطة وقوة، وكنت أنت إيزابيل، فهل كانت ساعتها تصبح هكذا مثلك كلا، أود أن أقول بماذا كانت ستحكم. بشأن السجين"...

فقال أنجلو: " فلتكونى على قناعة بما حدث، أيتها الفتاة الجميلة ! إنه القانون ولست أنا الذى حكمت على شقيقك. لو أنه كان قريبى أو أخى أو ابنى، فكان ولابد أن يلقى نفس المصير. لابد أن يموت غداً، فقالت إيزابيل: "غداً؟ أوه، هكذا فجأة. فلتصفح عنه، اصفح عنه؛ فهو ليس مستعدا للموت. إننا حتى عندما نقوم بذبح الطيور فى المواسم والأعياد، نقوم بالصلاة للسماء، بكل تواضع واحترام، لطلب العون لأنفسنا المتعالية دعنى أذكرك سيدى اللورد الطيب بأن أحداً لم يمت من جراء فعلة أخى، رغم أن الكثيرين قاموا بارتكابها. وهكذا تكون أنت أول من أصدر هذا الحكم، والأول الذى يسمح بتنفيذه. ارجع إلى قلبك، سيدى اللورد، ودق على بابه، واسأله عما إذا

كان يدلك على شيء يماثل خطأ أخى، فإذا اعترف بأن ما ارتكبه خطأ فطرى، فلا داعى اذن لفكرة إهدار حياة أخى! أثْرت كلماتها الأخيرة بشكل أكبر من كل ما قالته قبل ذلك، فقد آثار جمال إيزابيل، نوازع عاطفة آثمة فى قلبه، وبدأت تدور فى رأسه أفكار عن الحب غير الشريف، يماثل الجرم الذى ارتكبه كلوديو، فجعله هذا الصراع يُشيح عنها بوجهه، لكنها استدارت وقالت له : "سيدى اللورد الطيب!" التفت إلى، أصغ إلى، فسوف أقوم برشوتك؟ التفت إلى سيدى اللورد الطيب !- فقال أنجلو بدهشة شديدة لقولها أنها ستقوم برشوته: " كيف يمكنك رشوتى!" فقالت إيزابيل : "أجل، بأن أقدم لك هدايا تشارك فيها السماء ذاتها، ليست هدايا ذهبية، أو أحجاراً كريمة، سواء كان ثمنها غالياً أم رخيصاً، أو مهما كان تقديرها، سأقدم لك صلوات صادقة ترتفع إلى السماء قبل أن تشرق الشمس، صلوات من نفوس صافية من قبل عذارى صائمات لا يشغل أذهانهن أشياء دنيوية فانية!". فقال أنجلو : " حسن، احضرى إلى غداً."كان لهذه المهلة القصيرة لحياة شقيقها ووعده لها بأنه يمكن سماعها مرة أخرى، أثر كبير عليها، فتركته وقد غمرها أمل مبهج بأنه يمكنها أن تنتصر على طبيعته القاسية ؛ وأثناء خروجها قالت: " فلترعاك السماء! فالترعاك السماء سيدى اللورد!". وعندما سمع أنجلو ذلك، فردد داخل قلبه "آمين، كم أود أن أنجو من نفسى ومن تأثيرها". بعد ذلك ارتعب من أفكاره الشريرة، فقال: "ما هذا؟ ماذا جرى لى؟ هل أحبها، لدرجة أننى أود أن أسمع كلامها ثانية، وأستمتع برُؤية عينيها، ما هذا الذى أحلم به؟ وحتى يستطيع العدو الماكر للرجال، أن يجذب قديس لقديسة فلابد أن يلقى بسهمه. لم أكن أتصور أبداً أن امرأة متواضعة أثارتنى إلى هذا الحد، لكن هذه المرأة العفيفة استولت على تماماً. وحتى الآن، عندما يغرم الرجال، أبتسم وأتعجب من تصرفاتهم".

عانى أنجلو كثيراً بسبب الصراع الآثم داخل عقله فى تلك الليلة أكثر من السجين الذى حكم عليه بالموت بكل قسوة. كان الدوق الطيب قد قام بزيارة كلوديو السجين فى هيئة راهب، وتحدث مع الشاب الذى فى طريقه إلى السماء ونصحه بالتحلى بالصبر، والهدوء. لكن أنجلو أحس بفداحة الذنب المحيرة، إزاء رغبته فى أن

يغوى إيزابيل ويبعدها عن سبيل الطهارة والشرف، فعانى من الندم والرعب فى ارتكابه جريمة، خاصة أنها متعمدة . لكن فى النهاية تغلبت عليه أفكاره الشريرة؛ وإذا كان هو قد انزعج موخراً من الرشوة التى عرضتها عليه، فقد قرر هو إغواء إيزابيل برشوة أكبر، باحتمال أنها لن تكون قادرة على المقاومة، مقابل الهدية الثمينة بأن يمنح الحياة لشقيقها.

عندما حضرت إيزابيل فى الصباح، أبدى أنجلو رغبته بأن يسمح لها بالدخول وحدها لمقابلتها، عندما دخلت قال لها، لو أنها استسلمت له، وفرطت فى عذريتها وشرفها مثلما فعلت جولييت مع كلوديو، فسوف يمنح الحياة لأخيها؛ وقال: " لأننى أحبك، يا إيزابيل". فقالت إيزابيل:" إن أخى كان يحب جولييت فعلاً، وأنت قلت لى بأنه سوف يموت بسبب ذلك".

لكن أنجلو قال: " كلوديو لن يموت، لو أنك وافقت على زيارتى متسللة أثناء الليل، مثلما فعلت جولييت عندما تركت بيت أبيها وذهبت إلى كلوديو. ذُهلت إيزابيل لهذه الكلمات التى يغويها بها لنفس الخطأ الذى أصدر بسببه حكما بالموت على شقيقها، فقالت: " كم أود أن أفعل الكثير من أجل أخى المسكين، أما بالنسبة لنفسى؛ فلو حدث وكان محكوماً على بالإعدام لجريمة قتل بشعة لكنت ارتديت ملابس الاعدام الحمراء، وذهبت للقاء الموت لأحقق ما أقوم إليه. بسبب الجرم الذى ارتكبته على أن أستسلم لهذا العار. ثم قالت له أنها كانت تعتقد أنه قال هذه الكلمات فى محاولة لاختبار عفتها. لكنه قال:" صدقينى وبشرفى، فإن ما قلته يعبر عما أريده". غضبت إيزابيل غضباً شديداً لاستخدامه كلمة "بشرفى" ليعبر عن أغراضه الدنيئة، وقالت: " ها! يحلف بشرفه لكى أصدق أغراضه الخبيثة. وسوف أُعلن ذلك، أنجلو، خذ حذرك! فلتأمر فوراً بالعفو عن أخى، وإلا سأعلن للعالم كله بصوت عال، أى رجل أنت!". فقال أنجلو: " ومن سيصدقك، يا إيزابيل، فسمعتى نظيفة وتاريخ حياتى لا تشوبه شائبه وكلامى يضمن صدقى، عكس كلامك، ويدحض إتهامك. أنقذى أخاك بالاستلام لرغبتى، وإلا فسوف يعُدم غداً. أما بالنسبة لك، فقولى ما يعن لك، فإن تكذيبى لما تقولين

سوف يدحضن قصتك الصادقة. ردى على غداً".

فقالت إيزابيل: " إلى من ينبغى أن أشكو؟ هل أصرخ بذلك وأعلنه، لكن من سيصدقنى؟" وتوجهت إلى السجن الكئيب حيث يُحتجز شقيقها.

عندما وصلت إلى هناك، كان هناك حديث يتسم بالورع بين شقيقها وبين الدوق المتنكر فى ملابس الراهب، الذى قام بزيارة جوليت أيضا، استطاع أن يجعل العاشقين المذنبين فى حالة نفسية معقولة، واعترفت له جوليا والدموع تملأ عينيها وكلها ندم بأنها تلوم نفسها أكثر من كلوديو لأنها قبلت بإرادتها غوايته الآثمة.

عندما دخلت الغرفة المحتجز فيها كلوديو، قالت: "السلام والتحية على الصحبة الطيبة!" فقال الدوق المتنكر: " من هناك؟ ادخلى، فحضورك يستحق الترحيب.." فقالت إيزابيل: " لن تستغرق مهمتى أكثر من دقيقتين" . تركهما الدوق معا، وطلب من حارس السجن، أن يجلس فى مكان يتيح له سماع حوارهما.

قال كلوديو: " الآن جئت لتواسينى؟". فقالت له إيزابيل، إنه ينبغى عليه أن يستعد للموت غداً." فقال كلوديو: " أليس هناك أى علاج؟" فأجابت إيزابيل : " أجل، يا أخى، هناك علاج للموقف. لكنه، ويا له من علاج، فلو أننى قبلته فلابد أن تتخلى عن شرفك، وتترك نفسك عرياناً"، فقال كلوديو: " دعينى أعرف ما هو"، فأجابت : " آه، أخشى أن يصيبك الفزع يا كلوديو! أنا أرتجف رعبا خشية أن تكون لديك رغبة فى الحياة، وتتعلق بالأشياء التافهة، لمدة ست أو سبع سنوات تضاف إلى عمرك، بدلاً من شرفك! هل لديك الجرأة لملاقاة الموت؟ الإحساس بالموت ينحصر فى الإدراك به، فالخنافس التى نطأها بأقدامنا، تشعر بالآم الموت بنفس الاحساس الذى يموت به العمالقة .

فقال كلوديو: " لماذا تلصقى بى هذا العار؟ هل تعتقدين أنه باستطاعتى أن أقترح عليك حلا فى رقة الزهور؟ إذا كان يتحتم على أن أموت، فسوف أواجه الظلام كعريس، وأحتضنه بين ذراعى".

هكذا تحدث أخى، قالت إيزابيل، " هذا ما كان يردده أبى دائما، أجل، يجب أن

تموت: ولك أن تفكر فى ذلك، يا كلوديو! ذلك أن هذا القديس الدنيئ نائب الدوق طلب منى أن أستسلم لرغباته الحسية وأفقد شرفى وعذريتى، مقابل ضمان حياتك. أوه، لو أنه طلب منى حياتى لكنت ضحيت بها مقابل حريتك وكأنها شيء بسيط" . فقال كلوديو: " شكرا، يا إيزابيل". فقالت له : " كن مستعداً للموت غداً" قال كلوديو: " الموت شيء مخيف" فردت أخته : " والحياة المشينة شيء كريه". سيطرت فكرة الموت على كلوديو بشكل دائم، فأصيب بذعر شديد هاجمه بعنف، خاصة لأن إدانته بالموت لا تفيد أحداً، فصرخ قائلا:

"أختى العزيزة، دعينى أعش! فالإثم الذى تقومين به لإنقاذ حياة أخ يعُد شيئًا طبيعيًا مقابل ما قمت به ويصل إلى حد الفضيلة: فقالت إيزابيل: " كافر جبان! خائن خسيس! أتريد أن تُبقى على حياتك على حساب عار أختك؟ يا للعار، يا للعار، يا للعار! كنت أتصور أن لديك ذرة من الشرف، وعقلاً راجحًا من خلال على كل العوائق والعقبات، قبل أن يتحتم على أختك أن تنزلق إلى ذلك الإثم" فقال كلوديو : " كلا، أصغى إلى يا إيزابيل!".

لكن ما كان يرغب فى قوله دفاعًا عن ضعْفه، ورغبته فى الحياة، بتلويث شرف أخته ونقائها، قوطع بدخول الدوق الذى قال : " كلوديو، لقد سمعت كل ما دار من حديث بينك وبين أختك. لم يكن هدف أنجلو إفسادها ؟ فما قاله، كان مجرد اختبار لشرفها ونبلها. فهى تمتلك نبلاً صادقا، وواجهته بكياسة برفضها، الذى كان سيسعد بنيله منها، أعتقد أنه ليس هناك أمل فى العفو عنك، لذلك عليك أن تقضى ما بقى لك من ساعات فى الصلاة، استعداداً للموت". بعد ذلك تخلص كلوديو من ندمه لما أصابه من ضعف، وقال: " دعنى أطلب السماح من أختى! لقد تخلصت من حب الحياة، وسأحاول التحرر منها" وما أن قال ذلك حتى اكتسته مسحة من الخزى والأسى بسبب خطأه.

انفرد الدوق بإيزابيل وأثنى على موقفها الشريف، وقال: " إن من وهبك جمالك، وهبك الصلاح والطيبة". فقالت إيزابيل: " أوه، كم سيخدع الدوق الطيب فى أنجلو!

وكم أود أن يعود وأستطيع التحدث إليه، وسوف أكشف حكومته. لم تكن تدرى إيزابيل أنها كشفت بالفعل عما كانت تهدد بكشفه. فرد الدوق: " لن يقلل ذلك من الأمر، لأن الوضع ما زال قائما، وسوف يردُ أنجلو على اتهامك، لذا أرجو أن تعيرى لنصائحى أذناً مصغية، أرى أنك سيدة صالحة مستقيمة ظُلمتْ وتستحقين المساعدة، لتحررى أخيك من ذلك القانون الظالم، دون أن تلوثى شرفك، ولك أن تسعدى، فالدوق سوف يعود لممارسة مهامه". قالت إيزابيل إنها على استعداد لتفعل أى شىء يطلبه منها، شريطة ألا يكون شيئًا خاطئا فقال لها: " إن الفضيلة تتسم بالجسارة، ولا تخش شيئًا ". بعد ذلك سألها عما إذا كانت سمعت عن سيده اسمها ماريانا، شقيقة فردريك الجندى العظيم الذى غرق فى البحر، فقالت إيزابيل: " لقد سمعت عنها كلاما طيبا يتردد عنها". فقال الدوق: " هذه السيدة، زوجة أنجلو، وكان حفل زفافها على ظهر المركب التى استشهد فيها أخوها، ولك أن تتصورى كم كان وقع ذلك ثقيلاً على قلب السيدة الرقيقة المسكينة! فبالإضافة إلى فقدانها شقيقها الشهير البطل، الذى كان حبه لها فى منتهى الرقة والعطف، فقد فقدت مشاعر زوجها لسوء حظها أيضاً، لأن أنجلو أبدى لها ذلك. وادعى اكتشافه عدم صدق مشاعرها النبيلة (رغم أن السبب الحقيقى هو ضياع دوطها) . وتركها لدموعها. ولم يقم أحدهما بمواساة الآخر. وبالتالى فقد كانت قسوته الظالمة هى السبب المباشر وبكل المعايير فى خمود حبها له، وبمثابة عائق، جعل الموقف أكثر تعقيداً. لكنها منذ أول لقاء مع زوجها القاسى على الدوام ظلت تحبه". قام الدوق بشرح خطته بوضوح وتتلخص فى أنه يجب أن تذهب إيزابيل إلى أنجلو وتبدى رضاها وقبولها للذهاب إليه كما أراد فى منتصف الليل، وبهذه الطريقة من الممكن أن تحصل على العفو عن أخيها، وتقوم ماريانا بالذهاب بدلاً منها لموعد اللقاء. وتقدم نفسها فى الظلام إلى أنجلو على أنها إيزابيل.

قال الراهب المتنكر: " كلا، يا ابنتى العزيزة، لا تخشى من فعل ذلك فأنجلو زوجها، وليس هناك إثم فى أن يجتمعا معا"، سعدت إيزابيل بهذه الخطة، وانطلقت لتنفيذها، فى حين ذهب هو ليحيط مارينا بما تم الاتفاق عليه. وكان قد قام من قبل بزيارة هذه السيدة التعسة وهو متنكر، وقدم لها العزاء وتلا عليها بعض النصائح المقدسة وقص عليها حكاية تلك المرأة الحزينة. ولما كانت تعتبره رجل دين مقدس

فأبدت استعدادها لتنفيذ خطته.

عادت إيزابيل بعد لقائها بأنجلو، إلى بيت ماريا؛ حيث كان الدوق حدد مكان اللقاء وقال لها: " لقاء طيب ووقت سعيد، ما هى أخبار النائب الطيب؟ فحكت إيزابيل الأسلوب الذى أتمت به مهمتها. فقالت إيزابيل: " لدى أنجلو حديقة يحيطها سور مبنى بالطوب، وعلى الجانب الغربى توجد كرمه، عنب لها بوابة." بعد ذلك عرضت على الراهب وماريانا المفتاحين اللذين أعطاهما أنجلو لها؛ وقال لها : " المفتاح الكبير خاص ببوابة الحديقة، والمفتاح الصغير للباب الذى يؤدى إلى كرمة العنب. ووعدته أن أحضر إليه فى هدأة الليل . وأخذت منه وعداً يؤكد ضمان حياة أخى. وبعد أن تعرفت جيداً على معالم المكان، وبصوت هامس مشحون بالأثم، أرانى الطريق مرتين؛ فقال الدوق: " أليس هناك أمارات أخرى اتفقتما عليها، يمكن لماريانا أن تلاحظها؟ فقالت إيزابيل: " ليس هناك أى أمارات، كل ما عليها أن تذهب عندما يحل الظلام، وقلت له أنه قد لا يكون لدى وقت طويل لأنى جعلته يعتقد أن خادمة ستأتى معى، وهى معتقدة أننى سأحضر لرؤية أخى." أثنى الدوق على حسن تدبيرها، والتفتت هى ناحية ماريانا، وقالت: " لا تتحدثى كثيراً مع أنجلو، وعندما تناديه، قولى بصوت خفيض ونعومة، تذكر الآن أخى!".

اصطحبت إيزابيل ماريانا فى نفس الليلة لتدلها على المكان المحدد، وكلها زهو وسعادة لتصورها أنها بهذه الحيلة تُبقى على حياة أخيها وتحافظ على شرفها. لكن الراهب "الدوق" لم يكن مطمئنا بما فيه الكفاية بمسألة إنقاذ حياة أخيها، ولذلك ذهب فى منتصف الليل إلى السجن، وكان من حسن حظ كلوديو أنه فعل ذلك، وإلا كان كلوديو قد أعدم فى هذه الليلة؛ فبعد أن دخل الدوق إلى السجن، وصل أمر من أنجلو القاسى بإعدام كلوديو، وإرسال رأسه إليه قبل الساعة الخامسة صباحًا. لكن الدوق أقنع حارس السجن بتأجيل حكم الإعدام على كلوديو، وخداع أنجلو بأن يرسل إليه رأس رجل مات فى السجن صباح ذلك اليوم. ولكى يقنع الدوق حارس السجن، حتى لا يتشكك فى ذلك، قدم له خطاباً مكتوبًا بخط الدوق ومبهوراً بخاتمه، وما أن رأى الخطاب، حتى استنتج أن هذا الراهب على صلة وثيقة بالدوق الغائب، وبالتالى اقتنع

بتأجيل إعدام كلوديو، وقطع رأس الرجل الميت وبعث بها إلى أنجلو.

بعد ذلك كتب الدوق نفسه رسالة إلى أنجلو، قال فيها، إن بعض الأحداث وقعت تسببت فى عدم مواصلة رحلته، وأنه سيصل إلى فيينا صباح اليوم التالى، وطلب منه أن يقابله عند مدخل المدينة ليعفيه من سلطاته، وأمر الدوق أيضًا بأن يُعلن بأن أى أحد من مواطنيه من حقه أن يقدم شكوى أو التماسًا لطلب العدل، إلى الدوق فى الشارع عند دخوله المدينة.

ذهبت إيزابيل مبكرًا إلى السجن، حيث كان الدوق ينتظر قدومها، ولأسباب سرية، فكر أنه من الأفضل أن يقول لها بأن كلوديو قد تم إعدامه، لذا فعندما تساءلت إيزابيل عما إذا كان أنجلو قد أرسل العفو عن أخيها، قال الدوق: " لقد أراح أنجلو أخاك من الدنيا وقطعت رأسه وأُرسلت إلى نائب الدوق". فحزنت أيما حزن وصرخت قائلة: " آه يا كلوديو التعس، يا لفجيعتك يا إيزابيل، عالم ظالم، يا لخستك يا أنجلوا". طلب منها الراهب (الدوق المتخفى) أن تهدأ، وعندما هدأت بعض الشىء، أخبرها بتوقع عودة الدوق قريبا، ولابد بأى حال من الأحوال أن تقدم شكوى للدوق ضد أنجلو، وطلب منها ألا تخاف، من أن تنقلب شكواها ضدها لفترة . بعد أن زود إيزابيل بالمعلومات الكافية، توجه إلى ماريانا وزودها بنصائحه وأيضا الأسلوب الذى ينبغى أن تتبعه.

خلع الدوق ملابس الراهب، وأصبح فى ملابسه الرسمية، وأخذ يتلقى ترحيب الجماهير من رعيته المخلصة له، احتفالاً بعودته، ووصوله إلى مدينة فيينا، واستقبله أنجلو، وسلمه سلطاته بشكل رسمى.

تقدمت إيزابيل بالتماس لإنصافها، وقالت : " أطلب عدالتك يا سيدى الدوق! أنا شقيقة كلوديو الذى أغوى فتاة شابة، وحكم عليه بالموت وتقدمت بالتماس إلى اللورد أنجلو، للعفو عن أخى، وليست هناك حاجة يا صاحب السمو لأن أقول لك كيف توسلت إليه وركعت تحت قدميه، وكيف صدنى بجفاء، وكيف رددت عليه، وهذا أمر سيطول شرحه، والنتيجة النهائية كانت شيئًا حقيرًا ومزريًا تمامًا. فقد رفض أن يعفو

عن أخى إلا إذا استسلمت لرغباته الدنيئة، وبعد حوار طويل بينى وبين نفسى، تغلبتْ عاطفة الأخوة على شرفى، واستسلمت له. لكن قبل أن يحل صباح اليوم التالى، نقض أنجلو وعده، وأرسل أمراً بإعدام أخى المسكين! " لكن الدوق تظاهر بعدم تصديق قصتها. أما أنجلو فقال إن حزنها على شقيقها الميت، الذى عوقب بمقتضى نصوص القانون، قد أثر على تفكيرها. وعرضت قضية أخرى تقدمت بها ماريانا، فقالت " يا سمو الدوق، كما ينبعث النور من السماء، والحق من الكلام، وكما أن هناك إحساساً بالحق، والصدق فى الفضيلة، أنا زوجة هذا الرجل، اللورد الطيب، أما ما قالته إيزابيل فكله كذب، ففى الليلة التى تدعى فيها أنها كانت مع انجلو، فقد قضيتها أنا مع زوجى فى حديقة البيت، فقامت إيزابيل بمحاولة إثبات صدق ما قالته هى لأنه كان فى وجود الراهب لودويك، (اسم الدوق الذى كان متخفيا فى زى الراهب)، حيث أطاعت كل من إيزابيل وماريانا التعاليم التى قالها لهما بالضبط كان الدوق يقصد من ذلك أن تثبت براءة إيزابيل بوضوح وجلاء، وأمام الملأ المحتشد عند مدخل مدينة فينيا، لكن أنجلو وقد لاحظ أن رواية الاثنتين مختلفة، فراوده الأمل أن يكون هذا التعارض بين أقوالهما دليل على براءته من اتهام إيزابيل له، فقال ساخراً من نظرة الاتهام الآثم: " أنا مازلت أبتسم حتى الآن، لكن، صبرى قد نفد يا سيدى الدوق، وأنا أعتقد أن هاتين المرأتين المسكينتين، كانتا مجرد أداتين لشخص أكثر ذكاء منهما، وهو الذى حرضهما على ذلك، دعنى سيدى الدوق، أبحث هذا الأمر حتى أكشف هذه المؤامرة". فقال الدوق: " لا مانع، وبكل ترحاب، وعاقبهم كما يحلو لك. لورد إسكالوس، اجلس مع اللورد أنجلو وأعره اهتمامك لاكتشاف هذا الفساد: ويستدعى الراهب للجلوس معهما، وعندما يحضر، قم بتوبيخه ولومه بقدر ما أصابك من الآم، والآن سأتركم لبرهة قصيرة، ولا تدع أعصابك تفلت منك لورد أنجلو، حتى تتأكد تماماً من فعلته". انصرف الدوق، وترك أنجلو فى منتهى السعادة لانتدابه للحكم فى نزاع يخصه. لكن الدوق لم يتغيب إلا لفترة وجيزة، خلع أثناءها عباءته الرسمية وارتدى عباءة الراهب، وبعد تنكره حضر وقدم نفسه لأنجلو وإسكالوس، الذى كان يعتقد أن أنجلو أُتهم زوراً فقال للراهب المفترض: "تفضل يا سيدى، هل قمت بتحريض هاتين السيدتين لتشويه سمعة اللورد أنجلو؟"، فأجاب: " أين

الدوق؟ من المفترض أن يسمع هو كلامي". فقال إسكالوس : "نحن نمثل الدوق، وسوف نستمع إليك، قل للحق" فرد الراهب " بل بجسارة وقام بلوم الدوق لترك قضية إيزابيل بين يديه، حتى وصل الأمر إلى اتهامها، ثم تكلم بصراحة أكثر عن العديد من الممارسات الفاسدة التى رصدها، بينما كان يراقب ذلك وهو فى فيينا، فهدده إسكالوس بالتعذيب لقوله كلمات ضد الدولة، ولإنتقاده تصرفات الدوق، وأمر بأخذه إلى السجن.

ثم كانت المفاجأة التى أذهلت الجميع، وأربكت أنجلو تمامًا، عندما قام الراهب المفترض بخلع العباءة، ورأوا الدوق ذاته.

أول من بادر بالحديث معها كانت إيزابيل. قال لها: " تعالى إلى هنا يا إيزابيل . راهبك الآن هو أميرك، عندما كنت أرتدى عباءة الراهب، لم أغير ما فى قلبى، أنا ما زلت أكرس نفسى لخدمتك" فقالت إيزابيل : "عفوًا يا سيدى فأنا خادمتك، وقد قمت باستغلالك وإتعاب شخصك السامى المجهول" فأجابها بأنه فى حاجة ماسة لأن تصفح عنه، لعدم إمكانه إيقاف موت شقيقها؛ لأن الظروف لم تكن تسمح وقتها ليخبرها بأن كلوديو ما زال على قيد الحياة؛ وكان يقصد فى المقام الأول أن يجرى اختبارًا إضافيًا لأصالتها وطيبتها. فى هذه اللحظة عرف أنجلو أن الدوق كان شاهدا خفيا على أعماله السيئة، فقال: " أوه، يا سيدى المهيب، سوف أصبح آثما، زيادة على إثمى، حتى تظن أننى غير مرغوب فى رؤيتى، عندما أدركت أن سموك مثل القوة الإلهية ترى كل أفعالى. لذا أرجو من سموكم ألا تطيل فترة عارى، وأقدم للمحاكمة بناء على اعترافى. ويصدر حكم فورى باعدامى، هذا كل ما أطمع فيه من سموكم". فأجاب الدوق: " إن أخطاءك واضحة يا أنجلو . إنما سندينك بسبب تلك الفعلة الفظيعة التى كاد كلوديو أن يفقد حياته بسببها، عندما تعجلت إعدامه قبل الموعد المحدد، لكن من أجل هذه السيدة وممتلكاتها، فقد قررنا يا ماريانا أن تصبحى أرملة، ولك مطلق الحرية فى اختيار زوج أفضل. فقالت ماريانا : " أوه يا عزيزى أنجلو، أنا لا أبغى إلا سواه ولا أفضل منه". ثم ركعت على ركبتيها، مثلما فعلت إيزابيل عندما كانت تتوسل

لإنقاذ حياة شقيقها أنجلو، وقالت: " يا إلهى الرحيم، ساعدنى! إيزابيل ساعدينى. أعيرينى ركبتيكى، وسوف أهب حياتى كلها، وأكرسها لخدمتك! فقال الدوق: " أنت تضغطين عليها أكثر مما ينبغى. هل ستركع إيزابيل على ركبتها لتلتمس الرحمة على شبح أخيها وتحطم قبره ويسبب لها الذعر" . إلا أن ماريانا واصلت كلامها قائلة : "إيزابيل، أيتها الجميلة إيزابيل، أرجو أن تركعى بجوارى، ارفعى يديك فقط، ولا تقولى أى شىء! سوف أقوم أنا بالكلام. فقالت الاثنتان، إن أفضل الرجال لا يتسمون بالخطأ، والغالبية منهم يصبحون أكثر فضلاً على أن يكونوا سيئين. وربما يكون زوجى منهم، أوه، يا إيزابيل ألن تركعى بجوارى؟ عندئذ قال الدوق " إنه سيموت من أجل كلوديو". لكن ما أسعد الدوق الطيب كثيراً، عندما قامت إيزابيل بالركوع أمامه، وكان يتوقع أن تقوم بذلك بكل سماحة ونبل، وقالت: "أطمع فى سخائك وكرمك يا سيدى، إذا كان ذلك يسعدك، فليعاقب بمثل ما منحت الحياة لأخى. وأعتقد إلى حد ما وطبقًا لإخلاصه لنظام الحكم قد قام بعمله، حتى وقع بصره على. وطالما الأمر كذلك، فلا داعى لموته! لم ينل أخى إلا ما يستحق من العدالة، من جراء ما فعله".

كان أفضل رد يقوم به الدوق على ذلك النبل والسماحة الذى توسلت بها من أجل عدو الحياة، بأن أرسل لاحضار كلوديو من محبسه حيث ينتظر متشككا فى مصيره، ويندب حظه، ثم قال لإيزابيل: " أعطنى يدك، يا إيزابيل، من أجل خاطرك عفوت عن كلوديو، وأنت ستصحبين زوجتى، وسيكون هو بمثابة أخ لى أيضا. فى ذلك الوقت أدرك اللورد أنجلو، أنه سينجو، وعندما لاحظ الدوق بريق عينيه قال : " حسن، يا أنجلو، أنظر إلى زوجتك المحبة، وبسبب وفائها، وإخلاصها حصلت على العفو، هنيئا لك يا ماريانا! أحبها، يا أنجلو! لقد إعترفت لى، وتأكدت من نبلها". تذكر أنجلو أنه عندما تسلم السلطة لفترة مؤقتة، كيف أصبح قلبه قاسيا، لكنه شعر الآن كيف أن الرحمة حلوة.

أمر الدوق كلوديو بالزواج من جوليت، كما منح نفسه مرة ثانية قبول إيزابيل، التى استطاعت بسلوكها النبيل أن تفوز بقلب الأمير، ولما كانت إيزابيل لم تتسلم

ملابس الراهبات بعد، فقد أصبحت فى حل من أن تتزوج؟.

هذا الصديق الكهنونى، الذى كان متنكرا فى شخص راهب فقير، الذى قام به الدوق النبيل من أجلها، جعلها بكل امتنان وسرور تقبل عرضه النبيل؟ وعندما أصبحت دوقه فيينا، كانت المثال الأعلى للفضيلة والطهارة وقامت بخدمات جليلة لفتيات المدينة، ومنذ ذلك الوقت لم تتعرض إحداهن أبداً للسقوط فى الرذيلة، التى وقعت فيها جولييت، الزوجة التائبة لكلوديو الذى انصلح حاله، حكم الدوق الطيب المحب الرحيم لمدة طويلة مع محبوبته إيزابيل، كأسعد زوجين وأمير وأميرة.

الليلة الثانية عشر

سباستيان وشقيقته فيولا، توأمان من بيت طيب، كانا يعيشان في مساليناً..
ومنذ ميلادهما وهما يشبهان بعضهما، لدرجة أنه لولا الاختلاف في ملبسيهما لما
أمكن التمييز بينهما. فلقد ولد الاثنان في ساعة واحدة، وتعرض الاثنان لخطر الموت
في ساعة واحدة. حيث تحطمت السفينة التي كانا يستقلانها في رحلة بحرية، على
شاطئ اليريا.

تعرضت السفينة التي كانا يركبانها لعاصفة قوية، جعلتها تصطدم بصخرة،
ونجا عدد قليل من ركابها بحياتهم. كما نجا قبطان السفينة ومعه عدد قليل من
البحارة، ووصلوا إلى الشاطئ بقارب صغير. وكان من ضمن الناجين فيولا التي
وصلت إلى الشاطئ سالمة، لكنها بدلا من أن تفرح بنجاتها، أخذت تبكي من أجل
فقدان أخيها..

طمأنها القبطان، عندما قال لها أنه رأى أخاها، حين اصطدمت السفينة
بالصخرة يربط نفسه إلى سارية قوية، حتى يمكن رؤيته من مسافة بعيدة، ورآه طافيا
فوق الأمواج، وارتاحت فيولا إلى حد كبير، لما بعثه فيها هذا الكلام من أمل.. ثم بدأت
تتساءل كيف سيتسنى لها أن تعيش في بلد غريب بعيد عن وطنها، فسألت القبطان
إن كان يعرف شيئا عن اليريا، فأجاب القبطان: " أي نعم يا سيدتي، أعرفها جيدا،
لأنني ولدت على بعد ثلاث ساعات سفر من ذلك المكان"..

فقالت فيولا: " من الحاكم هنا؟" . فأخبرها القبضان أن حاكم اليريا يدعى
أورسينو، وهو دوق نبيل الطبع مثل تلك البلاد. فقالت فيولا إنها سمعت والدها،
يتحدث عن أورسينو، وأنه كان غير متزوج، في ذلك الوقت..

فقال القبطان : "وما زال كذلك حتى الآن، أو ربما سيتزوج قريبا، ذلك أننى مررت من هنا منذ شهر تقريبا، وكان هناك كلام يدور، بأن أورسينو واقع فى حب فتاة فاضلة، اسمها أوليفيا، ابنة أحد الكونتات الذى توفى منذ اثنى عشر شهرا مضت، تاركا أوليفيا فى رعاية أخيها، الذى ما لبث أن توفى هو الآخر بعد فترة قصيرة. وبسبب حبها لأخيها العزيز، كما يقولون، حجبت نفسها عن أنظار الرجال.

تمنت فيولا، التى كانت حزينة أيضا لفقدان أخيها، أن تعيش مع هذه الفتاة، الحزينة من أجل أخيها.. وسألت القبطان، إذا كان باستطاعته أن يأخذها إلى أوليفيا، قائلة أنها تود بكل سرور أن تقوم بخدمة هذه الفتاة.. لكنه أجاب بأن تحقيق هذا قد يكون من الصعب، لأن أوليفيا لا تسمح لأى شخص بالدخول إلى منزلها منذ وفاة أخيها، ولا حتى الدوق نفسه..!

عندئذ فكرت فيولا فى خطة أخرى بينهما وبين نفسها، مؤداها أن ترتدى ملابس الرجال وتعمل فى خدمة الدوق كتابع له.. كان ذلك تفكيرا غريبا، من فتاة أن ترتدى ملابس الرجال، وتصبح شاباً، لكن حالة الوحدة وشبابها وجمالها كانت مبررا جيدا لذلك.

عندما لاحظت أوليفيا أن القبطان قد أبدى عناية كبيرة لراحتها، لذا فقد صارحته بخطتها، فوعد بمساعدتها على الفور.. وأعطته نقودا ليحضر لها ثيابا بنفس ألوان الثياب التى اعتاد أخوها سباستيان أن يرتديها. وعندما ارتدت عباءتها الرجالية بدت تماما شبيهة بأخيها، لدرجة أن بعض الأخطاء الغريبة قد حدثت (كما سنعلم فيما بعد)، لأن سباستيان كان ما يزال على قيد الحياة.

بعد أن حول القبطان ذلك الصديق المخلص، أى تلك الفتاة الجميلة، إلى شاب وسيم، استطاع بما لديه من نفوذ فى بلاط الدوق، أن يقدمها إلى أورسينو، باسم سيزاريو. وسعد الدوق جدا بمظهر أورسينو، باسم سيزاريو. وسعد الدوق جدا بمظهر وحديث ذلك الشاب الأنيق.. وأمر بأن يكون سيزاريو واحدا من أعوانه، كما كانت فيولا ترغب، فقامت بواجبات الوظيفة الجديدة على أكمل وجه، وأظهرت طاعة وثقة لسيدها اللورد، وسرعان ما أصبحت معاونه المفضل..

روى أورسينو قصة حبه كلها مع أوليفيا، لسيزاريو، وكيف أنها كانت ترفض خدماته، وتستخف بشخصه، وترفض أن تدعه يدخل بيتها. وبسبب حبه لهذه الفتاة، التى عاملته بجفاء، هجر النبيل أورسينو رياضة المشى فى الخلاء، وكل مجالات الرياضة الأخرى التى تعْود أن يحبها.. وأخذ يمضى يقضى وقته فى أشياء لا قيمة لها، يستمع إلى الموسيقى الخفيفة والأغانى العاطفية، وأغفل مجالسة العقلاء والمثقفين الذين تعود أن يقضى وقت فراغه معهم، أما الآن فهو لا يفعل شيئا سوى التحدث طوال اليوم مع الشاب سيزاريو..! .

سرعان ما اكتشفت فيولا، أنه من الخطر أن تصاحب فتاة عذراء دوقا شابا مليحا. وبرغم كل ما قاله لها أورسينو عن معاناته من أجل أوليفيا، اكتشفت الآن أنها تعانى من أجل حبها له، والأمر الذى حيرها كثيرًا هو كيف استطاعت أوليفيا ألا تهتم هكذا بسيدها اللورد، التى ترى هى أن أحدا لا يستطيع أن ينظر إليه إلا باعجاب شديد.

فقالت لأورسينو برقة، إنه من المحزن بالنسبة له أن يَجِدً فى إثر فتاة عمياء تماما عن إعجابه الصادق، ثم أضافت : " لو أن هناك فتاة تحبك يا سيدى، كما تحب أنت أوليفيا، (ومن المحتمل أن تكون هناك من تفعل ذلك)، ولم تستطع أنت أن تحبها بدورك، أفلا تقول لها إنك لا تحبها، وتكون هى راضية بتلك الاجابة؟!".

لكن أورسينو لم يشأ الاستماع إلى هذا الافتراض، لأنه قال، لا يمكن أن تكون هناك امرأة تحبه بمثل ما يحب هو.. وقال ليست هناك امرأة تحمل قلبا كبيرا بما فيه الكفاية ليحتوى مثل هذا الحب.. لذلك فإنه ليس من العدل أن تساوى بين حب أى امرأة له، وبين حبه لأوليفيا.

ورغم الاحترام الكبير الذى أبدته فيولا لرأى الدوق، فإنها لم تستطع مقاومة التفكير بأن هذا ليس صحيحا تماما، لأنها كانت تعتقد أن قلبها به نفس القدر من الحب الذى يكنه أورسينو لفيولا فقالت: " آه، لكننى أعرف، يا سيدى اللورد!"..

فقال أورسينو : "ما الذى تعرفه، يا سيزاريو؟".

فأجابت فيولا : "أنا أعرف جيدا جدا، ماذا يعنى حب المرأة للرجل، إنهن صادقات العواطف مثلنا تماما.. كان لوالدى ابنة أحبت رجلا، ولو فرض أننى كنت امرأة، لكنت أحببتك، يا سيدى!"..

فقال أورسينو: "وما هى حكايتها؟".

فأجابت فيولا : "أنها لم تخبر أحدا بحبها، بل احتفظت به سرا لنفسها.. مثل دودة فى برعم، تتغذى على الوردة نفسها.. وأصبحت مريضة من جراء التفكير المتواصل.. وبدت مثل صورة الجالس فى صبر مبتسما فى حزن...!".

وبينما كانا يتحدثان دخل رجل مهذب كان الدوق قد أرسله إلى أوليفيا، وقال: "لو سمح لى سيدى اللورد، فأنا لم أستطع مقابلة السيدة الفاضلة، لكن وصيفتها جاءت بالرد التالى: إن سيدتى ستظل لمدة سبع سنوات تعيش كالراهبة، ولن ترى السماء وجهها، وستمشى محجبة الوجه وستبلل حجرتها بالدموع لذكرى أخيها الميت!"..

عند سماع ذلك صاح الدوق متعجبا: " أوه، يا لتلك التى تحمل قلبا كهذا، أن تدفع هذا الدين من الإخلاص لأخيها الميت، لكن كيف ستحب، عندما يلمس قلبها سهم الحب الذهبى؟".

ثم قال لفيولا : "اسمع يا سيزاريو، لقد بحت لك بكل أسرار قلبى، لذا أرجوك أيها الشاب الطيب، أن تذهب بنفسك إلى منزل أوليفيا، ودعهم يدخلونك إلى دارها، وقف عند بابها وقل لها إنك لن تبرح المكان إلا بعد أن تتحدث إليها".

فقالت فيولا: "وإذا حدث وتحدثت إليها، فماذا أقول إذن؟".

فأجاب أورسينو : "عبر لها عن مدى حبى لها. أذكر لها مدى تقديرى لها منذ مدة طويلة.. وقد يكون من المناسب أن تجسد حزنى، لأنها سوف تستجيب لك أكثر منى بمظهرى الحزين هذا".

ذهبت فيولا، لكن دون رغبة منها فى أداء هذه المهمة الغزلية، لأنها ستتغزل فى الفتاة التى قد تصبح زوجة للذى ترغب أن تتزوجه هى.. لكنها وقد وعدت بالقيام بذلك،

فلابد أن تنفذه بكل إخلاص، وسرعان ما سمعت أوليفيا بأن شابا يقف على بابها طالبا الدخول إليها.

قال الخادم : "لقد أخبرته يا سيدتى، بأنك مريضة.. فقال إنه يعرف ذلك، ولذا فقد حضر للتحدث معك. قلت له إنك نائمة، لكن يبدو أنه كان على علم بذلك أيضا، وقال، إنه من أجل ذلك يتحتم عليه أن يتحدث إليك.. فماذا أقول له يا سيدتى؟ إذ يبدو أنه يرفض بشدة كل الأعذار، ويصر على الحديث معك، سواء أكنت ترغبين أو لا ترغبين فى ذلك!"..

ثار فضول أوليفيا، لترى ذلك الرسول اللحوح وماذا يكون شأنه، فقالت من الممكن أن يدخل ووضعت حجابها على وجهها. وقالت فلنستمع مرة أخرى إلى رسالة أورسينو...

دخلت فيولا، وقد تقمصت كل مظاهر الرجولة، مستخدمة اللغة الراقية لأتباع الدوقات، فقالت إلى ذات الحجاب: " يا ذات الحسن والطلعة البهية.. يا ذات الجمال الذى لا يعادله جمال.. أرجو أن تخبرينى، إذا كنت أنت سيدة هذا البيت، لأننى سأكون حزينا جدا لو أن كلامى ضاع هباء مع سيدة أخرى، لأنه كلام مكتوب بشكل جيد جداً وقد تعلمته بعد معاناة شديدة!"..

فقالت أوليفيا: " من أين أتيت، يا سيدى؟".

فقالت فيولا : "لكننى أستطيع أن أقول أكثر مما حفظته، أما بالنسبة لذلك السؤال فهو خارج عن نطاق مهمتى".

فقالت أوليفيا: "هل أنت ممثل؟"..

فأجابت فيولا : "كلا، بالإضافة إلى أننى لست ذلك الذى أقوم به الآن".. (تقصد أنها فتاة فى مظهر رجل).. ثم سألتها مرة ثانية عما إذا كانت هى سيدة البيت. فقالت أوليفيا إنها كذلك . ولما كانت فيولا تتوق بشدة لرؤية وجهها، أكثر من لهفتها على تبليغها رسالة سيدها، قالت: " سيدتى الطيبة، دعينى أرى وجهك".

كانت أوليفيا لا ترغب فى فعل ذلك، لأن صاحبة هذا الجمال المتعالى، التى أحبها الدوق أورسينو دون طائل منذ فترة طويلة، وقعت فى حب ذلك التابع (كما كانت تظنه)، سيزاريو المتواضع..!

عندما طلبت فيولا من أوليفيا أن تريها وجهها. قالت لها: "هل لديك أوامر من سيدك بخصوص ذلك؟ ". ثم أزاحت الحجاب جانبا، ناسية أنها قد قررت أن تظل متشحة به لمدة سبع سنوات وقالت: "لكننى سأزيح الستار لأريك الصورة. أنها ليست على ما يرام".

فأجابت فيولا : "إنه جمال حقيقى متناسق؛ فالحمرة والبياض قد وضعته يد الطبيعة على وجهك.. أنت فى منتهى القسوة، حتى تدفعى بهذا الجمال إلى الحزن. وتتركى العالم يحرم منه!"..

فردت أوليفيا : " أوه، يا سيدى، فأنا لست بمثل هذه القسوة.. فالعالم ملىء بالكثير من الجميلات.. أنا لا أختلف عنهن فى شىء، لى شفتان حمراوان، وعينان رماديتان ذات أهداب طويلة، ورقبة واحدة، وذقن واحد، وهكذا.. هل جئت إلى هنا لتمتدحنى؟".

فأجابت فيولا : "أستطيع أن أرى ما أنت عليه، أنت فتاة صاحبة كبرياء، لكنك مخلصة.. إن سيدى اللورد يحبك، حبا لا يقدر بثمن، حتى لو توجت ملكة للجمال، لأن أورسينو يحبك بكل ما فى الحب من عذاب وأنات ورعود وتنهدات من نار!".

فقالت أوليفيا : " إن سيدك يعرف تفكيرى جيدا، فأنا لا أستطيع أن أحبه، رغم أننى لا أشك فى فضائله، فأنا أعرفه نبيلا من أصل كريم، شابا طاهرا دون خطايا.. وكل الناس تقول إنه مثقف، ودود، شجاع.. لكننى لا أستطيع أن أحبه، وأعتقد أنه يعرف ردى منذ مدة طويلة".

فقالت فيولا : "لو أننى كنت أحبك مثل حب سيدى، لكنت أقمت لنفسى خميلة خضراء عند بوابة قصرك، وأظل أناجى اسمك.. لكنت كتبت شعرا فيك، وغنيته فى

هدوء الليالى، حتى يتردد صدى اسمك بين الوديان والجبال، وبين مخلوقات الليل، ويهتف الكل باسم أوليفيا.. أوه؟ إن مكانك ليس على الأرض ولا فى الفضاء.. فأرجو أن ترحمينى!"..

فقالت أوليفيا: "أتقوم بمثل ذلك كثيراً، أين ولدت؟"..

فأجابت فيولا : " بغض النظر عما أملك، فإن حالتى لا بأس بها، أنا مجرد رجل مهذب!"..

قامت أوليفيا بصرفه على غير رغبة منها، وقالت له : " اذهب إلى سيدك، وقل له أنه ليس باستطاعتى أن أحبه.. ولا داعى لأن يرسل المزيد من الرسل، إلا إذا كنت تعود أنت مرة ثانية لتخبرنى كيف تلقى ردى!"..

انصرفت فيولا، وودعت الفتاة بقولها أيتها القاسية المخلصة!.

عندما انصرفت أخذت أوليفيا تردد كلماته، بغض النظر عما أملك، فإن حالتى لا بأس بها، أنا مجرد رجل مهذب !".. ثم قالت بصوت مرتفع: " أقسم أنه كذلك، فكلامه، ووجهه، وجسمه، وحركاته، وروحه، تدل بوضوح على أنه رجل مهذب! ". وتمنت لو أن سيزاريو كان الدوق، وعندما رأت أن قبضة الحب الخاطفة تمكنت من قلبها، أخذت تلوم نفسها على هذا الحب المفاجئ.. لكن اللوم الرقيق الذى يلقيه الناس على أخطائهم لا تكون له جذور عميقة. لكن سرعان ما نسيت أوليفيا النبيلة الثرية الفرق بينها وبين ذلك يبدو وكأنه مجرد تابع..

وتحت تأثير خجلها العذرى الذى يعد زينة لكل فتاة، قررت قبول غزل الشاب سيزاريو. فأرسلت خلفه خادما معه خاتم من الماس ادعى أنه تركه كهدية من أورسينو، وكانت تقصد بذلك أن تجعل الخاتم هدية منها إلى سيزاريو، لتتيح له الفرصة للتعرف إلى خطتها. وتحقق ذلك بالفعل، إذ أخذت فيولا تفكر فى ذلك، لأنها كانت تعلم أن أورسينو لم يرسل أى خاتم لها. ثم بدأت تتذكر كيف كانت نظرات وسلوك أوليفيا حيالها مليئة بالإعجاب.. واكتشفت أن الفتاة التى يحبها سيدها وقعت فى حبه هو..!!

فقالت : " وأسفاه، لتلك الفتاة المسكينة التى تحب سرابا.. كما أن ملابسى على ما أرى ليست بالملابس الفخمة، حتى تجعل أوليفيا تتنهد تنهد العاشق الولهان، مثلما أفعل أنا مع أورسينو!".

عادت فيولا إلى قصر أورسينو، وأخبرت سيدها بفشلها، وكررت عليه طلب أوليفيا بعدم إزعاجها ثانية. لكن الدوق أصر على أن تذهب على أمل أن سيزاريو قد يستطيع إقناعها بأن تتعطف عليه ولو قليلا، لذا طلب منه أن يذهب إليها فى اليوم التالى.

عندما قامت فيولا بزيارتها الثانية لأوليفيا لم تجد صعوبة فى الدخول، فسرعان ما اكتشف الخدم سعادة سيدتهم عندما تتحدث إلى ذلك الرسول الشاب الوسيم، وفى اللحظة التى وصلت فيها فيولا، فتحت البوابات على مصاريعها.. وأدخل رسول الدوق إلى حيث تجلس أوليفيا بكل ترحيب واحترام..

عندما أخبرتها فيولا بأنها جاءت هذه المرة أيضا للتحدث نيابة عن الدوق، قالت أوليفيا: " لقد رجوتك ألا تتحدث عنه مرة ثانية على الإطلاق، لكن إذا تحدثت فى أى شىء آخر فأنا على أتم استعداد لسماعك، أكثر من الموسيقى السماوية! ".

كان ذلك كلاما واضحا ولطيفا، لكن أوليفيا سرعان ما أفصحت عما يجيش به قلبها، بوضوح أكثر، وباحت له بحبها بصراحة.. لكن كان ذلك دون جدوى، إذ سارعت فيولا بالاستئذان فى الانصراف، قائلة أنها لم تأت أبداً للدفاع عن حب أورسينو، وكل ما تستطيع أن تقوله ردا على أوليفيا، بأنها لا يمكن أن تقع فى حب أى امرأة على الاطلاق.

وما أن تخلصت فيولا من أوليفيا، حتى أُلقى عليه حمل يتطلب الكثير من الشجاعة؛ فالدوق الذى رفضته أوليفيا، اتضح له أنها مفتتنة برسوله، وسرعان ما دعاه للمبارزة. لكن ماذا تفعل فيولا المسكينة، فرغم أنها تحمل مظاهر الرجل، إلا أن لها قلب امرأة، وتخشى أن تتطلع إلى سيفها..!!

وعندما رأته متقدما نحوها، شاهرا سيفه، فكرت فى الاعتراف له بأنها امرأة. لكنها أنقذت فجأة من رعبها، ومن عار كشف أمرها، بقدوم شخص غريب كان مارا بالصدفة، خيل إليها أنها تعرفه منذ زمن طويل، وأنه صديق عزيز.

قال للدوق : "إذا كان ذلك الشاب المهذب قد أخطأ فى حقك، فأنا على استعداد لتحمل ذلك الخطأ، وإذا آذيته، فسوف أقاتلك من أجل خاطره!"..

وقبل أن تجد فيولا الفرصة لتشكره، حضر ضباط العدالة، وقبضوا على الغريب باسم الدوق، للتحقيق معه فى خطأ ارتكبه منذ سنوات مضت.

فقال الغريب لفيولا : "كل ذلك بسبب البحث عنك" . ثم طلب منها نقوده، قائلا: "إن حاجتى الملحة الآن، هى التى جعلتنى أطلب منك نقودى، كما أن الذى يحزننى أكثر هو عدم استطاعتى أن أفعل شيئا من أجلك، ولا من أجلى.. أعرف أنك مندهش، لكن اطمئن!"..

أدهشت كلماته فيولا، وقالت له إنها حتى لا تعرفه ولم تأخذ منه نقودا، لكن نظراً لما أبداه الآن من شهامة، فإنها ستعطيه مبلغا صغيرا من المال، هو تقريبا كل ما تملكه، فتفوه الغريب بكلمات فجة، ووصفه بأنه ناكر للجميل وجاحد. وقال: "إن هذا الشاب الذى ترونه أمامكم، قمت بإنقاذه من براثن الموت، ومن أجل خاطره فقط، حضرت إلى اليريا، ووقعت فى هذا المأزق".

لكن الضباط لم يلتفتوا إلى شكواه، واستعجلوه قائلين : " وماذا يهمنا فى ذلك؟"، وبينما كانوا يدفعونه بعيدا نادى على فيولا باسم سباستيان، ووصفه بالناكر للجميل.. عندما سمعت فيولا أنه يناديها باسم سباستيان، أحست أنها قد أخطأت فى حق أخيها: وبدأت تأمل فى أن يكون الشخص الذى أنقذه ذلك الرجل هو أخاها. وبالفعل كان الأمر كذلك..

كان ذلك الرجل الغريب، واسمه أنطونيو، يعمل قبطانا بحريا. والتقط سباستيان إلى مركبه، عندما كان طافيا فوق الصارى الذى ربط نفسه إليه أثناء العاصفة، عندما كاد أن يموت من الارهاق.

كان أنطونيو وسباستيان قد نزلا إلى الشاطئ قبل ساعات من مقابلة أنطونيو لفيولا، وأعطى كل ما ادخره من نقود إلى سباستيان، قائلا له أن يصرف منه بحرية، إذا وجد أى شىء يعجبه، على أن ينتظره هو فى الفندق، بعد أن يتجول ليرى المدينة.

وعندما لم يعد سباستيان فى الموعد المحدد، انطلق أنطونيو للبحث عنه . ولما كانت فيولا لها نفس وجه أخيها وترتدى نفس ملابسه، لذا فقد سحب أنطونيو سيفه دفاعا عن الشاب الذى أنقذه، ولما لم يعرفه سباستيان (كما كان يعتقد هو أن يكون) ولم يرد إليه نقوده، فلا غرابة أن يصفه أنطونيو، بأنه ناكر للجميل.

عندما انصرف أنطونيو، كانت فيولا تخشى أن يدعوها الدوق مرة ثانية للقتال، فتسللت إلى داخل القصر بأقصى ما تستطيع من سرعة . ولم يمض على ذهابها وقت طويل، حتى خيل للدوق أنها عادت، لكنه كان أخوها سباستيان الذى وصل بالصدفة إلى هذا المكان، فقال له الدوق: " والآن، يا سيدى، هل لى أن ألاقيك مرة ثانية؟ هذه لك". وناوله ضربة بسيفه. ولم يكن سباستيان جبانا، فتفادى الضربة، وسحب سيفه...!

ووصلت أوليفيا إلى ذلك المكان، وأوقفت القتال، وطلبت من سباستيان وهى تعتقد أيضا أنه سيزاريو أن يتبعها إلى البيت، وقالت إنها آسفة جدا لأنه هاجمه بوقاحة. ورغم أن سباستيان كان مندهشا لتلك الرقة وذلك العطف الذى تبديه هذه الفتاة، مثلما كان مندهشا من وقاحة ذلك العدو المجهول، إلا أنه ذهب معها إلى منزلها بكل ترحاب. وكانت أوليفيا سعيدة جدا لتجد سيزاريو (كما كانت تظنه) وقد أصبح أكثر مودة ولطفا..!!

لم يعترض سباستيان على كل ذلك التودد الذى أبدته الفتاة نحوه، وأخذ الأمر على محمل طيب، إلا أنه تحير فى كيفية حدوث ذلك، وراودته فكرة بأنها قد لا تكون فى وعيها، لكنه عندما اكتشف أنها ربة بيت لطيفة وتقوم بإلقاء الأوامر لتصريف شئونها، وتتحكم فى بيتها بشكل معقول، وتقع فجأة هكذا فى حبه رغم كل تصرفاتها العاقلة هذه، سمح لها بأن تغازله.

ولما وجدت أوليفيا سيزاريو فى حالة مزاجية طيبة، وخشية منها أن يغير رأيه، اقترحت عليه أن يتزوجا على الفور، طالما أن القسيس موجود فى البيت، فوافق سباستيان، وعندما انتهى حفل الزواج، ترك سيدته لفترة قصيرة، بقصد الذهاب لاخبار صديقه أنطونيو بالفرصة الرائعة التى واتته.

فى نفس الوقت حضر أورسينو لزيارة أوليفيا، وفى اللحظة التى وصل فيها أمام بيت أوليفيا، كان ضباط العدالة قد أحضروا سجينهم أنطونيو أمام الدوق. وكانت فيولا مع سيدها أورسينو، وعندما رآها أنطونيو الذى ما زال يعتقد أنها سباستيان، حتى قال للدوق كيف أنه أنقذ ذلك الشاب من الموت غرقا فى البحر.

وفى تلك الأثناء خرجت أوليفيا من المنزل فلم يعد الدوق يهتم بالإصغاء إلى حكاية أنطونيو، وقال: "ها قد طلعت الكونتيسة، ياللروعة التى حلت على الأرض، أما بالنسبة لكلام هذا الشخص، فهو مجرد هراء".

وأمر بأن ينحى أنطونيو جانبا، وسرعان ما أعطت الكونتيسة الحق للدوق فى اتهام سيزاريو لما أبداه من عصيان لأوامره مثلما فعل أنطونيو، لكن الدوق شعر بأن كل الكلمات التى سمعها من أوليفيا بخصوص سيزاريو كانت تفيض بالعطف، ولما أحس أن تابعه قد حصل على تلك المكانة الكبيرة فى قلب أوليفيا قرر أن يُنزل به أقسى العقاب، وبينما كان على وشك الرحيل، نادى على فيولا أن تتبعه.

وبدا وهو فى قمة غضبه بأنه سيحكم بالموت على فيولا عقابا لها، إلا أن حبها جعلها قوية وشجاعة، وقالت إنه يسعدها أن تقاسى آلام الموت إذا كان ذلك يريح سيدها، على أن أوليفيا لم تكن ترغب فى فقدان زوجها فصاحت قائلة: " إلى أين أنت ذاهب يا سيزاريو؟" فأجابت فيولا: " أنا ذاهب معه، فأنا أحبه أكثر من حياتى" . فصاحت أوليفيا بصوت أعلى معلنة أن سيزاريو هو زوجها، وأرسلت فى استدعاء القسيس، الذى أعلن أنه لم تمض ساعتان على زواجهما على يده.

وعبثا قالت فيولا أنها لم تتزوج أوليفيا، إلا أن تصريحات أوليفيا والقسيس جعلت أورسينو يصدق أن هذا التابع سرق منه الكنز الذى أوقف عليه حياته..!

عندئذ (وكما خيل إليهما) ظهرت معجزة! إذ دخل عليهم سيزاريو آخر. وخاطب أوليفيا على أنها زوجته. كان سيزاريو الجديد هذا هو سباستيان، زوج أوليفيا الحقيقى، وعندما زال أثر اندهاشهم لرؤيتهم شخصين بنفس الوجه، ونفس الصوت، ونفس الملامح والملابس، بدأ الأخ والأخت يتبادلان الأسئلة: لأن فيولا لم تكن مقتنعة أبدا أن أخاها ما زال على قيد الحياة، وكذلك سباستيان الذى كان يعتقد أن أخته عرفت، لا يدرى السبب فى ارتدائها لملابس الرجال. وأخيرا قالت فيولا، إنها فيولا الحقيقية، وإنها أخته!.

عندما انكشفت كل الأخطاء، ضحك الجميع على الفتاة أوليفيا، لذلك الخطأ المضحك، بوقوعها فى حب فتاة.. ولم تبد أوليفيا أى اعتراض على ذلك التغيير، عندما اكتشفت أنها زُوجت إلى الأخ بدلا من الأخت!

وانتهت آمال أورسينو إلى الأبد فى الزواج من أوليفيا، وتركزت كل آماله، وفشله، وأفكاره على تابعه المخلص سيزاريو. فنظر إلى فيولا باهتمام شديد. وتذكر كم كان فى جمال سيزاريو، وانتهى إلى أنها ستكون أكثر جمالا فى ملابس النساء. وتذكر كذلك أنها كانت تقول فى أغلب الأوقات أنها أحبته.. ذلك الكلام الذى بدا وقتها وكأنه مجرد مجاملة من تابع مخلص!

لكنه الآن اكتشف أن ذلك الكلام كان يحمل أكثر من معنى، وأن الكثير من كلماتها اللطيفة، التى كانت كاللغز بالنسبة له، أصبحت الآن واضحة تماما، فقرر أن تكون فيولا زوجته!

وقال لها (وما زال لا يستطيع مناداتها إلا بسيزاريو أو يا ولد) : " اسمع يا ولد، لقد قلت لى آلاف المرات، بأنك لن تحب أبدا امرأة محببة إلى، ونظرا لخدماتك المخلصة التى قمت بها من أجلى، ستصبح الآن سيدة سيدك، ودوقة أورسينو الحقيقية!"..

ولما رأت أوليفيا أن أورسينو يبدى لفيولا حبا أكثر من الذى رفضته هى دعتهم للدخول إلى منزلها، وطلبت معاونة القسيس الطيب، الذى قام بتزويجها من سباستيان فى الصباح، أن يقوم بتزويج أورسينو وفيولا فى المساء.

وهكذا تم زفاف التوأمين الأخ والأخت فى نفس اليوم، وأصبحت العاصفة وحطام السفينة، السبب فيما وصلا إليه من مكانة رفيعة وثراء بعد أن فرقت بينهما، لقد أصبحت فيولا زوجة لأورسينو، دوق اليريا، وسباستيان زوجا للكونتيسة النبيلة الثرية أوليفيا..!!.

تيمون الأثينى

كان اللورد تيمون حاكم أثينا، يتسم بروح مرحة إلى أقصى حد، أثناء الحفلات التى كان يقيمها فى قصره، ويمتلك ثروة لا حد لها لا يمكن أن تنضب، لكنه كان يغدق بغزاره على كل الطبقات المختلفة من الناس. لم يكن الفقراء فقط الذين ينالهم سخاؤه وكرمه، بل كان بعض اللوردات العظام لا يترفعون عن التقليل من شأنهم لنيل كرمه وسخائه، شأنهم شأن الأتباع والمعاونين. كانت مائدته تزخر بكل أطايب الطعام الفاخرة، وقصره مفتوح لكل من يريد الدخول والخروج من مواطنى أثينا. كانت ثروته الضخمة تتناسب مع طبيعته المتحررة المسرفة، لجذب كل القلوب لمحبته؟، وكان الرجال بنوعياتهم المختلفة يتوددون العرض منتجاتهم على اللورد تيمون، بدءًا من المرايا الخادعة التى تعكس الوجه فيبدو بشكل مضحك، وصولاً إلى مرايا أخرى تظهر الوجه بشكل مرعب ومخيف، وكذلك أشياء أخرى تافهة لا أهمية لها، إلا أنه لم يكن يستطيع مُقاومة طبيعته السخية وكرمه، ولا يرد أحدا، فقد (طبع على ذلك) مما كان يُسعده، ويعود الواحد منهم وهو أكثر ثراء فى تقديره، لو أنه تلقى إيماءة أو تحية من تيمون.

ولو أن شاعراً كتب ديوانا ويرغب فى تزكية أو تقدير لعمله، فما عليه إلا أن يهديه إلى اللورد تيمون، وبذلك يضمن بيعه. إضافة إلى جائزة مالية من قبل الدوق، ودعوة مفتوحة لدخول القصر، وإستضافته على موائد طعامه. ولو أن رساماً لديه لوحة يود بيعها فما عليه إلا أن يعرضها على اللورد تيمون، ويدعى أنه يريد رأيه فيها ؛ ولا يقصد أن يقنع اللورد الطيب بشرائها . وإذا كان هناك صائغ لديه أحجار ثمينة، أو بائع أقمشة لديه أقمشة نفيسة، أسعارها غالية وراكدة بسبب ذلك، فإن قصر تيمون أصبح بمثابة سوق مفتوحة وجاهزة دائما، حيث يستطيعون التخلص من بضائعهم أو جواهرهم بأى سعر، ويقوم اللورد بشكرهم على هذه الصفقة لأنهم خصوه بها، كما لو

أنهم سمحوا له بحقه فى رفض هذه البضائع الثمينة. وهكذا ومن خلال هذه الأحابيل أصبح قصره محتشداً بهذه المشتروات الزائدة عن الحد، ولا فائدة منها، وتكدس لمجرد التباهى والتفاخر. لكنه كان شخصيًا لا يزال رغم ذلك الوضع غير الملائم والمزعج، يسعد بلقاء هؤلاء الزوار التافهين، الشعراء الكذابين، والرسامين، والتجار المحتالين، واللوردات، والسيدات، والأتباع المعوزين، المشتاقين لهداياه، الذين يملأوون أروقة القصر بصفة دائمة، ويمطرون أذنيه بمديحهم الذى يبعث على الغثيان، ويقدمون له قرابين من التزلف والتملق كما لو أنه إله ويقدسون كل حركة من حركاته حتى لو كانت مجرد وضع قدمه فى ركاب الحصان، ويتظاهرون كما لو أنهم يتنفسون الهواء الحر بإذنه وكرمه.

بعض هؤلاء الأتباع المواظبين على الحضور يوميًا كانوا من الشباب، الذين (كانت إمكانياتهم لا تتناسب مع مظاهر الإسراف والتبذير) فاحتجزوه فى السجن بسبب ديونهم، وتم إطلاق سراحهم بواسطة اللورد تيمون. ومنذ ذلك الحين وثق هؤلاء المبذرون صلتهم باللورد، ويبدو أنه إزاء التعاطف الوجدانى المشترك بينهم أصبح اللورد مغرما بكل أولئك المبذرين المنحلين، الذين لم يكن فى استطاعتهم مجارته فى غناه وإسرافه، فوجدوا أن أسهل شىء أن يقلدوه فى إسرافه بانفاق ما لا يملكونه. أحد هؤلاء الذباب من مصاصى الدماء واسمه فنتديوس عقد اتفاقا ما غير شريف معه، وأضطر اللورد مؤخرا أن يدفع مبلغًا قدره خمسة (تالنت).(*)

لم يكن ضمن هذا الحشد، وهذا الطوفان من الزوار، شخصيات بارزة، سوى صانعى الهدايا.. ويا لسعادة هؤلاء الرجال لو أن تيمون أبدى إعجابًا بكلب أو حصان، أو أى قطعة أثاث، فإن هذا الشىء سرعان ما كان يرسل إليه فوراً صباح اليوم التالى، مشفوعا بالرجاء أن يقبله اللورد تيمون، مع الاعتذار بتواضع قيمة الهدية؛ هذا

(*) التالنت وزنه كبيره من الذهب توضع فى صره ، المترجم

الكلب أو الحصان، أو مهما يكن، وينجح فى الحصول على هبة من تيمون، حتى ولم يكن مهتما بمثل هذه الهدايا، التى بلغ عددها عشرين كلبا وحصانا، ويعلم أصحابها تمامًا أنها لا تساوى شيئًا، إلا أن تلك الهدايا الرخيصة، كانت تدر عليهم أموالاً طائلة وفائدة سريعة. بنفس الأسلوب أرسل اللورد لوشيوس مؤخرًا هدية إلى تيمون، أربعة أحصنة فى بياض اللبن، ذات أسرجة موشاة بالفضة، لأن هذا اللورد الماكر لاحظ أن تيمون أبدى إعجابا بها فى إحدى المناسبات. وهناك لورد آخر يدعى لوشلاس، أهدى تيمون بنفس الأسلوب كلبين رمادين من كلاب الحراسة، مدعيا سماعه أن اللورد أبدى إعجابه بها . كان اللورد الطيب القلب يقبل هذه الهدايا بحسن نية، دون أى قصد غير شريف فيمن يقدمون الهدايا: وبالطبع كان يكافئهم بهدايا ثمينة، قطع من الألماظ، أو بعض الجواهر، تفوق عشرين مرة قيمة هداياهم الرخيصة.

بعض هؤلاء الناس كانوا يلتزمون فى تعاملهم معه بشكل مستقيم. أما الأغلبية فكانوا يتعاملون بالخداع، وكان تيمون يسارع بتصديقهم ويقومون بامتداح أى شىء يمتلكه تيمون، صفقة اشتراها، أو بعض الأشياء الأخرى، وهم على يقين بأنه لابد وأن يتخلى عن هذه الأشياء وبالتالى يقوم اللورد الطيب القلب بإهدائها لهم، دون مقابل خدمى، لأنها مجرد أشياء بسيطة، ذات سعر رخيص. بهذا الأسلوب قام تيمون ذات يوم بإعطاء أحد هؤلاء اللوردات حصانا سريعا، ركبه هو، لمجرد أن سموه سعد كثيراً لقول اللورد إنه حصان مليح وسريع، وكان تيمون يعلم بأنه ليس هناك أحد على الإطلاق يمتدح بصدق أى شىء يرغب فى امتلاكه. ولأن اللورد تيمون كان يقيم مشاعر أصدقائه بنفسه، وسعيد بكونه معطاءً وكريمًا، وباستطاعته بالتالى أن يوزع مُلكه على أصدقاءه، دون أن يرهقه ذلك على الإطلاق.

لم تكن كل ثروة تيمون تنُفق كلها على هذه الإطراءات والتملق السخيف، فقد كان يقوم بأفعال نبيلة تستحق التقدير والثناء، فعندما أحب أحد خدمه ابنة رجل أثينى ثرى، لكنه لم يكن يأمل فى الفوز بها، بسبب ارتفاع مستواها الطبقى وثروتها عن مستواه، فوهبه اللود تيمون دون أن يطلب، مبلغًا يساوى مبلغ الدوطة التى سيقدمها

الأب لابنته، حتى يتمكن من زواجها. لكن الأمر المهم فى الموضوع أن الطفليين الذين يرتادون موائده كانت لهم السيطرة على ثروته، هؤلاء الأصدقاء المزيفون الذى لم يكن يعلم أنهم كذلك، إحتشدوا حوله، فإعتقد أنهم يحبونه، لأنهم كانوا يطرونه على الدوام ويبستمون له، فتصور حقيقة أن سلوكه معهم يتسم بالتعقل والحكمة. وعندما كانوا يجلسون على مائدته، وخلال إطرائه وتملقه من قبل هؤلاء الأصدقاء المازحين، كانوا فى الحقيقة يبددون ثروته ويستنزفونها: حيث كانت تستهلك كميات من أغلى أنواع الخمور يقومون بشربها فى صحته وكرمه، ولم يكن فى استطاعته أن يدرك الفرق بين كونهم أصدقاء، أم مداهنون متملقون، لكنه وللغشاوة التى تكسو عينيه (كان يتباهى بهذه الصحبة) ويشعر بالارتياح لوجود الكثير من هؤلاء وكأنهم أخوة له، يقومون بتصريف شئون ثروة صديق آخر (رغم أنه يدفع كل التكاليف من ثروته) أثناء هذه الجلسات المرحة التى تبدو له جلسات مبهجة حقًا وأخوية وودية.

لكنه أثناء مواصلته لذلك، كان الرجل الطيب القلب للغاية، الذى يقدم العطايا والهبات، وكأن "بولتيس" إلاه الثروة، قد أصبح بمثابة مدير أعماله وهو يواصل إنفاقه دون وعى ودون توقف، ودون إدراك بمدى الإنفاق للدرجة التى يستطيع أن يحافظ على ثروته، ومتى يتوقف عن ذلك الإسراف الأهوج، ويدرك أن ثروته ليست أبديه، ولابد أن تتبدد إزاء إسرافه الذى لا حدود له. لكن من الذى يستطيع أن يقول له ذلك؟ الذين يقومون باطرائه؟ فمصلحتهم فى إغلاق عينيه. وعبثا حاول المشرف على القصر المخلص له أن يشرح له موقفه، واضعا كشف حساباته أمامه، راجيا إياه ومتوسلاً إليه بإلحاح، ومتسائلا هل كان فى أى وقت قليل الكياسة كخادم أمين فى التعامل معه، وتضرع إليه والدموع فى عينيه أن يلتفت إلى شئون الدوقية. لكن تيمون أعرض عنه وحول الحديث إلى موضوع آخر، لعدم رغبته فى الاستماع معترضا، لعدم تصديقه أن الأثريا يمكن أن يصبحوا فقراء، ولا يتخيل أن يكون هو فى ذلك الوضع، فهذا أمر مشكوك فيه بالنسبة لوضعه الحالى، ومن الصعب أن يتصور أن يقوم بسداد ديونه لاستعادة ممتلكاته. كان هذا الخادم الأمين، عندما يرى كل حجرات قصر تيمون تحتشد بهؤلاء المفسدين، يأكلون على حساب سيده، ويرى الأرضيات تنساب عليها

الخمور، وكل حجرة تتوهج بالأنوار وأصداء الموسيقى وصخب المرح، عند ذلك كان ينأى بنفسه إلى مكان منعزل، ويبكى بدموع سيالة، أكثر مما يسيل من براميل النبيذ على الأرض، وهو يرى جنون اللورد بالعطاء والكرم، ثم أخذ يفكر، ماذا يحدث عندما تتلاشى ثروته، التى تجلب له المديح من كل الطبقات، فبالتالى سوف تتوقف كلمات المديح والثناء، لأن التملق والإطراء على موائد الطعام يتلاشى أثناء الصيام، فبمجرد ظهور سحابة ممطرة تختفى هذه الحشرات.

لكن، حان الوقت بألا يصم تيمون أذنيه أكثر من ذلك لسماع أحاديث المشرف القصر المخلص. فقال لابد أن يكون لدينا نقوده وأمر فلافيوس ببيع جزء من أرضه لهذا الغرض، فأخبره فلافيوس، بأنه بذل معه كل ما فى وسعه عبثًا، عدة مرات من قبل حتى يصغى إليه، لأن معظم أملاكه بيعت بالفعل أو مرهونة، وأن كل ما يمتلكه الآن لا يكفى لسد نصف الدين. صدمته المفاجأة، فأجاب تيمون بسرعة: " إن أرضى تمتد من أثينا حتى لاسدمون". فقال فلافيوس: " يا سيدى اللورد، مهما كانت مساحة الأرض، فالأرض لها حدود. كانت كلها لك وبددتها فى لحظة، وسرعان ما ضاعت!.

أخذ تيمون يواسى نفسه ويعزيها: لأن أحد من هؤلاء الأنذال لم يحضر لمساعدته رغم أنه ضيع ثروته عليهم دون تعقل، ولم يكن ينتظر ردًا للجميل، فكل ما قدمه لهم كان للتسرية عن أصدقائه؛ وطلب من خادمه الطيب القلب أن يهدأ مؤكدا له لن يعدم وسيلة، خاصة أن لديه العديد من أصدقائه النبلاء.

اقتنع هذا اللورد الواثق من نفسه، بأن ليس أمامه من شىء يفعله سوى أن يقترض منهم ويستفيد من ثرواتهم إزاء الضرورة الملحة، كما اعتقد. وبنظرة مبتهجة، وبكل ثقة بنجاح المحاولة، أرسل رسلاً منفردة لكل من اللورد لوشيوس، واللورد لوشيولاس واللورد سميروينوس، هؤلاء الرجال الذين أغدق عليهم بهداياه منذ فترة مضت، بدون حساب، كما أرسل إلى فنتديوس الذى أخرجه من السجن وسدد ديونه، والذى بعد وفاة والده، أصبح الآن يمتلك ثروة كبيرة، وباستطاعته رد جميل تيمون؛ وطلب من فنتديوس أن يرد له مبلغ الخمس "تالنتات" التى دفعها له.

كـان لوشيـولاس أول من طُرق بابـه. وكان يحلم طوال الليل بأوانـى وكئـوس من الفضة، وعندما أُعلن عن وصول خادم تيمون، صور له خياله أن ذلك بالتأكيد جزء من حلمه، وأن تيمون بعث إليه بهدية ما. لكنه عندما أدرك حقيقة الأمر، وأن تيمون يطلب نقوداً، تبدت حقيقة مشاعر الصداقة الواهية، وكشفت عن حقيقتها، وأقسم للخادم بأنه كثيراً ما اعترض على ما كان يلاحظه من تدهور شئون سيده، وفى المرات العديدة التى كان يحضر فيها للعشاء حاول أن يخبره بحقيقة الوضع، ثم عندما حضر ثانية للعشاء حاول أن يقنعه بتقليل نفقاته، لكنه لم يأخذ بنصيحتى ولا تحذيرى عند حضورى، وإحقاقاً للحق فقد كنت ضيفا دائماً (كما قال) على موائد تيمون، وطالما نالته عطاياه العظيمة، رغم أنه لم يكن يحضر لهذا القصد، أو ليقدم له نصيحة طيبة، أو يوجه اللوم لتيمون، فهذا محض كذب، وانتهى اللقاء بأن أعطى للخادم رشوه ويعود إلى سيده ويقول له أنه لم يجد لوشيولاس فى البيت.

أما الرسول الذى ذهب إلى اللورد لوشيوس فلم يحقق نجاحاً، يذكر أيضا هذا اللورد البدين، المكتنز بلحم تيمون، ودائماً ما كان يحصل على هدايا تيمون الغالية الثمن، عندما اكشف أن اتجاه الريح قد تغير، وتوقفت نافورة الهدايا فجأة، لم يصدق ذلك فى البداية، لكنه عندما تأكد من ذلك، أبدى أسفاً شديداً لعدم قدرته لخدمة اللورد تيمون، فلسوء الحظ (وكان ذلك كذبا) أنه أتم صفقة كبيرة بالأمس، استنفدت كل أمواله، ولا يستطيع المساعدة فى الوقت الحالى، وأن ما يحط من شأنه حقا (كما قال)، هو عدم قدرته لخدمة صديق عزيز، واعتبر أن عدم قدرته وفشله فى إسعاد شخصية نبيلة سامية، بمثابة مأساة فظيعة.

إن من يطلق صفة صديق على من شاركة طعاماً فى طبقه، مخطئ ولا شك لأن معدنه خسيس مبنى على التملق والنفاق. هكذا كان يتذكر تيمون كل هؤلاء، فقد كان بمثابة الأب لذلك الليثيوس، فقد سدد ديونه بأمواله، وكانت نقود تيمون تذهب لدفع أجور خدمه، وأجور العمال الذين قاموا ببناء بيت جميل له، كان لوشيوس يتباهى به ويمثل أهمية له؛ ويا للسلوك الدنىء الذى يسلكه الشخص عندما يثبت نكرانه للجميل!.

فقد أنكر لوشيوس أنه مدين لتيمون، متناسياً أن تيمون أعطاه له، على استحياء يقل عن الطريقة التى نهب بها نقودا للشحاذين.

أما سمبرونيس، وكل هؤلاء المرتزقة من اللوردات الذين طلب منهم تيمون العون بعد ذلك، فقد لجاؤا إلى المراوغة، أو الإنكار المباشر، حتى فنتديوس، الذى سدد ديونه، وأصبح الآن الثرى فنتديوس، رفض منحه قرضا بخمس (تالتات) التى لم يقرضها له، بل أعطاها بكل كرم للإفراج عن الحجز على ممتلكاته.

تجنب الجميع تيمون الآن بشكل واضح فى حالة فقره، على عكس ما كان الحال عليه أثناء ثرائه، حيث كان القصر يحتشد بالمترددين عليه. والألسنة التى كانت تمتدحه بصوت عال وتطريه بإفراط، لكرمه وتحرره، وأنه صاحب يد سخية، لم تكن تخجل من لومه، وتصف سخاءه الزائد وتحرره بالحماقة. ذلك أن السخاء مثل الإسراف حماقة فى حد ذاته، دون مبرر، الذى تمثل فى عطائه لأناس تافهين. أصبح قصر تيمون مهجوراً، ومكانا مكروها، ومجرد مكان يمر الناس من أمامه، ولم يعد مثل ما كان عليه، حيث كان يتحتم على المارة أن يتوقفوا ويتذوقوا ما كان يقدم لهم من نبيذ ويتلقون تحية طيبة، وبدلاً من أن يكون متكظا بالولائم وصخب الضيوف، أصبح يضج بجلبة الدائنين الغاضبين والمرابين، المطالبين بحقوقهم بشراسة وبطريقة لا تحتمل، ومعهم مستنداتهم وما عليها من فوائد، ووثائق الرهونات والحجوزات. رجال قلوبهم قاسية لا يقبلون رجاءً أو الكف عن مطالبهم، حتى أصبح قصر تيمون بمثابة سجن له، لا يستطيع التحرك فيه أو يخرج إليهم. أحدهم طالبه بخمس (تالنتات) دينا له، وآخر قدم إيصالاً بخمسة آلاف كراون حتى لو أحصى دمه نقطة نقطة ليدفع لهم بهذه الطريقة، فلن يكون فى جسده من الدم ما يكفى لسد دينه، نقطة نقطة.

فى خضم هذه الحالة العصبية اليائسة، (كما بدت) لأحواله، أصيبت عيون كل الرجال بدهشة فجأة إزاء بريق جديد لا يصدق تبثه الشمس الغاربة. فقد أعلن اللورد تيمون عن وليمة دعا إليها ضيوفه المعتادين، من اللوردات والسيدات، وكل أولئك ممن ينتمون إلى الطبقات الراقية فى المجتمع. حضر اللوردات، لاشيوس، ولاشيولاس.

وفنتديوس، سيمورنيوس وكل الباقين، الذين شعروا لحظتها بالندم الشديد أكثر من توددهم الدنيئ، عندما اكتشفوا (كما ظنوا) أن فقر تيمون لم يكن سوى ادعاء لاختبار محبتهم وليثبت لهم أنهم لم يستطيعوا اكتشاف زيفهم فى الوقت المناسب، وحصلوا على رصيد رخيص بسبب التضييق على اللورد، إلا أنهم سعدوا جداً بعودة نافورة الهبات النبيلة، وكانوا قد اعتقدوا أنها جفت؛ وما زالت متدفقة. جاؤا وهم يتظاهرون بالنفاق، ويعبرون عن مدى أسفهم وخجلهم . لأن اللورد عندما دعاهم، فلا شك أنهم كانوا فى منتهى السعادة، وتصوروا أنه يريد أن ينتهز الفرصة، لاتهامهم بالضغط عليه واحراجه. لكن تيمون طلب منهم أن يكفوا عن هذه الأفكار التافهة، لأنه نسى كل شيء. إلا أن أولئك اللوردات الأدنياء المتملقون رغم أنهم رفضوا إقراضه النقود فى محنته، لم يستطيعوا أن يرفضوا وجودهم فى هذا المكان المتوهج من جديد، الذى عاود إزدهاره. حتى الطيور لن تكون أكثر رغبة فى التقاط الحبوب صيفا، أكثر من هؤلاء الرجال أصحاب الثروات رغبة فى امتلاك المزيد منها، وليست على استعداد للتخلى عن ذلك حتى فى موسم الشتاء، مثلما تفعل الطيور وتنكمش لأول بادرة لعودة الشتاء. ومع صوت الموسيقى واعداد المائدة ووضع الأطباق والأوانى التى تتصاعد منها الأبخرة، أبدى الضيوف بعض التساؤلات عن كيفية تغطية تيمون المفلس لتكاليف هذه الوليمة، شك البعض فى أن يكون المشهد الذى يرونه حقيقى، ولا يصدقون أعينهم؛ وعند إشارة معينة، رُفعت أغطية الأوانى، واتضح مقصد تيمون، فبدلاً من تلك النوعيات اللذيذة، التى يتوقعونها، ذات الذوق الرفيع والمتميز، التى كانت تزخر به موائده فى الماضى، وتقدم بوفرة شديدة، تبدى ما أعده تيمون من طعام يتوافق مع فقره، ولم يكن سوى سمك مدخن وحساء فاتر، وليمة تتناسب وأفواه أصدقائه، الذين كانت حرفتهم لا شيء، وقلوبهم فاترة وزلقة، مثل الحساء الذى رحب به بضيوفه وأدهشهم، وطلب منهم أن "يرفعوا الغطاء عن لحم الكلاب، ويلعقونها" وقبل أن يفيقوا من ذهولهم والغموض يكسو وجوهم، رموا الأطباق خلفهم وشرعوا فى الجرى فى عجالة، اللوردات والسيدات، وقد تطايرت قباعتهم أثناء تدافعهم بغضب وضيق شديد، وتيمون يلاحقهم وينعتهم بصفاتهم السيئة " أيها المتطفلون المتملقون، الهدامون

المخربون تحت قناع اللطف والمجاملة، أيها الذئاب الغادرة، أيها الدببة الخنوعة، المحتالون من أجل الثروة، أصدقاء الولائم، أيتها الحشرات". كانوا يتدافعون إلى الخارج ليتفادوه، وغادروا القصر بطواعية أكثر مما كانوا عندما دخلوا القصر. فقد بعضهم عباءاته، وقبعاته والبعض الآخر فقد مجوهراته أثناء اندفاعهم، وكلهم سعادة بالفرار من صحبة هذا اللورد المجنون ومن مائدته السخيفة الساخرة.

كانت هذه آخر وليمة أقامها تيمون، وبعدها قرر أن يقول وداعًا لأثينا ورجالها، واتجه إلى الغابة، مديراً ظهره لهذه المدينة الكريهة ولكل الجنس البشرى، متمنيا أن تنهار جدران هذه المدينة البغيضة وتتهاوى بيوتها على أصحابها . وأن تصيبهم وتبتليهم الأوبئة والفقر والأمراض، وتتمكن من كل السكان، راجيا عدالة الآلهة أن تبيد كل الآثنيين، صغاراً وكباراً، فقراء وأغنياء، وهكذا ذهب إلى الغابة، حيث قال، ربما يجد الحيوانات المفترسة أكثر عطفاً من البشر. خلع ملابسه وأصبح عريانا، لأنه لا يريد إرتداء ملابس تخص الرجال. ووجد كهفا ليعيش فيه، وعاش منعزلاً، وكأنه أحد الحيوانات المفترسة، التى تعد أقل ضرراً من ضرر الأصدقاء.

يا له من تبدل أصاب اللورد تيمون الثرى، تيمون المرح المبتهج، ليصبح تيمون العريان، تيمون الكارهة لصنف الرجال! أين متملقوه الآن؟ أين أتباعه وحاشيته هل أصبحت الريح العاصفة هى خادمته والمسئولة عن مكان نومه وتدفئته؟ هل أصبحت هذه الأشجار الجامدة التى عمرت أكثر من النسور، أكثر حيوية وتقوم على خدمته وتلبى ما يطلبه منها؟ هل جدول الماء البارد، عندما يتجمد فى الشتاء، يساعده بتقديم حساءه الساخن، إذا أصيب بالتخمة بعد أكلة دسمة ليلا؟ أو تقوم هذه المخلوقات البرية التى تعيش فى الغابة بتقبيل يده وامتداحه؟ .

ذات يوم بينما كان يحفر الأرض بحثًا عن جذور النباتات، غذاءه الفقير الذى يأكله، أصطدمت فأسه بشىء ثقيل، تبين أنه صرة من الذهب، كمية كبيرة من المحتمل أن يكون أحد البخلاء قد دفنها هنا فى فترة قليلة، على أن يعود ثانية ويخرجها من مخبئها، لكنه مات قبل أن تحين الفرصة. ولم يخبر أى أحد بالمكان الذى أخفاها فيه،

وهكذا بقيت تحت الأرض، لا تفعل شيئًا ضاراً أو نافعا ظلت حشايا الأرض أمها، ولم تتحرك من ذلك المكان، حتى حانت ضربة فأس تيمون، وأخرجها ثانية إلى النور.

عثر تيمون على كنز كبير، ولو أنه استعاد عقله لكان، هذا الذهب كافيا لشراء أصدقائه ليمتدحوه ويتملقوه ثانية، لكن تيمون كان قد سئم ومل من العالم الزائف. كان منظر الذهاب يؤذى عينيه، وكم كان يود أن يعيده إلى التراب، وفكر في كل الكوارث اللانهائية التى تحدث للبشر بسبب الذهب، وكيف أن أرباحه تسببت في وجود المرتشين وانتشار الظلم وعدم العدالة والعنف والقتل بين الناس، وتذكر بسعادة (كراهيته المتأصلة التى يحملها للنقود) وأن ذلك الكوم من الذهب، الذى عثر عليه أثناء الحفر، من الممكن أن يتسبب في الكثير من الأذى والكوارث للجنس البشرى .

حدث أن بعض الجنود كانوا يمرون في الغابة بالقرب من كهفه في تلك اللحظة، وتبين أنهم جزء من كتائب القائد الآثيني ألكبيادس الذى قام بالتحرك على رأس الجيش نظراً لبعض الإهانات التي وجهت لأعضاء البرلمان. (الأمر الذى لم يحدث من قبل الآثنيين تجاه قوادهم وأصدقائهم الأفاضل) هذا الجيش المنتصر الذى كان تيمون قائداً له، أثناء الدفاع عن أثينا ضد حرب شنت عليها، ولما كان تيمون معجبًا بأداء رجال جيشه الطيب، قام بوضع الذهب أمام القائد ليدفع رواتب الجنود، ولم يطلب منه سوى خدمة واحدة يقوم بها جيشه المظفر وهى أن يقوم بالحط من شأن الآثنين وحرقهم وذبحهم وقتل كل مواطنيها ولا يستثنى العجائز ذوى اللحى البيضاء، لأنه (قال) إنهم مرابون، وكذلك الشباب الصغير ذو الابتسامات البريئة (لأنهم كما قال) سيعيشون، وعندما يكبرون، يصبحون خونة، وطلب منه أيضا أن يغمض عينيه ويصم أذنيه، أمام أى مشهد أو عويل يثير شفقته، ولا يسمح لبكاء العذارى والأطفال أو الأمهات لمنعه من تنفيذ مذبحة عالمية فى المدينة، ويدحضهم جميعا ويخضعهم لسيادته، وعندما يتم النصر، يتضرع إلى الآلهة أن تهلكه هو أيضًا، هكذا عبر تيمون عن كراهيته الشديدة لأثينا والأثينين وكل البشر.

بينما كان تيمون يعيش منعزلاً، يعانى من حياة أقرب لحياة حيوان مفترس منه كإنسان، فوجئ ذات يوم بظهور رجل يقف فى وضع عجيب، عند مدخل الكهف. كان ذلك فلافيوس الخادم الأمين الذى يحبه وعبر له عن مشاعره الطيبة لسيده، وآل على نفسه أن ينقذه من تلك الحياة التعسة فى هذا المكان، وعرض عليه أن يقوم بخدمته وللوهلة الأولى التى رأى فيها تيمون النبيل، كان فى حالة مزريه، عارياً كما ولدته أمه، يعيش كالحيوانات المتوحشة، وحشًا بين الوحوش، وبدى حطامًا حزينا، وأثرًا باقيا مضمحلا، تأثر الخادم الطيب لحال سيده، لدرجة أنه وقف صامتا يعتريه الرعب والارتباك. وأخيراً عندما واتته قدرته على الكلام صدم صدمة شديدة وانهمرت دموعه، لأن تيمون حاول جاهداً أن يتعرف عليه، أو يستنتج، من هو ذلك الشخص الذى جاء إلى هنا ويختلف عما يعرفه عن مشاعر البشر، ليعرض عليه القيام بخدمته فى محنته، ولكونه فى هيئة رجل فقد تشكك تيمون فى أن يكون أحد الخونة. فانهالت دموعه لهذا الخداع، لكن الخادم المخلص، استشهد بعدة أمارات تؤكد له أنه صادق فى إخلاصه، وأوضح له أن حبه وإخلاصه أوحيا إليه، أن يقوم بواجبه تجاه سيده العزيز، هو الذى جاء به إلى هنا، حتى أضطر تيمون للاعتراف بأن العالم يضم رجالا شرفاء، لكن لكونهم على هيئة بشر (رجال) فلم يكن باستطاعة تيمون إلا أن ينظر إلى وجه الرجل باشمئزاز وغضب، أو حتى يستمع إلى كلمات تصدر من بين شفتى رجل إلا وهو كاره لها. وهكذا أخيراً أجبر الرجل الأمين الوحيد على الرحيل، لأنه رجل رغم أنه صاحب قلب رحيم وعطوف، أكثر من أى رجل، فإنه يحمل مقْتَ وبغض الرجل، على ملامحه الخارجية.

إلا أن هذه الزيارة النبيلة التى قام بها خادمه المسكين التى كان الغرض منها إخراج تيمون من عزلته وحياته المقفره الهمجية، لم تؤت بثمارها، حتى جاء اليوم الذى قام فيه لوردات أثينا الناكرون للجميل، بالندم والتكفير عما قاموا به من ظلم ضد تيمون النبيل، لأن ألكيبيادس وكأنه ذكر خنزير هائج، قام بهدم كل أسوار المدينة، وتحت الحصار الشديد، هدد بدفن أثينا تحت التراب. وطافت بأذهانهم ذكرى اللورد السابق وشجاعته وسلوكه العسكرى، لأن تيمون كان قائدهم فى الماضى، وجندياً

شجاعًا صاحب خبرة، وكان دون الآثنين على ثقة تامة فى التغلب على كل المصاعب ويسعى إلى النجاح، ويستطيع أن يصد أى هجوم يهددهم، وبالتالى يتصدى للهجمة الشرسة التى قام بها ألكيبيادس.

انتهت مناقشات أعضاء البرلمان بأن الإنقاذ، ينحصر فى ترقب عودة تيمون، فذهبوا إليه فى محنتهم، فى حين عندما كان هو فى محنته، تخلوا عنه وأبدوا عدم الاحترام. ذهبوا إليه وهم يعتمدون على سماحته وفضله وكرمه، الذين تمردوا عليه وأنكروه من قبل، وقدموا له رجاء بالعودة آسفين لما بدى منهم من عدم احترام.

تضرعوا إليه بجدية، وتوسلوا إليه بدموعهم، أن يعود لإنقاذ المدينة، اعتذروا عن موقفهم الناكر للجميل، الذى اتخذوه تجاه، وعرضوا عليه إمداده بالمال والقوة والمنصب الرفيع، إرضاء لآلام الماضى وتقديراً لنبله وحبه الجميع، وحب الجماهير له. وحبهم شخصيا، وعرضوا ثرواتهم لتكون تحت أمره، لو أنه قرر العودة إليهم وانقاذهم. لكن تيمون العريان، تيمون الكاره للرجال، تيمون الذى لم يعد اللورد، ولا الشخص الكريم، زهرة الشجاعة، حِصنُ دفاعهم عند الحرب، مفخرة السلام، قال لهم، "لو أن ألكبيادس قتل رجالكم، فلن أهتم، ولو أنه نهب أثينا وذبح رجالها العجائز والأطفال، فسأبتهج" هكذا كان رده، ثم أضاف : " أنه لا توجد لديه سكين حادة ليهديها للمعسكر المهاجم ليضعوها على رقاب الاثنتين".

كانت تلك هى الإجابة الكاملة التى تعطف بها على النواب الذين خاب أملهم فى سعاهم، وعندما غادروا المكان طلب منهم أن يمتدحوه عند رجال الدولة ويقولوا لهم، لكى يخففوا عنهم حزنهم وقلقهم، أن يعوقوا نتائج غضب ألكبياوس الشرس، وأنه لم يعد لديه سبيل آخر يود أن ينصحهم به، لأنه يحمل الكثير من المشاعر لرجال الدولة الأعزاء، تجعله يتعاطف معهم قبل موته. هذه الكلمات القليلة جعلت النواب يأملون بأن يكون اللورد قد استعاد عطفه على مدينتهم بعد ذلك قال لهم تيمون، إن لديه شجرة نمت بجوار الكهف وحان الوقت لقطعها، وهو يدعو كل أصدقائه فى أثينا من كل الفئات أو من أى مستوى، والذين يودون تجنب الأسى والحزن للحضور وتذوق ثمار

هذه الشجرة، قبل أن يقطعها وكان "يقصد"، أن يحضروا لشنق أنفسهم عليها، وينهوا أحزانهم بهذه الطريقة.

كانت هذه آخر كلماته، ومن بين كل العطايا والهبات النبيلة التي قدمها تيمون للبشر، وحتى آخر لقاء له مع رجال الدولة، لم تمض أيام قليلة على ذلك عندما مر جندي بسيط، على شاطئ البحر، الذي كان على مسافة قريبة من الغابة، الذي كان تيمون يتردد عليه من حين لآخر، وجد الجندي مقبرة متاخمة للبحر، عليها شاهد كتب عليه سطور تشير إلى أن ذلك القبر يخص تيمون الكاره للرجال، الذي " كان أثناء حياته يكره كل الرجال الأحياء، ومات وهو يتمنى لهم كارثة تقضي عليهم جميعًا".

ولا ندري عما إذا كان أنهى حياته بطريقة عنيفة، أو عاش مجرد حياة متقشفة، كارها للطعام، مشمئزًا من البشر الذين أوصلوه إلى هذه الخاتمة، وهذا غير واضح. إلا أن الرجال كانوا معجبين بتناسق شاهد قبره، المتناغم مع نهايته، ميتا، أو حيا كارهًا للبشر. وهناك بعض منهم صور لهم خياله إن اختياره المتميز ليكون شاطئ البحر مكانا لدفنه، إنما ليبكي البحر الفسيح على قبره إلى الأبد، وكأنه نوع من الازدراء للدموع الضحلة للعابرين، التي تقبع تحت خياشيم البشر المخادعين!

روميو وجوليت

كانت العائلتان الكبيرتان فى فيرونا، هما عائلة كابوليت الثرية وعائلة مونتاجيو. وكان بين العائلتين شجار قديم وصل إلى ذروته حتى أصبحتا عدوتين، لدرجة أن أتباعهما وخدمهما لم يكونوا يتقابلون إلا ويتبادلون الكلمات الجارحة التى كانت تتطور أحيانا إلى حد إراقة الدماء، وكانت هذه المعارك الصاخبة التى تحدث نتيجة للقائهما صدفة، تعكر صفو وهدوء شوارع فيرونا.

حدث أن أقام اللورد كابوليت حفل عشاء كبيرا، دعا إليه عديد من السيدات الجميلات واللوردات النبلاء. وحضر الحفل كل سيدات فيرونا الجميلات، ولقى المدعوون كل ترحيب على شرط ألا يكونوا من أسرة مونتاجيو. كان من بين المدعوات روزالين التى يحبها روميو ابن اللورد مونتاجيو، ورغم أنه كان من الخطر بالنسبة لأحد من أسرة مونتاجيو أن يحضر فى هذا الحفل، إلا أن بنفوليو، صديق روميو أقنعه بأن يذهب إلى الحفل وهو يرتدى قناعا، حتى يستطيع رؤية روزالين ويقارن بينها وبين بعض السيدات الجميلات من فيرونا، اللاتى سيجعلنها تبدو أقل جمالا.

لم يقتنع روميو كثيرا بكلام بنفوليو، إلا أن حبه لروزالين جعله يذهب على ذلك النحو. كان روميو محبا مخلصا ولم يكن يستطيع النوم أحيانا لتفكيره فى روزالين، وأحيانا أخرى كان يترك صحبة الآخرين لكى يكون وحده منفردا. لكن روزالين أظهرت القليل من الاحترام له، ولم تبادله حبه، الأمر الذى جعل بنفوليو، وقد أراد أن يخلص صديقه من هذا الحب، بأن يريه مجموعة متنوعة من الفتيات الأخريات.

إلى حفل كابوليت توجه روميو بصحبة صديقه بنفوليو وصديقهما ميركاتيو، وهم يلبسون الأقنعة. قابلهم السيد كابوليت بنفسه مرحبا وأخبرهم أنه توجد مجموعة من

الفتيات يمكنهم الرقص معهن، وبدأوا يرقصون، وفجأة أُخذ روميو بجمال باهر لفتاة ترقص هناك. بدت له كأنها تعلم المصابيح كيف تضيء بشكل أفضل. كما أن جمالها بدا أثناء الليل كأنه جوهرة ثمينة تزين عنق رجل أسود.

كانت أثمن من أن تُمس، وأعز من أن تُوجد على الأرض. كانت مثل طائر أبيض ضمن مجموعة من طيور سوداء. كان جمالها الأخاذ وكمالها يسطع فوق جمال وكمال أية فتاة أخرى.

وبينما كان روميو يقول كلمات الثناء هذه، سمعه، تايبالت، أبن أخ اللورد كابوليت بالصدفة، فأدرك من صوته أنه روميو. كان تايبالت عصبى المزاج، فلم يستطع أن يحتمل وجود أحد من أسرة مونتاجيو يتخفى تحت قناع ويسخر منهم فى حفلهم.

فعصف به الغضب، وأراد أن يردى روميو قتيلا. لكن عمه، اللورد كابوليت، لم يدعه يوجه أى أذى إليه فى تلك اللحظة، لسببين : احتراما لضيوفه، ولأن روميو تصرف كسيد مهذب. وأرغم تايبالت على الصبر رغما عنه، وتحكم فى نفسه، لكنه أعلن أن هذا الشيطان روميو سوف يدفع غاليا ثمنًا لحضوره دون دعوة.

عندما انتهى الرقص راقب روميو المكان الذى تقف فيه الفتاة، ولما كان القناع الذى يرتديه يعطيه شيئا من الحرية فى تصرفاته، فقد توجه إليها وأمسك يدها برقة، وأعلن أن يدها بمثابة مكان مقدس، ومن الخطأ أن لمسته. ولما كان يريد أن يكفر عن هذا الخطأ فلابد له إذن أن يقبل تلك اليد.

فقالت الفتاة : " أيها الرجل الطيب، إن القديسين لهم أيد، من الممكن أن يلمسها الناس، لكنهم لا يقبلونها!".

فقال روميو : " أليس للقديسين شفاه؟" .

قالت الفتاة : " نعم، لهم شفاه يستعملونها فى الصلاة!" .

فقال روميو : " إذن، يا عزيزتى القديسة، فاسمعى صلاتى، وتقبليها، وإلا سأصاب باليأس!".

بينما كانا مشغولين بحديث الحب هذا استدعيت الفتاة لتخاطب أمها. وعندما سأل روميو عمن تكون أمها، اكتشف أن الفتاة ذات الجمال الأخاذ التى أفتتن بها هى جولييت الصغيرة، ابنة ووريثة اللورد كابوليت، العدو اللدود لآل مونتاجيو ، ودون أن يدرى وهبها قلبه.

أقلقه هذا كثيرا، لكنه لم يمنعه من حبها، وكذلك جولييت، اكتشفت بعد قليل، أن هذا السيد المهذب الذى كانت تتحدث إليه هو روميو ابن مونتاجيو؛ لأنها أُخذت بحبه بنفس السرعة وعدم التعقل، كما حدث له تماما.

أبدا لها ذلك ميلادا رائعا للحب، وقد يتحتم عليها أن تحب عدوها، فى حين، أنها طبقا للدوافع العائلية ينبغى أن تكرهه!.

غادر روميو وأصدقاؤه الحفل عند منتصف الليل لكنهم سرعان ما افتقدوه؛ لأنه لم يستطع أن يتحمل البقاء بعيدا عن البيت الذى ترك فيه قلبه، فتسلق حائطا ونزل فى الحديقة الخلفية لبيت جولييت ولم يطل بقاؤه طويلا هناك، مفكرا فى حبه الجديد، حتى ظهرت جولييت فى نافذتها، حيث تبدى جمالها الشديد ساطعا مثل نور الشمس فى مشرقها.

وتبدى القمر الساطع فى الحديقة بضوئه الواهن بالنسبة لروميو، وكأنه ضوء هزيل شاحب ملىء بالأسى، بالمقارنة إلى سطوع شمسه الجديدة وعندما أراحت جولييت رأسها على يدها، تمنى لو كان قفازا فى تلك اليد حتى يمكنه أن يلمسها، وكانت هى، طوال ذلك الوقت، تعتقد أنها وحدها، فتنهدت بعمق وهتفت بقوة: " آه، يا فرحتى!!".

سعد روميو عندما سمعها تتكلم، فقال برقة، وبصوت غير مسموع لها: " أوه، تكلمى ثانية، أيها الملاك الوضاء؛ لأن ظهورك على هذا النحو، بحيث تكونين أعلى

رأسى، فأنت بمثابة رسول سماوى، يقع الرجال العاديون على ظهورهم عندما ينظرون إليه!" .

لم تكن هى تعلم شيئا عن وجود روميو، فأخذت وهى مفعمة بالحب الجديد الذى واتاها هذه الليلة، تهتف باسم حبيبها : " أوه، روميو، روميو!".. وقالت: " لماذا تدعى روميو مونتاجيو؟ دعك من والدك وارفض اسمه، وإذا كنت لن تفعل، فعدنى فقط بأن تكون حبيبى، ولن أنتسب بعد الآن لعائلة كابوليت!".

عندما سمع روميو ذلك زادت شجاعته، وتلهف لمحادثتها، لكنه كان يرغب فى سماع المزيد. واصلت الفتاة حديث الحب مع نفسها، ملقية اللوم على روميو لكونه من عائلة مونتاجيو، متمنية أن يكون له لقب آخر؛ لأنه عندئذ من الممكن أن يكون لها.

عند هذا الحد لم يعد روميو يستطيع أن يمنع نفسه من الكلام.وكما لو أن كلماتها كانت موجهة إلى شخصه وليس خياله، رد عليها، راجيا إياها أن تناديه حبى، أو أى اسم آخر؛ لأنه لم يعد روميو، إذا كان هذا الاسم لا يعجبها.

ارتعبت جولييت عند سماعها صوت رجل فى الحديقة، ولم تكن تعرفت فى البداية على صاحب الصوت، تحت ستار الظلام، وخشيت أن يكون قد عرف سرها: لكن عندما تحدث ثانية، رغم أن أذنها لم تسمع مائة كلمة من كلامه، عرفت فى الحال أنه روميو. ولامته للخطر الذى عرض نفسه له، بتسلقه سور الحديقة؛ لأنه إذا حدث ووجده أى أحد فلابد أن يقتله؛ لأنه من عائلة مونتاجيو.

قال روميو: " إن الخطر الذى يكمن فى عينيك أكثر مما يكمن فى عشرين سيفا من سيوفهم، لو أنك نظرت إلى فقط بعين العطف، يا فتاتى، فسأكون آمنا من أعدائى، بل من الأفضل لى أن تنتهى حياتى على يد أعدائى. بدلا من أن أعيش طويلا دون حبك!" .

قالت جولييت : " كيف أتيت إلى هذا المكان ؟ ومن دلك عليه؟" .

أجاب روميو: " الحب هو الذى دلنى".

اكتسى وجه جولييت بالحمرة، عندما تذكرت كيف باحت بحبها لروميو دون أن تقصد ذلك، تمنت لو أنها تستطيع سحب كلماتها: لكن ذلك كان مستحيلا. كان لابد أن تتبع التقاليد، وتحتفظ بمسافة بينها وبين حبيبها كما تفعل الفتيات العاقلات حتى لا يعتقد عشاقهن أنهن وقعن فى حبهم بمنتهى السهولة: لكن، فى حالتها، كان التظاهر بذلك غير ذى فائدة. فلقد سمع روميو اعترافها بحبه من لسانها، عندما كانت لا تعرف أنه موجود إلى جوارها. لذلك، وبمنتهى الصدق قالت له إن كل ما سمعه من قبل حقيقى وصادق ونادته باسم عائلته مونتاجيو (ذلك أن الحب يستطيع أن يجعل الاسم الكريه اسما عذبا)، وطلبت منه، ألا يتصور أن استسلامها السريع يعنى أنها لا تأخذ الحب بجدية، وما عليه إلا أن يلقى اللوم على هذه الليلة التى كشفت عن أفكارها له. وأضافت، رغم أن تصرفها يبدو غير حكيم بما فيه الكفاية، إذا ما قورن بتصرف الفتيات المعتاد، إلا أنها سوف تبرهن له أنها أكثر صدقا من أولئك اللاتى يدعين الحكمة والتواضع، وما ذلك إلا نوع من المهارة غير الطبيعية.

وعندما بدأ روميو يدعو السماء أن تكون شاهدة عليه بأنه لا يستطيع أبدا أن يفكر فيها بهذا الشكل المشين، استوقفته جولييت، وتوسلت إليه ألا ينطق بمثل هذه الكلمات. ورغم أنها وجدت سعادة بالغة فيها، فإنها قالت إن ما تعهدا به هذه الليلة كان سريعا جدا ومفاجئا: لكن عندما طلب منها أن تؤكد حبها بمزيد من الوعود، قالت إنها قد أعطته ذلك من قبل أن يسألها. وهى تتمنى، بأية حال، أن تسترد ما قالته. ومن ثم يمكنها أن تسعد بمنحه ثانية له، لأن عاطفتها لا حدود لها مثل البحر، وكذلك حبها فى مثل عمقه.

أُنتزعت جولييت من هذا اللقاء الغرامى، بنداء مربيتها، التى اعتقدت أنها فى فراشها خاصة وأن النهار أوشك على أن يطلع، لكنها سرعان ما عادت وقالت له : إن كان حبه لها شريفا ويريد الزواج منها فسترسل له رسولا فى اليوم التالى لتحديد ميعاد زواجهما. عندئذ ستلقى بثروتها عند قدميه، وتتبعه كزوج لها إلى آخر الدنيا.

بينما كانا يناقشان ذلك، نادت عليها مربيتها أكثر من مرة، وكانت تذهب وتعود. ويبدو أنها كانت لا تود أن يرحل روميو عنها، فى حين أنه كان لا يرغب فى الرحيل

عن حبيبته جولييت، بسبب تلك الموسيقى الحلوة التى كانت تتمثل فى كلماتهما خلاله تلك الليلة. ومهما يكن الأمر، فإنهما أخيرا افترقا، على أمل نوم لذيذ هادئ.

كان النهار يطلع فى ذلك الوقت. وبدلا من أن يذهب روميو إلى منزله. فقد احتشد ذهنه بأفكار كثيرة عن حبه لم تدعه ينام، اتجه إلى دير قريب لمقابلة الراهب لورانس.

كان الراهب يتلو صلوات الصبح، وعندما رأى روميو فى هذا الوقت المبكر، اعتقد أنه لم ينم طوال الليل، وتصور خطأ أن حبه لروزالين جعله متيقظا. لكن عندما أخبره روميو بحبه الجديد لجولييت طالبا منه أن يساعده فى الزواج منها فى ذلك اليوم، رفع الراهب يديه وعينه فى دهشة لذلك التحول المفاجئ لروميو. فقد كان يعلم كل شىء عن حبه لروزالين، وشكواه من برودة مشاعرها نحوه، وقال فى تلك اللحظة : "إن الشباب لا يحب من صميم قلبه، بل من خلال عيونه".

أجاب روميو بأنه كثيرا ما وجه لنفسه اللوم ؛ لتفكيره الكثير فى روزالين. فى حين أنها لا تبادله الحب، لكن جولييت هذه تحبه ويحبها. وتصور الراهب الطيب أن زواج جولييت من روميو من الممكن أن يضع خاتمة سعيدة للعداء الطويل بين عائلة كوبوليت وعائلة مونتاجيو. ولأنه صديق للعائلتين، بالإضافة إلى أنه يحب الشاب روميو حبا جما، فقد وافق الرجل العجوز على أن يربط بينهما بالزواج.

عندما وصل رسول جولييت، طبقا لوعدها، بعث روميو برسالة معه، يخبرها فيها أن تحضر بسرعة إلى صومعة الراهب لورانس؛ حيث تم زواجهما على يديه. وتضرع الراهب للسماء أن تبارك هذا الزواج، وأن يضع ذلك التوحد بين الشاب مونتاجيو والفتاة كوبوليت، حدا نهائيا، لذلك العداء القديم بين عائلتيهما.

عندما انتهت مراسم الزواج، أسرعت جولييت إلى البيت، وانتظرت بفارغ الصبر حلول الليل؛ حيث وعدها روميو بالحضور للقائها فى الحديقة، حيث التقيا الليلة السابقة . كان الزمن يمضى بطيئا بالنسبة لها، كما لو أن الليلة السابقة كانت بمثابة

عيد عظيم، بالنسبة لطفل ملول، ينتظر حلول الصباح؛ لارتداء ما لديه من ملابس جديدة.

فى نفس ذلك الصباح وبينما كان بنفوليو وميركاتو صديقا روميو، يسيران فى شوارع فيرونا التقيا بعدد من أفراد أسرة كابوليت ومن ضمنهم تايبالت، الذى أراد أن يتقاتل مع روميو فى حفل اللورد مونتاجيو. فما كان من ميركاتو الذى كان يتسم بالاندفاع وحمية الشباب أن رد عليه بعنف. ورغم كل ما حدث، استطاع بنفوليو أن يمنع عراكا كان قد بدأ، فى الوقت الذى تصادف أن مر فيه روميو . فتحول تايبالت الغاضب إلى العراك مع روميو بدلا من ميركاتو، وسبه بقوله، يا وغد !.

لم يكن روميو يرغب فى الشجار مع تايبالت؛ لأنه قريب لجولييت، وتحبه كثيرا. هذا بالإضافة إلى أنه لم يشترك فى أى شجار قام بين العائلتين على الإطلاق؛ لأنه كان رقيقا وحكيما بطبعه؛ لذا فقد حاول أن يهدئ تايبالت ورحب به مناديا إياه باسم عائلته، كابوليت، كما لو أنه، رغم أنه من عائلة مونتاجيو، كان لديه سعادة خفية فى نطق ذلك الاسم. لكن تايبالت الذى كان يكره كل عائلة مونتاجيو أكثر من أى شىء، لم يشأ أن يصغى إليه، واستل سيفه.

لكن ميركاتيو، وقد خفى عليه السبب الذى جعل روميو يسالم تايبالت، واعتبر لطفه معه نوعا من الخضوع المهين، استطاع بعد أن أثار تايبالت بعديد من الألفاظ الجارحة، أن يجبره على قتاله أولا، وهكذا تقاتل ميركاتيو وتايبالت، حتى سقط ميركاتيو، بعد إصابته بجرح قاتل، على حين كان روميو وبنفليو يحاولان عبثا تفرقة المتقاتلين.

عندما قتل ميركاتيو، لم يستطع روميو السيطرة على أعصابه أكثر من ذلك، فوجه السباب إلى تايبالت بنفس اللفظ الذى وجهه إليه، "يا وغد" . وتقاتل الاثنان حتى قتل تايبالت على يد روميو.

انتشرت أنباء العراك بسرعة، وجاء جمع من الناس إلى المكان، ومن ضمنهم اللورد كابوليت واللورد مونتاجيو وزوجتاهما. بعد ذلك وصل أمير فيرونا بنفسه.

وكانت تربطه صلة قرابة بميركاتيو الذى قتله تايبالت؛ ولأن هذه المعارك قد هزت أمن حكمه؛ لذا فقد جاء مصمما على معاقبة الذين ارتكبوا ذلك الخطأ دون رحمة.

وأمر الأمير، بنفوليو، الذى شاهد القتال، أن يحكى له كيف بدأ. وبالفعل سرد الحكاية بكل صدق على قدر الإمكان، دون أن يسبب أذى لروميو، محاولا تبرير الأفعال التى شارك بها أصدقاؤه.

أما السيدة كابوليت، فقد جعلها حزنها على فقدان تايبالت ألا تطالب بشىء سوى الانتقام، وأن يقوم الأمير بتحقيق العدل بالقصاص من القاتل، دون اعتبار لشهادة بنفوليو، التى هى بالطبع فى صالح روميو؛ لأنه صديقه وصديق عائلة مونتاجيو. هكذا كانت تقدم الحُجج ضد صهرها الجديد، ولم تكن تعلم بعد أنه صهرها وزوج جولييت.

من ناحية أخرى كانت السيدة مونتاجيو تطالب بانقاذ حياة ابنها. قالت: إنه إذا راعينا شيئا من العدالة، فإن روميو لم يفعل شيئا يستحق عليه العقاب؛ لأنه قتل تايبالت الذى قتل ميركاتيو أولا.

تأثر الأمير بنقاش هاتين السيدتين، فأصدر حكمه، بعد تمحيص دقيق للحقائق، الذى بمقتضاه كان على روميو أن يرحل من فيرونا.

بالطبع كانت تلك أنباء حزينة بالنسبة لجولييت التى أصبحت زوجة منذ عدة ساعات قليلة مضت. وبدا لها فى تلك اللحظة، بناء على ذلك الحكم أنه قد فرق بينها وبين زوجها إلى الأبد!.

عندما وصلتها الأنباء فى البداية انتابها غضب شديد ضد روميو؛ لأنه قتل ابن خالها العزيز، ووصفته بأنه ملاك جميل غير عادل، وحمل يحمل طبيعة ذئب له قلب ثعبان ووجه كالزهور. مثل هذه الأوصاف التى أطلقتها عليه أظهرت فقط مدى الصراع الذى يدور بين حبها وغضبها، لكن فى النهاية انتصر حبها، وتحولت دموع الحزن التى سفحتها حزنا على ابن خالها، إلى دموع فرح؛ لأن زوجها الذى كان تايبالت يريد قتله مازال على قيد الحياة. بعد ذلك انتابتها موجة حزن أخرى وبكت عندما تذكرت أن روميو لابد أن يرحل بعيدا عنها. كان ذلك العقاب فظيعا جدا بالنسبة لها أكثر من موت عشرات أمثال تايبالت!

بعد الشجار، لجأ روميو للراهب لورانس. وهناك عرف لأول مرة بحكم الأمير عليه، وبدأ له أكثر فظاعة من الموت. بدا له أنه لا يوجد عالم خارج حدود فيرونا، ولا حياة بعيدا عن مرأى جولييت. الجنة هنا حيث تعيش جولييت، وفيما عدا ذلك، هو الألم أو العقاب أو الموت.

حاول الراهب الطيب أن يخفف من حزن الفتى الشاب؛ لكن روميو لم يستجب إليه . ومثل رجل فقد عقله أخذ يمزق ثيابه، ويلقى بنفسه على الأرض، حتى يأخذ الراهب مقاس قبره.

وأعاده إلى وعيه بعض الشيء، رسالة وصلته من زوجته العزيزة، وعندئذ أخذ الراهب يلومه لضعفه الإنسانى الذى أظهره. وقال له : إنه قد قتل تايبالت فهل يريد أيضا أن يقتل نفسه وزوجته العزيزة، التى تعيش من أجله فقط؟. إن نبل الانسان ما هو إلا هيكل من الشمع فقط. ولابد من إكسابه الشجاعة حتى يصبح صلبا. والقانون كان رحيما به، فبدلا، من الحكم عليه بالموت، صدر الحكم بنفيه بعيدا فقط. لقد قتل تايبالت، وكان من الممكن أن يقتله تايبالت، وفى ذلك نوع من السعادة.

إن جولييت ماتزال حية، ولقد أصبحت زوجته ولذا، فينبغى عليه أن يكون أكثر سعادة. وأخبره الراهب، أن يضع فى اعتباره أن أولئك الذين فقدوا كل الأمل، ماتوا تعساء!

عندما استعاد روميو هدوءه ثانية، نصحه الراهب أن يتوجه سرا فى الليل ليودع جولييت. بعدها ينبغى عليه أن يرحل فورا إلى مانتوا، ويبقى هناك إلى أن يجد الراهب الفرصة المناسبة لإعلان نبأ زواجه، الذى قد يكون أمرًا مفرحا لإزالة العداوة بين العائلتين، كما أنه كان متأكدا أن الأمير سيعفو عنه عند ذلك، وسيعود سعيدا جدا، بدلا من الحزن الذى رحل به.

قضى روميو تلك الليلة مع زوجته الغالية، بعد أن دخل إلى حجرتها من الحديقة، التى استمع فيها إلى اعترافها بحبه الليلة السابقة. كانت ليلة امتزجت فيها السعادة والمرح، لكن سعادتهما الليلة، كانت سعادة يشوبها الحزن لمجرد التفكير فى أنهما ينبغى أن يفترقا سريعا. وبدا لهما أن ضوء النهار الذى لا يرحبان بقدومه، قد حل

سريعا، وعندما سمعت جولييت تغاريد الصباح من العصافير، حاولت أن تقنع نفسها أنه العندليب الذى يغرد فى الليل؛ لكنها كانت العصافير التى تغرد فى الحقيقة، وبدا لها ذلك علامة غير سارة بالمرة!.

سرعان ما أشرق ضوء النهار من جهة الشرق، معلنا بوضوح شديد أنه حان الوقت لافتراق الحبيبين. فودع روميو زوجته الغالية بأسى، واعدا إياها أن يكتب لها من "مانتوا"، كل ساعة من ساعات اليوم. وعندما تسلق الجدار هابطا من نافذتها، وبينما كان يقف على الأرض، تخيلت جولييت بكل أسى، أنه يبدو مثل ميت فى قاع قبره وأحس روميو بنفس الشعور؛ لكنه كان مجبرا فى ذلك الوقت على الرحيل؛ لأن الموت سيكون جزاءه لو وجد داخل مدينة فيرونا عند طلوع النهار.

كان ذلك بداية القصة المأساوية التعسة، لهذين العاشقين سيئى الحظ. فلم يمض على رحيل روميو عدة أيام حتى اقترح لورد كابوليت زوجا لجولييت. كان الرجل الذى اختاره لها (ولم يكن يخطر على باله أبداً أنها متزوجة) هو باريس، شاب شجاع مهذب ونبيل، ومن الممكن أن يكون مناسبا جدا لجولييت، إذا لم تكن قد رأت روميو.

كانت جولييت المرتعبة فى حالة ارتباك محزن أمام عرض والدها، ففى البداية قالت إنها صغيرة جدا حتى تتزوج ، ثم، إن موت تايبالت القريب، قد أضعف روحها المعنوية جدا، حتى تستطيع أن تقابل زوجا بوجه مرح، كما أنه ليس من المناسب لعائلة كابوليت أن يقيموا حفل زواج، بمجرد الانتهاء من جنازته. وقدمت كل الأسباب التى أمكنها أن تفكر فيها ضد الزواج، فيما عدا السبب الرئيسى، وهو أنها متزوجة بالفعل.

إلا أن اللورد كابوليت صم أذنيه عن سماع أى مبرر، وأمرها بحدة أن تستعد، للزواج من باريس يوم الخميس القادم فطالما أنه وجد زوجا ثريا ونبيلا، تتمناه أية فتاة جميلة فى فيرونا، لذا فلم يتقبل منها تواضعها الزائف، كما تصور، وبالتالى لا ينبغى عليها أن تضع العراقيل أمام حظها السعيد.

توجهت جولييت للراهب العجوز ترجو منه مساعدتها فى موقفها الصعب الذى وجدت نفسها فيه فسألها إن كان لديها من الشجاعة ما يجعلها تتناول دواء خطرا،

فأجابته بأنها على استعداد لتدفن نفسها حية فى القبر، على أن تتزوج باريس، بينما لا يزال زوجها الغالى على قيد الحياة، عندئذ طلب منها الراهب أن تعود إلى البيت وتظهر أنها سعيدة، وتقول إنها ترغب فى الزواج من باريس، كما يتمنى والدها.

فى الليلة السابقة على ليلة الزواج، كان عليها أن تشرب الدواء الذى أعطاه لها الراهب. والذى يظهر أثره بعد اثنين وأربعين ساعة من شربه، حيث تبدو باردة لا حياة فيها، وعندما يحضر العريس لأخذها فى الصباح، سيعتقد أنها ميتة. وبالتالى يحملونها إلى مقابر العائلة لتدفن هناك.

وقال لها الراهب لو أنها استطاعت أن تتخلص من مخاوفها النسائية، وتوافق على القيام بهذه التجربة الصعبة، فإنها بعد أن تتناول الدواء وفى خلال اثنين وأربعين ساعة ستستعيد وعيها، كما لو أنها كانت فى حلم. وخلال ذلك سيخبر زوجها بما فعلاه ويأتى لها روميو ليلا، ويأخذها إلى "مانتوا".

ولقد وهبها حبها، وخوفها من الزواج من باريس القوة لتعد الراهب بالقيام بتلك التجربة الصعبة، وتركت الراهب بعد أن أخذت الدواء معها.

أثناء عودتها من الدير، قابلت الشاب باريس، فتظاهرت بالقبول، ووعدته أن تكون زوجة له. وبالطبع كانت هذه أنباء سارة لعائلة كابوليت. جعلت والدها العجوز يرجع لشبابه ثانية. كما أصبحت جولييت لديه أعز أولاده، بعدما كان غاضبا عليها بشدة لرفضها الزواج من باريس. وبدأ كل فرد فى البيت يستعد لهذا الزواج المرتقب، وأنفقت أموال كثيرة لهذا الاحتفال الكبير الذى لم تشهد مدينة فيرونا مثله من قبل!

فى ليلة الأربعاء، شربت جولييت الدواء، وقد ساورتها الكثير من الشكوك قبل أن تقدم على ذلك. فقد اعتقدت أنه ربما يكون الراهب قد أعطاها سما؛ ليجنب نفسه اللوم لقيامه بتزويجها لروميو؛ لكنها تذكرت بأنه رجل معروف دائما بالطيبة والقداسة. كما أنها خشيت أن تفيق قبل الوقت المفروض أن يصل فيه روميو ليأخذها، فتصاب بالجنون من جراء وجودها داخل ذلك القبر البشع. كما عاودتها كل تلك الحكايات التى سمعتها عن العفاريت والأشباح التى تزور المقابر؛ لكن حبها لروميو، وعدم رغبتها فى الزواج من باريس، جعلاها تتجرع الدواء، وفقدت وعيها!

عندما حضر الشاب باريس مبكرا فى الصباح، وجد جولييت جثة باردة بدلا من أن تكون حية. فماتت كل أماله وأحلامه! ويا للارتباك الذى حدث بالبيت كله!!. فلقد امتلأ باريس المسكين بالحزن عليها وقد اختطفها الموت منه، حتى قبل أن ترتبط أيديهما بالزواج؛ لكن الوضع أصبح أكثر أسى وإثارة للشفقة للحزن الشديد الذى كان فيه لورد كابوليت وزوجته. فلم يكن لديهما سوى تلك الابنة الغالية ليفرحا ويسعدا بها، ثم يجىء الموت القاسى، ليأخذها أمام أبصارهم، وبعد أن كانت على وشك الزواج، زواجا موفقا متميزا.

تحولت كل الاستعدادات للاحتفال، إلى خدمة الجنازة الحزينة، وبدلا من أن يقوم القس بتلاوة مراسم زواجها، قام بتلاوة مراسم جنازتها . وهكذا حملت إلى الكنيسة، لا لكى تزيد الآمال المبهجة للحياة، بل لتزيد عدد الموتى المكتئبين!

عادة تنتشر الأخبار السيئة أسرع من الأخبار الطيبة. فلقد سمع روميو، فى مانتوا، بالقصة الحزينة لوفاة جولييت قبل أن يصل إليه رسول الراهب لورانس ليخبره بأن هذه جنازة غير حقيقية وأن زوجته العزيزة ترقد فى القبر لفترة مؤقتة فقط، تنتظر موعد وصول روميو ليأخذها من ذلك المكان الكئيب. قبل ذلك بوقت قصير، كان روميو على غير عادته مبتهجا وسعيدا. فقد حلم بالليل أنه مات، وأن زوجته حضرت إليه ووجدته ميتا، وبعثت فيه الحياة بقبلة فى شفتيه، فعادت إليه الحياة مرة ثانية، وأصبح ملكا!

وعندما وصل رسول من فيرونا فى تلك اللحظة اعتقد أنه بالتأكيد يحمل إليه الأنباء الطيبة، التى رأى إشارات منها فى حلمه. وعندما علم أن الأنباء عكس ذلك، وأن زوجته ماتت حقيقة، وأنه لن يستطيع أن يعيدها للحياة بأى قبلات، أمر بإعداد حصانه بسرعة؛ لأنه صمم على العودة إلى فيرونا فى تلك الليلة وأن يرى زوجته فى قبرها.

ولأن الشر يسيطر بسرعة على أفكار الناس البائسين، فقد تذكر محل صيدلى فقير مر عليه مؤخرا. وقد جعله مظهر الرجل الأشبه بالشحاذين، والصناديق الفارغة المصفوفة على جوانب المحل، يقول: " لو أن رجلا كان فى حاجة إلى سم، ممنوع بيعه بقوانين مانتوا. فإن مثل هذا الرجل الفقير على استعداد لأن يبيعه له". وتوجه إلى

الصيدلي وأخبره بما يريده وعندما ناوله روميو بعض الذهب، نحى الرجل جانبا كل الشكوك والمخاوف، وباع له سما سريع المفعول كما قال، وكفيلا بقتل أي رجل فور تناوله حتى لو كانت له قوة عشرين رجلا.

انطلق روميو ومعه السم إلى فيرونا لرؤية زوجته، وفي نيته أن يتناوله بعد أن يشبع ناظريه منها، ويدفن إلى جوارها، وصل إلى فيرونا في منتصف الليل، وتوجه إلى فناء الكنيسة الذي تقع في وسطه مقابر عائلة كابوليت. كان قد أحضر فانوسا وبعض الآلات الصغيرة، وما أن بدأ في كسر باب المقبرة حتى قاطعه صوت يناديه باسم مونتاجيو أيها الشرير. وأمره أن يوقف ذلك الفعل غير القانوني.

كان ذلك باريس، الذي حضر إلى قبر جولييت في هذا الوقت الغريب لينثر الزهور على قبرها، ويبكي فوق قبرها، تلك التي كانت بصدد أن تكون زوجته. لم يكن يعلم سبب وجود روميو هناك؛ لكن لأنه من عائلة مونتاجيو، فافترض أنه لابد أن يكون عدوا لعائلة كابوليت، واستنتج أنه قد أتى ليلا ليقوم بعمل فاحش بالنسبة للأموات. لذا فقد أمره بصوت غاضب، أن يتوقف وإلا سيقبض عليه باعتباره مجرما، وطبقا لقوانين فيرونا يجب أن يقدم للموت إذا وجد داخل أسوار المدينة.

طلب روميو من باريس أن يتركه لحاله، وحذره بالمصير الذي لقيه تايبالت الذي يرقد مدفونا هنا، ولا داعي لاستثارته حتى لا يجبره على قتله. لكن باريس لم يصغ إلى تحذيره، وقبض عليه بيده كأنه مجرم . ثم تقاتلا وسقط باريس قتيلا!.

ولما تبين روميو على ضوء الفانوس من الذي قتل وأدرك أنه الشاب باريس الذي كان من المفترض أن يتزوج جولييت، (كما سمع وهو في طريق عودته من مانتوا) حمل الشاب الميت بين يديه، كما لو أن الحظ السيئ جعل منه رفيقا له، وقال : لابد أن أدفنه في قبر جولييت، الذي كان قد فتحه في تلك اللحظة".

هناك كانت ترقد زوجته في منتهى الجمال، وكأن الموت لم يكن له أدنى تأثير عليها. كانت ترقد وكلها نضارة مثلما كانت في اللحظة التي تناولت فيها دواء الراهب،

واستغرقت فى النوم، وبالقرب منها يرقد تايبالت. عندما رآه روميو، طلب العفو من الجسد الميت، وناداه يا ابن الخال، إكراما لخاطر جولييت، وقال إنه على وشك أن يقدم له معروفا بأن ينهى حياة عدوه.

فى تلك اللحظة ودع روميو زوجته الوداع الأخير، وقبلها فى شفتيها. ثم تجرع السم الذى ابتاعه من الصيدلى. وكان مفعوله قاتلا حقيقة، وليس مثل الشراب الذى تناولته جولييت، الذى كان مفعوله الآن على وشك الانتهاء، ولم يمض وقت قليل حتى استيقظت.

علم الراهب أن الخطابات التى أرسلها إليه لم تصل إلى روميو على الإطلاق بسبب بعض الظروف السيئة. فحضر بنفسه ومعه بعض الأدوات وفانوس لكى يحرر السيدة من حبسها؛ لأن اللحظة التى ستفيق فيها حان موعدها. لكنه دهش عندما وجد ضوءًا فى مقبرة آل كابوليت، ورأى سيفين ودماء بالقرب منها، ويرتمى بداخلها كل من باريس وروميو بلا حراك.

وقبل أن يستطيع إدراك كيف حدث ذلك كله، كانت جولييت قد استيقظت من سباتها العميق، فلما رأت الراهب إلى جوارها، تذكرت أين هى ولماذا هى هنا، وسألت عن روميو. وطلب منها الراهب، عندما سمع ضجة بالخارج أن تخرج من مكان الموت ذلك، وغير المناسب للنوم؛ لأن قوة أكبر منهم حطمت كل خططهم. ولما خاف من الضجة فر هاربا.

عندما رأت جولييت قنينة السم فى يد حبيبها المخلص، تيقنت أنه مات من أثر السم. لذا فقد قررت أن تتجرع ما بقى فيها إذا كان هناك ثمة بقايا، وقبلته فى شفتيه لترى إذا ما كان هناك سم عالق بهما. وعندما سمعت ضجة الناس تقترب، استلت خنجرا كان يتمنطق به روميو، وطعنت نفسها به، وماتت إلى جواره.

فى ذلك الوقت كان الحراس قد أقبلوا إلى ذلك المكان. وكان هناك خادم من أتباع باريس قد رأى القتال بين سيده وروميو، فذهب وأبلغهم بذلك. وانتشرت الأنباء بين

المواطنين، الذين اندفعوا إلى شوارع فيرونا، يرددون فى حيرة، باريس! روميو ! جولييت! وأخيرا أيقظت هذه الضجة لورد كابوليت ولورد مونتاجيو من فراشهما، وحضرا معا ومعهما الأمير ليتعرفوا على أسباب هذه الاضطرابات، قبض على الراهب بواسطة بعض الحراس وهو قادم من فناء الكنيسة يرتجف ويبكى بشكل مريب. وتجمع حشد كبير فى تلك الآونة عند مقبرة عائلة كابوليت، وأصدر الأمير أمره إلى الراهب أن يروى ما يعرفه عن تلك الأحداث الغريبة القطيعة.

وفى حضور اللورد مانتاجيو، واللورد كابوليت، روى الراهب قصة أبنائهما سيىء الحظ، والدور الذى قام به فى تزويجهما، وكان يأمل أن مثل هذا الاتحاد كفيل بإنهاء الصراع الطويل بين عائلتيهما. وقال : إن جولييت التى ترقد ميتة هناك، هى زوجة روميو المخلصة، وأن روميو الذى يرقد ميتا هناك، هو زوج لجولييت..

وحكى أيضا كيف أنه قبل أن يجد فرصة مناسبة ليعلن لهم ذلك الزواج، كان هناك زواج آخر يعد لجولييت. وحتى تتجنبه، تناولت شرابا مخدرا، كما نصحها، حتى يعتقد كل من يراها أنها ميتة. فى نفس الوقت، كان قد كتب عدة رسائل إلى روميو، يطلب منه الحضور ليأخذها من المقبرة، فى الوقت الذى ينتهى فيه مفعول الشراب المنوم : لكن لسوء الحظ لم يصل خطابه أبدا لروميو. لم يستطع الراهب أن يكمل باقى القصة أكثر من ذلك. وكل ما عرفه فقط أنه عندما جاء ليخلص جولييت من محبسها فى المقبرة، وجد كلا من باريس وروميو ميتين ! .

أما بقية القصة فقد رواها الخادم الذى رأى باريس وروميو يتقاتلان، وكذلك الخادم الذى حضر مع روميو من مانتوا والذى أعطاه هذا العاشق المخلص كل رسائله ليسلمها إلى والده، إذا قدر له أن يموت . ولقد أثبتت هذه الرسائل صدق كلام الراهب، ففيها اعترف روميو بزواجه من جولييت، وطلب العفو من والديه. وذكر فيها كيف اشترى السم، وكيف عزم على الحضور إلى المقبرة ليموت، ويرقد إلى جوار جولييت. ولقد أنقذت هذه الحقائق الراهب من أى اتهامات تؤدى به للاشتراك فى عمليات القتل

هذه. عندئذ التفت الأمير إلى هذين اللوردين، مونتاجيو وكابوليت، ووجه لهما اللوم لذلك الصراع الأحمق القائم بينهما. وأوضح لهما أى عقاب قاس أنزلته السماء بهما، من خلال حب أبنائهما؛ ليندد بتلك الكراهية غير المقبولة بينهما.

وهكذا، لم يعد هذان المتنافسان أعداء بعد ذلك، واتفقا على دفن أحقادهما القديمة فى قبر أبنائهما، وطلب لورد كابوليت من لورد مونتاجيو أن يمد إليه يده، وناداه يا أخى، دلالة على أن عائلتيهما أصبحتا الآن متحدتين، وقال هذه اليد كانت كل ما يطلبه. لكن لورد مونتاجيو، قال إنه سيقدم المزيد؛ لأنه ينوى إقامة تمثال من الذهب الخالص لجولييت؛ ليكون أعظم وأكمل تمثال فى كل فيرونا. وفى المقابل، قال لورد كابوليت، إنه سيقيم تمثالا آخر لروميو.

لكن كان الوقت قد فات، عندما حاول هذان اللوردان أن يقدم كل منهما أفضل ما لديه عربونا لصداقتهما الجديدة. على الرغم من أن غضبهما القديم وعراكهما كان من الشراسة بمكان، حيث لم يستطع أن يمحو ذلك العداء والغيرة بين العائلتين النبيلتين سوى الميتة الشنيعة لأبنائهما.

هاملت أمير الدنمارك

أصبحت جرترود ملكة الدنمارك أرملة، بسبب موت الملك هاملت المفاجئ، وبعد أقل من شهرين من وفاته تزوجت شقيقه كلوديوس . وقد علق كل الناس على ذلك التصرف فى ذلك الحين، بأنه تصرف غريب يتصف بعدم الحكمة وقلة الاحساس، أو ما هو أسوأ من ذلك.

لم يكن كلوديوس هذا بأية حال من الأحوال، يشبه زوجها الراحل فى أى من صفاته الشخصية أو تفكيره. كان مظهره قبيحا وذا شخصية شريرة. وفى الحقيقة، فقد انتاب الشك بعض الناس فى أنه قتل أخاه الملك الراحل، حتى يمكنه الزواج من أرملته ويصبح ملك الدنمارك. لذا فقد أبعد الأمير الشاب هاملت، ابن الملك الراحل والوريث الشرعى.

كان لهذا التصرف الأحمق تأثير كبير على الأمير الشاب، الذى كان يحب ويخلص لذكرى والده الراحل. ولأنه صاحب شخصية نبيلة، فقد أزعجه بشدة العار الذى لحق به من جراء هذا الزواج، بالإضافة لحزنه على وفاة أبيه. كل ذلك جعله يفقد كل سعادته، وانتابته حالة من الحزن العميق. ولم يعد يجد أية متعة فى كتبه، ولا فى تدريباته الرسمية، ولا الرياضية. لقد سئم العالم، الذى بدا له مثل حديقة مهملة، حيث ماتت كل الزهور لعدم وجود مكان لها، ولا شىء ينمو فيها غير النباتات الضارة.

كما أن فقدان العرش بالنسبة له كان جرحا مريرا، إلا أن ذلك لم يكن يقلقه ولم يمح كل مظاهر البهجة فى نفسه، بقدر ما أثرت فيه تلك الواقعة، إذ تنكرت أمه لذكرى أبيه. ويا له من أب!.. كان بمثابة الزوج الودود الرقيق، وكانت هى دائما تبدو فى مظهر الزوجة المحبة المطيعة .. وبعد أقل من شهرين تزوجت شقيق زوجها العزيز، وعم هاملت الصغير! .

كان ذلك فى حد ذاته زواجا غير موفق وفظيعا، للقرابة التى تربطهما، ومما جعل الأمر أكثر سوءا تلك العجلة التى تم بها الزواج، وعدم كفاءة الشخص الذى اختارته ليكون ملكا. كان ذلك بالذات، أكبر بكثير من فقدان عشر ممالك، وما جعل الأمير النبيل يفقد كل إحساسه بالبهجة، وتغشى على فكره سحابة قاتمة! وكان كل ما تبذله أمه جيرترود أو الملك من محاولة لشغله عن حزنه، بلا جدوى، فكان لا يزال يظهر فى القصر بحلته السوداء، إحياء لذكرى والده. حتى أنه لم يخلعها يوم زواج أمه، كما لم يستطع أحد إقناعه بالمشاركة فى أى من مباهج ذلك اليوم المخزى (كما بدا له).

كان أكثر ما يقلقه هو عدم التأكد من الطريقة التى مات بها أبوه، فقد أذاع كلوديوس أن حية لدغته. وكان لدى هاملت الشاب شكوك قوية بأن كلوديوس هو الحية التى قتلته من أجل العرش. وأن الحية التى لدغت أباه تجلس الآن على العرش.

إلى أى حد من الصواب كان شكه؟ وبماذا ينبغى أن يفكر تجاه أمه ؟ هل كانت تعلم بهذا القتل، وهل هناك احتمال بأنها وافقت على تنفيذ ذلك؟ هذه هى الشكوك التى كانت تراوده بشكل مستمر وتكاد تودى به إلى الجنون.

وصلت إلى أسماع الأمير الشاب حكاية مؤداها أن شبحا يماثل تماما الملك الراحل، شاهده جنود الحراسة أمام القصر فى منتصف الليل لمدة ليلتين أو ثلاث ليال تباعا، وكان الشبح دائما يظهر بالحلة الحربية التى كان يرتديها الملك الراحل! والذين رأوه (ومن بينهم هوراشيو صديق هاملت المقرب) اتفقوا على الوقت والطريقة التى يظهر بها. كان يظهر عندما تدق الساعة منتصف الليل تماما، ويبدو شاحبا بوجه يملؤه الأسى، أكثر من الغضب، بلحيته البيضاء.

ولم يكن يرد على أسئلتهم التى يوجهونها إليه. ذات مرة رفع رأسه وكاد أن يتكلم لكن حدث أن صاح الديك معلنا بداية النهار، فانصرف مسرعا واختفى من أمام نواظرهم.

اندهش الأمير الشاب تماما من قصتهم، وصدق أن ما رأوه هو شبح والده. فقرر أن ينضم للجنود أثناء الحراسة فى تلك الليلة حتى تتاح له الفرصة لرؤيته. حدث نفسه،

بأن ظهور مثل ذلك الشبح ليس عبثا، بل لابد أن لديه شيئا يقوله. ورغم أنه صامت حتى الآن، إلا أنه سوف يتحدث إليه، وانتظر قدوم الليل بنافد الصبر.

عندما أقبل الليل، أخذ مكانه إلى جوار هوراشيو، ومارسيلوس، عند واجهة القصر حيث اعتاد الشبح أن يظهر، وبدأوا يتحدثون عن برودة جو تلك الليلة، لكن هوراشيو قطع حديثهم وقال لهم إن الشبح قادم!.

عندما رأى شبح والده، أصيب هاملت فجأة بالرعب والدهشة، وطلب من ملائكة السماء أن تحميهم لأنه كان لا يعرف عما إذا كان شبحا طيبا أم شريرا، وهل جاء من أجل الخير أم الشر. وبالتدريج استرجع هاملت شجاعته. ونظر إلى والده (كما بدا له) بحزن شديد، كما لو كان يريد التحدث إليه، وظهر بنفس المظهر الذى كان عليه فى حياته، حتى أن هاملت لم يستطع مقاومة التحدث إليه فنادى عليه باسمه، هاملت، أيها الملك، أبى!.. وتوسل إليه أن يخبره عن سبب تركه لقبره؛ حيث دفنوه هناك فى سلام، ليعود ثانية لزيارة الأرض فى ضوء القمر، وهل هناك أى شىء يمكنهم أن يفعلوه ليمنح روحه الهدوء والسكينة؟.

أشار الشبح لهاملت إشارة معناها أن يتبعه إلى مكان أبعد من هذا، حيث يمكنهما أن يصبحا بمفردهما. حاول هوراشيو ومارسيلوس أن يوقفا الأمير من أن يتبع الشبح؛ لأنهما كانا يخشيان أن يكون روحا شريرة، من الممكن أن تغويه وتأخذه إلى البحر المجاور أو إلى قمة الجرف المخيف، ثم تتحول هذه الروح فى هيئة مرعبة، مما يؤدى بالأمير إلى الجنون.

لكن تحذيراتهما ونصائحهما لم تغير من عزم هاملت. فقد كان لا يهتم على الإطلاق بحياته حتى يخشى أن يفقدها، أما بالنسبة لروحه، فماذا يمكن للشبح أن يفعل بها؛ لأنها لا تموت مثل روحه؟ وشعر بقوة كأسد. واندفع مخلصا نفسه من بينهما، وتتبع الشبح حيثما يقوده.

عندما أصبحا بمفردهما، قطع الشبح صمته، وأخبره أنه شبح هاملت والده، الذى قتل بوحشية، قال إن ذلك قد تم بواسطة شقيقه كلوديوس، كما كان يعتقد فعلا،

على أمل الفوز بأرملته والتاج. فبينما كان نائما فى حديقته، كعادته دائما بعد الظهر، زحف إليه أخوه الخائن أثناء نومه، وصب فى أذنيه سائلا ساما، سرعان ما أودى بحياته، وهكذا، سُلب منه عرشه ومليكته وحياته، بيد أخيه، أثناء نومه، وتوسل إلى هاملت، إذا كان يحب والده العزيز، أن ينتقم من هذا القاتل الأثيم! .

تحدث الشبح لابنه عن وقوع أمه فى الرذيلة . ولقد أثبتت مدى زيف حبها لزوجها الأول، بزواجها من قاتله. ورغم أنه قال لهاملت أن يتصرف كما يحلو له فى انتقامه من عمه الشرير، إلا أنه طلب منه أن يكون حريصا على ألا يسىء إلى أمه، ويتركها لعدالة السماء، والعذاب وتأنيب الضمير.. وعبر هاملت بإطاعة كل أوامر الشبح.. واختفى الشبح! .

عندما تُرك هاملت وحيدا، اتخذ قرارا حازما بأنه لابد أن ينسى كل ما علق بذهنه من كل الكتب التى قرأها. ولا يبقى فى ذهنه سوى ما قاله له الشبح، وما أمره به. ولم يخبر تفاصيل الحادثة إلا لصديقه العزيز هوراشيو، وأمر هوراشيو ومارسيلوس أن يكتما سر ما رأوه الليلة!.

أثر الرعب الشديد الذى تركه منظر الشبح على هاملت وكاد أن يدفع به إلى الجنون. وخشى أن يستمر ذلك التأثير ويظهر عليه ويثير انتباه عمه، ويشك فى أن هاملت يدبر شيئا ما ضده، أو أنه عرف عن موت أبيه أكثر مما يبدى. لذلك، قرر منذ تلك اللحظة أن يتصرف كما لو أنه مجنون حقا. فلتكن ملابسه وتصرفاته وأسلوب كلامه، غريبة وغير مهذبة، وتظاهر بالجنون تماما لدرجة أن الملك والملكة خدعا بذلك؛ ولم يطرأ على ذهنهما أن حزنه على موت أبيه من الممكن أن يؤدى به إلى تلك الحالة، لأنهما لا يعرفان شكل الشبح، واعتقدا أن سبب ذلك هو الحب، واطمأنا إلى معرفة أسباب الموضوع.

ذلك أن هاملت قبل أن يقع فى هذه الحالة من الحزن. كان قد أحب فتاة جميلة تدعى أوفيليا، ابنة بولونيوس، رئيس وزراء الملك.

كان يرسل إليها خطابات وهدايا، معربا عن حبه لها: فاطمأنت هى إلى حبه . إلا أن الظروف الأخيرة التعيسة جعلته يهملها، ومنذ اللحظة التى تظاهر فيها بالجنون، كان يعاملها بخشونة وبشئ من عدم الاهتمام.

أما هى فلكونها فتاة طيبة، لم توجه إليه اللوم لمعاملته لها هكذا، بل أقتنعت نفسها بأن سبب ذلك فقط هو مرضه العقلى الذى يجعله لا يأخذها بعين الرعاية كما كان من قبل. وأخذت تقارن بين صفات عقله النبيل- برغم أنها ضعفت بسبب الحزن العميق الذى يعتريه - وبين الأجراس الموسيقية الجميلة، التى تصدر عنها نغمات جميلة، وعندما لا يعزف عليها عزفا صحيحا تصدر عنها نغمات فجة وأصوات مزعجة.

وبرغم أن ما يشغل ذهن هاملت هو الانتقام لوالده من قاتله، لم يكن يسمح له بالتفكير فى الحب، إلا أنه كان يفكر أحيانا بإخلاص فى أوفيليا.

فى إحدى هذه اللحظات، عندما تبين له أنه يعامل هذه الفتاة الرقيقة بقسوة شديدة، كتب لها خطابا مليئا بالكلمات الخشنة، لتتفق مع حالة جنونه المزعوم، لكن بها بعض اللمسات الرقيقة، وأظهرت تلك الرسالة للفتاة النبيلة مدى الحب العميق الذى يكنه لها فى أعماق قلبه، فكتب لها أنه بإمكانها أن تشك بأن النجوم ما هى إلا شعلة نار، وأن تشك فى أن الشمس تتحرك، لكن ليس بإمكانها أن تشك أبدا فى أنه يحبها! .

أطلعت أوفيليا والدها على هذا الخطاب، فشعر أن من واجبه أن يطلع الملك والملكة عليه، ومنذ تلك اللحظة، اعتقدا أن السبب الحقيقى لجنون هاملت هو الحب، وتمنت الملكة أن يكون جمال أوفيليا هو سبب تلك الحالة الغريبة، وأملت أن تستطيع بعطفها أن تعيده إلى حالته الطبيعية.

كان مرض هاملت أكثر عمقا مما افترضت ولا يمكن شفاؤه بالحب. فما زال شبح والده يسيطر على خياله، والقرار الحاسم بالأخذ بالثأر لا يترك له فرصة ليستريح . فكل ساعة تأخير تبدو له نوعا من التقصير. مع العلم بأن مسألة قتل الملك ليست بالمسألة السهلة؛ لأنه كان دائما محاطا بحراسه. وإذا لم يتواجدوا فوالدة

هاملت تكون معه دائما وسيمنعه ذلك من فعل ما يريد. هذا بالإضافة إلى أن مسألة قتل إنسان كانت كريهة وفظيعة لشخص مثل هاملت يتميز بطبع شديد الرقة. كما أن حزنه أصابه بالضعف وقلل من عزيمته. كما أنه لم يستطع مقاومة الشك فيما إذا كان الشبح الذى رآه هو والده الحقيقى، أم شيطان اتخذ هيئة والده فقط؛ ليستغل ضعفه وتعاسته استغلالاً مجحفا حتى يدفع به إلى ارتكاب جريمة قتل، عندئذ قرر أنه لابد أن يحصل على مزيد من البراهين أكثر تأكيدامن التى قالها له الشيطان، أو الشبح التى ربما قد تكون زائفة.

وبينما كان هاملت يعانى من حالة التردد هذه وصلت إلى القصر مجموعة من الممثلين كانوا يمتعون هاملت بعروضهم من قبل. وكان دائما يعجب بمونولوج حزين كان يلقيه أحدهم وهو يصف قتل الملك بريام العجوز ملك "تروى"، وحزن هيكوبا مليكته عليه.

رحب هاملت بأصدقائه الممثلين الأعزاء، وطلب من الممثل إذا كان بإمكانه أن يلقى ذلك المونولوج على أسماعه، ففعل ذلك بطريقة رائعة بثت الحياة فى المشهد.. ووصف القتلة الشنعاء للملك العجوز الضعيف، وتدمير شعبه ومدينته بالحرق، ووصف الحزن المجنون للمكلة العجوز، وجريها حافية القدمين خارج القصر، وتعلو رأسها قطعة قماش قصيرة بدلا من التاج، وأخرى تستر جسدها بدلا من الثوب الملكى الذى كانت ترتديه من قبل. لم يستدر المشهد دموع جميع المشاهدين فقط، وهم يتخيلون المشهد الحقيقى، بل أثر ذلك فى الممثل نفسه الذى تهدج صوته وانسابت دموعه الحقيقية..

جعل هذا المشهد هاملت يفكر بأن الممثل إذا كان يستطيع أن يضيف مثل هذا الاحساس العظيم إلى مجرد قصة، ويبكى متأثرا من أجل هيكوبا التى ماتت منذ مئات السنين، أفلا يتأثر هو إذن وقد ترك ثأره يرقد نائما كل ذلك الوقت فى نسيان بليد!؟.

وبينما كان يفكر فى التمثيل والممثلين، وقوة التأثير التى يمكن أن تضيفها مسرحية جيدة على المشاهدين، تذكر موقفا لأحد القتلة، رأى مشهد قتل على المسرح، فتأثر من عمق المشهد حتى أنه اعترف على الفور بجريمته التى اقترفها، فعزم على أن

يقدم هؤلاء الممثلون مسرحية تتشابه فى أحداثها مع أحداث مقتل أبيه أمام عمه، ويراقب عن كثب ليرى الأثر على الملك، حتى يستطيع أن يكون على يقين أكثر عما إذا كان هو القاتل أم لا، فأمر بتجهيز المسرحية، ودعا الملك والملكة لمشاهدة العرض.

كانت قصة المسرحية عن مقتل دوق فى فيينا. اسم الدوق جونزاجو، واسم زوجته بابتستا، وتعرض المسرحية كيف أن لوسيانوس وهو على صلة قرابة بالدوق قام بدس السم له وهو فى الحديقة، ليحصل على ثروته، وكيف أن القاتل استطاع فيما بعد أن يفوز بحب زوجة جونزاجو.

عندما عرضت المسرحية كان الملك، الذى لا يعلم شيئا عن الفخ الذى نصب له، حاضرا هو والملكة وكل رجال البلاط. وجلس هاملت بالقرب منه منتبها له ليراقب ردود أفعاله. بدأت المسرحية بحوار بين جونزاجو وزوجته، وأبدت الزوجة فى هذا الحوار، العديد من وعود الحب، قالت إنها لن تتزوج أبدا من زوج آخر لو أن حياتها امتدت أكثر من حياته، ولو حدث أنها ارتبطت بزوج آخر فإنها ستكون سيدة ملعونة. وأضافت أنه لا تفعل ذلك إلا امرأة قتلت زوجها الأول.

شاهد هاملت تغير لون وجه الملك عند سماعه لتلك الكلمات، وأحس أن وقعها كريه على كليهما، هو والملكة. لكن عندما أقبل لوسيانوس، طبقا لأحداث القصة، ليدس السم إلى جونزاجو النائم فى حديقته، وكان ذلك مماثلا لفعلة عمه الخسيسة تجاه الملك الراحل، انتفض ضمير كلوديوس بشدة لدرجة أنه لم يستطع تكملة مشاهدة بقية المسرحية وأمر بأن تضاء الأنوار، وتظاهر أو أحس بمرض مفاجئ، وترك المسرح سريعا. وبعد أن انصرف، توقف عرض المسرحية.

فى هذه اللحظة تيقن هاملت بما فيه الكفاية مما جعله مقتنعا بصدق كلمات الشبح وأقسم لهوراشيو أنه لابد أن يصدق كل ما قاله. وقبل أن يفكر فى الطريقة التى سينتقم بها، بعد أن تأكد أن عمه هو قاتل أبيه، استدعى لمقابلة الملكة، أمه، للقاء خاص فى حجرتها.

كانت تلك هى رغبة الملك فى استدعاء الملكة لهاملت، حتى تخبر ابنها كيف أن تصرفه الأخير قد أساء لكليهما. ولما كان الملك يريد أن يعرف كل ما دار فى هذا اللقاء، واعتقادا منه أن أم هاملت من المحتمل ألا تقص عليه كل ما قاله هاملت، أمر بولونيوس العجوز أن يختبئ خلف ستائر حجرة الملكة، حيث يمكنه من مكمنه.أن يسمع كل ما يدور بينهما من حوار.

وبمجرد دخول هاملت، بدأت أمه تتهمه بأنه تصرف بشكل سيئ، وأخبرته أنه أساء إساءة بالغة إلى والده (تقصد عمه الملك) لأنها بزواجها منه، فإنها تدعوه والد هاملت. غضب هاملت لأنها منحت لقبا غاليا ونبيلا، وهو لقب الأب، لواحد لم يكن فى الواقع أكثر من قاتل والده الحقيقى، ورد عليها بحدة : " أمى، لقد أسأت إلى والدى كثيرا!".

فقالت الملكة : " هذه إجابة جوفاء".

فقال هاملت: " جوفاء بنفس الدرجة التى يستحقها السؤال!". فسألته الملكة عما إذا كان نسى إلى من يتكلم؟.

أجاب هاملت : " يا للآسف. كم كنت أتمنى أن أنسى، أنك الملكة، زوجة أخ زوجك ، وأنت أمى. لكم كنت أتمنى ألا تكونى ما أنت عليه".

قالت الملكة: " إذن، لو أنك لا تعرف كيف تبدى الاحترام الكافى، فسأحضر لك أولئك الذين يعرفون كيف يتكلمون معك". وكانت على وشك أن ترسل إليه الملك أوبولونيوس.

لكن هاملت لم يدعها تذهب: ليستغل فرصة وجوده معها وحدها، حتى يرى ما إذا كانت كلماته قد جعلتها تدرك الحياة القذرة التى تحياها، فأمسكها من معصمها وجذبها بشدة وأجلسها.

ولما كانت مرتعبة من سلوكه العنيف، وتخشى أن يصيبها بأذى فى ثورة جنونه، فصاحت ، وسمع صوتا من خلف الستائر يصيح: النجدة، أنقذوا الملكة!.

عندما سمع هاملت ذلك، ظن أنه الملك نفسه وقد اختفى هناك. فاستل سيفه وسدده إلى المكان الذى صدر منه الصوت، كما يسدده تجاه أرنب.. وأخيراً توقف الصوت وتأكد هاملت أن الشخص مات، وعندما سحب الجثة من خلف الستائر، اكتشف أنه ليس الملك، بل بولونيوس الوزير العجوز، الذى اختبأ فى ذلك المكان ليراقب سرا.

صاحت الملكة فى تعجب شديد : " يا للمصيبة! يا لها من فعلة شنيعة نكراء قمت بها" .

فأجابها هاملت : " فعلة نكراء، يا أمى، لكنها ليست فى مثل سوء فعلتك، التى تسببت فى قتل الملك، والزواج من أخيه!" .

تحدث هاملت كثيرا فى هذه النقطة. فقال : إن أخطاء الآباء ينبغى أن يتقبلها الأبناء بنوع من الرضا؛ لكن فى حالة جريمة كبرى مثل هذه، يمكن للابن أن يتكلم بمنتهى القسوة مع أمه. طالما أن القصد من هذه القسوة، هو صالحها وإعادتها إلى الطريق القويم..

وأوضح لها الأمير فى كلمات مؤثرة، مدى ما هى فيه من خسة لتنكرها للملك الراحل، والده حتى تقدم على الزواج بعد فترة قصيرة من مقتله، من أخيه المتهم بقتله . إن مثل هذا التصرف بعد الوعود القاطعة التى وعدت بها زوجها الأول، يجعل المرء يشك فى كل وعود النساء، وكل ما يدعينه من فضيلة، وما الدين عندهن إلا تشدق بالكلمات، وقال إنها ارتكبت فعلا يغضب السموات، وتتقزز منه الأرض!.

أراها صورتين، صورة للملك الراحل، زوجها الأول، والثانية للملك الحالى، زوجها الثانى، وطلب منها أن تلاحظ الفرق. يا للسماحة التى تعلو وجه والده! وكيف يبدو عظيما !. ثم أراها صورة الآخر الذى اتخذته بديلا له، وكم كان يبدو قبيحا عليلا؛ لأنه دمر حياة أخيه الطيب.

شعرت الملكة بخجل مرير؛ لأنه بهذه الطريقة حول ناظرها إلى داخل نفسها، فاكتشفت فى تلك اللحظة كم هى سوداء القلب شريرة!.

عندئذ سألها هاملت كيف يمكن لها أن تواصل الحياة مع رجل مثل هذا وتكون زوجة له، ذلك الذى قتل زوجها الأول، واستولى على العرش، بنفس الوسائل الزائفة التى يستعملها اللصوص..

وعندما كان هاملت يتكلم، دخل الحجرة شبح والده، فى الهيئة التى كان عليها أثناء حياته، والتى رأها هاملت أخيرا، فسأله هاملت فى هلع شديد عما يريده. فقال الشبح إنه جاء ليذكره بالثأر الذى وعد هاملت بتنفيذه، ويبدو أنه نسيه، وقال له الشبح أيضا أن يتحدث إلى والدته وإلا فإن حزنها وخوفها سوف يقتلانها. بعد ذلك اختفى، ولم يكن يراه إلا هاملت فقط.

وبغض النظر عن تحديد المكان الذى كان يقف فيه أو وصفه، فإن ذلك لم يكن يجعل الأم تستطيع رؤيته، فقد انتابها رعب شديد طوال ذلك الوقت وهى تسمعه يتحدث إلى لا شىء، كما بدا لها، واعتقدت أن ذلك نتيجة لخلل عقله.

طلب منها هاملت ألا تكون بمثل هذه الخسة حتى تعتقد أن جنونه هو السبب الذى جعل روح أبيه تعود إلى الأرض، بل إن وقاحتها هى السبب فى ذلك، وسألها أن تستشعر ضربات قلبه، وكيف أنها منتظمة، وليست مثل ضربات قلب رجل مجنون . وتوسل إليها بعيون دامعة أن تسأل السماء العفو عن ماضيها، وترجو مستقبلا، عدم مصاحبة الملك، وألا تكون له زوجة بعد ذلك، وعندما تتصرف على هذا النحو وتبدو كأم له، وذلك باحترام ذكرى والده، سيطلب منها فى ذلك اللحظة أن تباركه كابن لها، ووعدت بتنفيذ ما طلبه منها وانتهت المقابلة.

بعد ذلك أصبح فى مقدور هاملت أن يتعرف إلى جثة القتيل الذى قتله خطأ نتيجة سوء الحظ ولاندفاعه وعندما اكتشفت أنه بولونيوس، والد الفتاة أوفيليا، التى يحبها كثيرا، بكى من جراء ما فعله!.

أعطى مقتل بولونيوس للملك مبررا لإرسال هاملت خارج المملكة. وكان يتمنى أن يجد سبيلاً لقتله؛ لأنه كان يشكل خطرا عليه، لكنه كان يخشى من الناس الذين أحبوا هاملت، وكذلك من الملكة التى كانت رغم أخطائها، تعبد ابنها الأمير. وادعى أنه حفاظا على سلامة هاملت وحتى لا يعاقب على قتل بولونيوس، أمر بمغادرته البلاد فوق ظهر

سفينة متجهة إلى إنجلترا تحت حراسة اثنين من رجال البلاط، وأرسل معهما رسالة إلى القصر الملكى فى إنجلترا (التى كانت فى ذلك الوقت تحت حكم الدنمارك) بها أمر بقتل هاملت بمجرد وصوله إلى أرض انجلترا؛ لمبررات خاصة ذكرها فى الرسالة.

أحس هاملت بشىء من الغدر، وعثر على الرسالة ليلا. فأزال اسمه ووضع بدلا منه اسم رجلى البلاط اللذين كانا فى حراسته، ثم أغلق الرسالة ووضعها حيث وجدها.

حدث بعد ذلك، أن هاجم القراصنة السفينة وبدأت معركة بحرية. أثناء القتال أراد هاملت أن يظهر شجاعته فقفز وسيفه فى يده إلى سفينة الأعداء. أما السفينة التى كان عليها فقد فرت بجبن وتركت هاملت يواجه قدره. ووصل رجلا البلاط إلى إنجلترا يحملان الرسالة التى استبدل فيها اسمه باسميهما حتى يلقيا حتفهما.

أثبت القراصنة أنهم أعداء شرفاء، فعندما عرفوا أن أسيرهم الأمير، طمعوا فى أنه ربما قد يفعل شيئا لصالحهم فى القصر عند عودته، إذا ما قدموا له أى معروف، وهكذا أنزلوه فى أقرب شاطئ دنماركى.

ومن ذلك المكان كتب إلى الملك، يخبره عن المصادفة الغريبة التى تسببت فى عودته إلى البلاد، وقال إنه سيصل إلى القصر فى اليوم التالى، وعندما وصل إلى مشارف البلدة، كان أول شىء وقع عليه بصره مشهدا حزينا جدا.

كان هذا المشهد هو جنازة الفتاة الجميلة أوفيليا حبيبته الغالية. فمنذ وفاة والدها بدأت الفتاة تفقد عقلها.. عانت كثيرا لأنه قتل بوحشية على يد الأمير الذى أحبته، حتى أنه لم يمض وقت طويل حتى أصيبت بالجنون تماما. فكانت تتجول فى القصر توزع الورد على السيدات وهى تقول إنها على روح والدها، وتغنى أغانى عن الحب والموت، وأحيانا أغانى بلا أى معنى على الإطلاق، كما لو أنها فقدت ذاكرتها تماما.

كانت هناك شجرة صفصاف تنمو عند مجرى ماء، تنعكس أوراقها وفروعها على صفحته. أتت إليها ذات يوم دون أن يلحظها أحد تحمل معها باقات من أوراق الشجر والأعشاب صنعتها بنفسها.. وتسلقت الشجرة لتعلق عليها هذه الباقات، تكسر فرع الشجرة، وسقطت فى الماء، وتعلقت ملابسها بأحد الفروع القريبة من سطح الماء لفترة

قصيرة، غنت أثناءها مقاطع من أغنية قديمة، وهى لا تدرك مصيرها التعس. وسرعان ما ابتلت ملابسها وأثقلها الماء، فغطست إلى القاع الموحل لتموت ميتة بائسة! .

كانت مراسم جنازة تلك الفتاة الجميلة، قد بدأت عندما وصل هاملت، حيث تواجد الجميع، أخوها ليرتيس والملك والملكة وكل رجال البلاط.

فى البداية لم يكن يعرف لمن تلك المراسم، فوقف بعيدا غير راغب فى قطع هذه المراسم. ورأى زهورا منثورة فوق القبر، نثرتها الملكة بيدها وهى تقول: "زهور جميلة من أجل إنسانة جميلة!.. كان ينبغى أن أنثر هذه الزهور فوق سرير عرسك، أيتها الفتاة الحلوة، وليس فوق قبرك، وكان ينبغى أن تكونى زوجة ابنى هاملت!".

وسمع شقيقها يتمنى لو أن هذه الزهور تقفز من قبرها، ثم رآه يقفز داخل القبر وقد جن من الحزن ويطلب من حفار القبور أن يهيل عليه التراب حتى يدفن معها.

سرعان ما استعاد هاملت حب الفتاة الجميلة، ولم يستطع أن يتحمل رؤية أخيها يبدى مثل ذلك الحزن؛ لأنه يعتقد أنه يحب أوفيليا أكثر من أربعين ألف أخ، فاندفع من حيث يقف وقفز داخل القبر فى حالة جنونية أكثر مما كان عليها ليرتيس . وما أن رأى ليرتيس هاملت الذى كان سببا فى موت والده وأخته، انقض عليه قابضا على رقبته كأنه عدو، إلى أن فرقوا بينهما.

بعد انتهاء الجنازة اعتذر هاملت لإلقاء نفسه فى القبر. وقال إنه لم يستطع أن يتحمل رؤية أى أحد يعبر عن حزنه أكثر مما يبدى هو لموت أوفيليا ، وبعد فترة من الوقت، أصبح هذان الشابان النبيلان صديقين مرة ثانية.

أما الملك الشرير، عم هاملت فقد خطط لاستغلال حزن وغضب ليرتيس على والده وأوفيليا ليتخلص من هاملت، فأقنع ليرتيس بدعوة هاملت للمبارزة ليعرف من منهما أكثر براعة فى اللعب بالسيف فى مباراة ودية. وافق هاملت، وتحدد يوم للمبارزة .

حضر كل رجال البلاط هذه المبارزة، وأعد ليرتيس بناء على أوامر الملك سيفا مسمما. واختار هاملت سيفا عاديا ولم يشك أبدا فى أن يكون ليرتيس مخادعا،

وبالتالى لم يقم بفحص سيفه بعناية، علما بأن ليرتيس بدلا من استخدام سيف غير مدبب، استخدم سيفا مدببا ومسمما.

فى البداية لعب ليرتيس مع هاملت فقط وسمح له بإحراز بعض النقاط، فتظاهر الملك بالسرور لذلك وأثنى على نجاح هاملت، لكن ليرتيس سرعان ما ازداد غضبه فوجه ضربة قاتله إلى هاملت، بسلاحه المسموم، وأصابه بجرح مميت. أما هاملت، ولم يزل لا يعرف الحقيقة، فقد أصبح أكثر شراسة فقام باستبدال السلاح خلال القتال،، وامسك بسيف ليرتيس المسموم. وقام برد الضربة، التى وجهها إليه ليرتيس، وهكذا نال ليرتيس نفس الجزاء نظير خيانته.

فى هذه اللحظة صاحت الملكة بأنها قد سُمت إذ أنها قد شربت بالصدفة من الكأس الذى أعده الملك لهاملت كى يشرب منه إذا احتاج أثناء المبارزة، ووضع فيه سما قاتلا ليضمن موت هاملت، إذا فشل ليرتيس فى تحقيق ذلك. ونسى أن يحذر الملكة من هذا الكأس، الذى شربت منه فى ذلك الحين وماتت على الفور!.

فى تلك اللحظة، وقد انتاب هاملت إحساس بالغدر، فأمر بإغلاق الأبواب، حتى يكتشف الأمر، فأخبره ليرتيس ألا يجهد نفسه لاكتشافه الأمر؛ لأنه هو الشخص الخائن.. ولإحساسه بأن حياته ستنتهى بسبب الضربة التى وجهها إليه هاملت، اعترف بكل ما فعله. أخبر هاملت بالطرف المدبب المسمم للسيف، وقال له ليس أمامه إلا ساعة فى الحياة، ولا يوجد أى دواء يمكن أن يشفيه . واتهم الملك فى كلماته الأخيرة بأنه الشخص الذى خطط لكل هذه الأفعال الشريرة ثم طلب من هاملت أن يسامحه، ومات!.

عندما أدرك هاملت أن نهايته قربت، وعلم أنه ما زال بطرف السيف بعض السم، استدار فجأة إلى عمه الخائن ودفع بطرف السيف فى قلبه. وهكذا وفى بالوعد الذى وعده لروح أبيه، بأن ينتقم من القاتل الشرير!.

بعد ذلك، شعر هاملت بضيق فى تنفسه وبأن حياته تستلب منه، فالتفت إلى صديقه العزيز هوراشيو، الذى كان شاهدا على كل تلك الأحداث الحزينة. وهم هوراشيو بحركة كما لو كان يريد أن يقتل نفسه حتى يموت مع الأمير، لكن هاملت

توسل إليه أن يحيا، حتى يستطيع أن يحكى قصته للعالم. فوعده هوراشيو أن يروى الحقيقة كاملة، كواحد يعرف كل شيء مما حدث.

وهكذا توقف قلب النبيل هاملت عن الدق. واستودع هوراشيو بعيون دامعة روح الأمير الطيب، طالبا له رعاية الملائكة، ذلك أن هاملت كان أميرا رقيقا محبوبا، بسبب خصاله النبيلة التى تليق به كأمير، ولو أنه قد عاش، لكان بلا شك قد أثبت أنه أعظم وأروع ملك دنماركى! .

عطيل

كان للسيناتور الثرى برابانتيو، ابنة جميلة هى ديدمونة الرقيقة. وكان كثير من الرجال يودون الزواج منها؛ لأنها تتمتع بصفات حميدة كثيرة، كذلك لثرائها المتوقع. لكنها لم تشعر تجاه أى واحد من معجبيها برغبة حقيقية، وهم أبناء بلدها ومن لونها.. واختار قلبها رجلا أسود مغربيا، كان والدها معجبا به ويدعوه دائما إلى بيته.

وبالطبع لا يمكن أن نلوم ديدمونة على الإطلاق لاختيارها شخصا غير مناسب ليكون حبيبها. فبالرغم من أن عطيل كان أسود اللون، إلا أنه لم يكن ينقصه شيء يؤهله لحب تلك الفتاة الرائعة.

كان جنديا شجاعا. ومن خلال ما أظهره من بسالة فى تلك الحرب الشرسة مع الأتراك، رقى إلى رتبة قائد فى خدمة فنيسيا، وقدرته الحكومة ووثقت به.

كان كثير الأسفار، وكانت ديدمونة (كعادة النساء) تحب سماعه وهو يحكى عن مغامراته، كان يصف المعارك التى شارك فيها، والأخطار التى تعرض لها فى البر والبحر، ونجاته بأعجوبة: وكيف أُخذ أسيرا من قبل العدو، وبيع كعبد، ثم كيف هرب. ثم يحكى عن مشاهداته العجيبة التى شاهدها فى البلاد الأخرى، الصحارى الهائلة، الكهوف، الصخور والجبال التى تناطح قممها السحاب، والشعوب المتوحشة من آكلى لحوم البشر، وتلك السلالة من القبائل الإفريقية التى تنمو رؤوسهم بين أكتافهم!

جذبت هذه الحكايات عن الأسفار، انتباه ديدمونة كثيرا، حتى أنها، إذا كانت تستدعى لأمر ما من شئون البيت، سرعان ما كانت تنتهى منه، وتعود بأذن نهمة لتسمع المزيد من هذه الحكايات.

ذات مرة طلبت منه أن يحكى لها قصة حياته كلها، التى سمعتها من قبل ولكن على أجزاء، وافق على القيام بذلك، وجعلها تذرف دمعا كثيراً، عندما تحدث عن بعض المواقف الصعبة التى تعرض لها فى شبابه!

عندما انتهت هذه الحكاية، أقسمت أنها كلها غريبة جدا، ورائعة ومثيرة للشفقة. وقالت إنها لم تكن تتمنى أن تسمعها، وتمنت لو أنها كانت رجلا مثله. بعد ذلك شكرته، وقالت له لو كان لديه صديق يحبها، فينبغى عليها أن يعلمه فقط كيف يقص حكايته، وذلك كفيل بأن يجعله يفوز بها. عندما قالت ذلك ببساطة وأمانة، فهم عطيل ما تعنيه، فتكلم بصراحة أكثر عن حبه لها، وحصل على موافقة الفتاة الرائعة ديدمونة على الزواج به سرا.

لم يكن لون عطيل ولا ثروته من الأشياء التى يضعها برابانتيو فى اعتباره لقبوله زوجا لابنته. فلقد ترك الحرية لابنته، لكنه كان يتوقع أن تختار زوجا لا يقل مرتبه عن سيناتور مثلما تفعل معظم الفتيات الفنيسيات. لكنه خدع فى هذه النقطة بالذات. فقد أحبت ديدمونة المغربى. برغم أنه أسود، ووهبت قلبها لصفاته الشجاعة. حتى لونه، الذى كان يمثل اعتراضا من المستحيل التغلب عليه بالنسبة للفتيات الأخريات، كان محل تقدير من جانبها أكثر من لون البشرة الأبيض والوجوه السمحة لكل الشبان الفنيسيين النبلاء الذين كانوا يودون زواجها.

عقد زواجهما سرا، ولكنه لم يعد سرا بعد فترة وعندما وصل ذلك إلى سمع الرجل العجوز برابانتيو، فى اجتماع مهم لمجلس الشيوخ. هاجم عطيل واتهمه بأنه فاز بحب ديدمونة بواسطة السحر، وسحرها لتتزوجه دون موافقة والدها.

لكن حدث فى تلك الفترة أن كانت الدولة فى حاجة إلى خدمات عطيل، فقد وصلت أنباء بأن سفنا تركية كثيرة ضخمة، فى طريقها إلى جزيرة قبرص، بقصد استعادتها من الفنيسيين، الذين كانوا يسيطرون عليها آنذاك. وكان الاعتقاد السائد أن عطيل هو أنسب رجل يستطيع الدفاع عن قبرص ضد الأتراك. وهكذا دعى عطيل للمثول أمام المجلس، لأمرين أولهما كقائد يحتاجون إليه فى مهمة رسمية خطيرة، وثانيهما كمجرم متهم بالقيام بأعمال ضد قوانين فنيسيا، ويمكن بسببها أن يحكم عليه بالإعدام.

استمع الشيوخ بصبر وأناة إلى برابانتيو، تقديرا لسنه وشخصيته. فوجه العديد من الاتهامات القاسية الفظيعة إليه. لكن عطيل برغم ذلك عندما قام ليدافع عن نفسه، لم يكن فى حاجة إلا لسرد قصة بسيطة عن ظروف حبه. فحكى بالضبط كيف كسب حب ديدمونة، كما سبق وذكر، وكان يدعم حديثه نوع من النبل والأمانة حتى أن رئيس المجلس لم يستطع مقاومة الاعتراف بأن قصة تحكى بهذه الطريقة لابد أن يكسب بها قلب ابنته أيضا. وسرعان ما اتضح تماما أن عطيل، فى عرضه حبه على ديدمونه قد استخدم الأسلوب الشريف الذى يستخدمه الرجال أما السحر الذى استخدمه فهو قدرته على سرد قصته بنعومة ليكسب قلب فتاته.

وقد ثبتت صحة ما قرره عطيل من خلال ما قالته ديدمونة نفسها. فقد حضرت إلى المجلس، واعترفت صراحة بالتزامها نحو والدها لأنه منحها حق الحياة والتعليم، وطلبت منه أن يسمح لها بالاعتراف بواجب رفيع نحو سيدها وزوجها.

ولما لم يستطع السيناتور العجوز إدانة عطيل، دعا المغربى واعتذر له بعبارات تنم عن الأسف، وإزاء ما تستوجبه الضرورة سلم ابنته له. وقال إن له مطلق الحرية فى أن يردها إليه، لكنه سيزوجها له بكل حب، وأضاف بأنه سعيد جدا لعدم وجود ابنة أخرى لديه. لأن سلوك ديدمونة كان سيؤدى به إلى أن يكون قاسيا.

بعد التغلب على تلك المشكلة، وعدهم عطيل بإنهاء مسألة حرب قبرص سريعا، أما ديدمونة وقد فضلت الشرف الذى منح لزوجها، على المتع التى يتمتع بها حديثو العهد بالزواج، فوافقت بكل ترحيب على قيامه بتلك المهمة، إذا سمح لها أن تذهب معه!.

لم يكد عطيل وزوجته ينزلان بأرض قبرص، حتى جاءت الأنباء بأن عاصفة اجتاحت السفن التركية وشتتها، وهكذا أصبحت الجزيرة آمنة ولا يخشى عليها من أى هجوم مفاجئ. لكن الحرب التى كان على عطيل أن يعانى منها كانت قد بدأت بالفعل، حيث بدأت ألسنة أعدائه الشريرة تلوك سيرة السيدة الفاضلة وأثبتوا أنهم أكثر خطرا من الأتراك.

لم يكسب ثقة عطيل الكاملة من بين كل أصدقائه سوى ميشيل كاسيو. ذلك الجندى الشاب من فلورنسا، وكان يمتاز بالمرح، والمظهر الجيد، والحديث اللطيف،

والتعامل الرقيق مع النساء، كان من النوع الذى يمكن أن يثير غيرة رجل عجوز (مثل عطيل) الذى تزوج من فتاة حلوة جميلة. لكن عطيل كان خلوا من تلك الغيرة لكونه رجلا نبيلا، ولا يتخيل أن يشك فى أى تصرف، طالما هو لا يفعل ذلك.

كان عطيل قد استخدم كاسيو رسول غرامه إلى ديدمونة، لأن عطيل كان يخشى ألا تكون لديه القدرة على الحديث الطلى الذى يسعد النساء، ووجد هذه الإمكانية عند صديقه، وأحيانا كان يطلب من كاسيو أن ينقل إليها مشاعره الغرامية. وهذا التصرف البسيط لا يعيب شخصية المغربى الشجاع، بل هو نوع من الأمانة، فلا غرابة - إذن - أن تثق ديدمونة الرقيقة فى كاسيو وتحبه مباشرة بعد عطيل.

وبعد أن تزوج عطيل ديدمونة، لم يتغير سلوكهما نحو ميشيل كاسيو. فكان يزورهما دائما فى البيت، وأصبح حديثه المنطلق المسلى بمثابة نوع من التغير لعطيل، الذى كان جادا بطبعه. وكانت ديدمونة وكاسيو يتحادثان ويتضاحكان معا، كما فى الأيام التى كان يذهب فيها إليها لينقل لها مشاعر عطيل العاطفية.

رقى عطيل كاسيو إلى رتبة أعلى، وعين فى منصب هام وأصبح محل ثقة، وقريبا من الجنرال نفسه. ولقى ذلك معارضة شديدة من ياجو، وكان ضابطاً قديماً وأعتقد أنه أحق بذلك المنصب من كاسيو، وكان دائما يسخر من كاسيو، ويصفه بأنه لا يصلح إلا لمصاحبة النساء، وليست له أية صلة بفن الحرب، أو يعرف كيف يجهز جيشا، وأن معرفته لذلك لا تتعدى معلومات فتاة.

كان ياجو يكره كاسيو، وكان يكره عطيل أيضا، ليس لأنه فضل كاسيو عليه، بل لأن لديه شك غير أكيد بأن المغربى مغرم جدا بزوجته التى كانت تعمل وصيفة لديدمونة. اشتط به الغضب من أجل ذلك، وأخذ فكر ياجو الشرير يخطط لانتقام بشع، يؤدى إلى تدمير كاسيو والمغربى وديدمونة كذلك.

كان ياجو مخادعا ماهرا، ودارسا للطبيعة البشرية بعمق، كان يعلم أنه من دون تلك الآلام وأشدها تأثيرا على فكر الإنسان (بغض النظر عن تلك التى تتصل بالجسم الإنسانى) هى تلك التى تتصل بالغيرة، وما تسببه من آلام مبرحة. فلو أنه نجح فى أن يجعل عطيل يغار من كاسيو، فسيكون ذلك فى اعتقاده انتقاما هائلا، ومن الممكن أن ينتهى بموت كاسيو أو عطيل، أو كليهما، وهذا ما لا يعنيه.

كان اليوم الذى وصل فيه عطيل وزوجته، وكذلك وصلت فيه الأنباء بتشتيت سفن الأعداء، بمثابة عيد فى الجزيرة. فاشترك كل فرد فى هذا الاحتفال بمرح وبهجة. وتدفقت الخمر بوفرة، وشرب الجميع نخب عطيل الأسود، وزوجته الجميلة ديدمونة.

فى تلك الليلة كان كاسيو يقوم بنوبة الحراسة. وكان لديه أوامر من عطيل بمنع الجنود من الشرب كثيرا، حتى لا يحدث صخب وفوضى تزعج الناس أو تجعلهم يتأففون من وجود قوات الجيش التى وصلت حديثا إلى الجزيرة.

وبدأ ياجو فى تنفيذ خطته الشريرة فى تلك الليلة. فتظاهر بالإخلاص والولاء لسيده القائد وأقنع كاسيو أن يشرب كمية من الخمر (علما بأن هذه غلطة كبرى بالنسبة لضابط فى نوبة الحراسة). فى البداية تردد كاسيو، لكنه لم يستطع المقاومة لفترة طويلة، أمام ما أظهره له ياجو من الاطمئنان والأمان، فما كان منه إلا أن أخذ يشرب الزجاجة تلو الزجاجة من الخمر، بدأ لسانه فى الثناء على ديدمونة، وشرب نخبها مرة تلو أخرى، وهو يقول أنها أجمل امرأة، وهكذا إلى أن سيطرت الخمر عليه وفقد وعيه.

فى تلك اللحظة بعث ياجو بشخص آخر للعراك معه واستلت السيوف. لدرجة أن مونتانو ذلك الضابط النبيل جرح عندما تدخل لفض العراك. وعمت الفوضى والضجيج.

وكان ياجو الذى بدأ هذا الشغب، أول من أنذر به. فأمر بأن تدق أجراس القلعة، كما لو أن تمردا وقع بين الجنود، وليس مجرد عراك بسيط بين اثنين من السكارى. أيقظت الأجراس عطيل. وارتدى ملابسه على عجل، ووصل إلى مكان الأحداث، مستفسرا من كاسيو عما حدث.

فى هذه اللحظة، كان كاسيو قد عاد إلى وعيه، بعد أن خف تأثير الخمر عليه بعض الشىء، لكنه كان فى منتهى الخجل ليجيب. وادعى ياجو أنه غير راغب على الإطلاق فى اتهام كاسيو، لكنه مجبر على أن يفعل ذلك أمام رغبة عطيل، الذى طلب أن يعرف الحقيقة، فقدم تقريرا عن كل ما حدث (مغفلا الجزء الذى شارك به، والذى

لم يستطع كاسيو أو يتذكره بسبب الشراب الذى تناوله)، وذلك بطريقة تجعل موقف كاسيو ضعيفا. لكنه فى الحقيقة أظهره أكبر مما كان. وكانت النتيجة أن عطيل الذى كان يقدس النظام - اضطر إلى اعفاء كاسيو من المنصب الذى رقى إليه. وهكذا نجحت خدعة ياجو الأولى تماما، فقد أضعف الآن من قوة منافسه الكريه، وجعله يفقد منصبه، هذا بالإضافة إلى أنه سوف يستغل أحداث تلك الليلة السيئة الحظ فى المستقبل.

قال كاسيو لياجو بحزن شديد، وما زال يعتقد أنه صديقه، إنه كان أحمق للغاية حتى يحول نفسه إلى وحش. لقد تحطم تماما، فكيف يتسنى له أن يطلب من عطيل أن يعيده إلى منصبه مرة ثانية؟.. لابد أن يعترف له بأنه كان سكرانا. إنه يكره نفسه. ادعى ياجو أن كاسيو لم يرتكب حماقة كبيرة، قائلا إنه أو أى إنسان آخر، من الممكن أن يشرب كثيرا أحيانا، والآن ينبغى عليهما أن يحاولا إصلاح ما قد وقع. لقد أصبحت ديدمونة زوجة القائد الآن، وتستطيع أن تقنع عطيل بما تريد. وبالتالى ينبغى على كاسيو أن يتوسل إليها لتشفع له عند زوجها. وهى لن تمانع فى القيام بخدمة من هذا النوع، لما تتميز به من أمانة وطيبة، ويحصل كاسيو على مكانته لدى عطيل، ويكون الصدع الذى حدث فى علاقتهما سببا فى تقوية علاقتهما أكثر من ذى قبل. كانت هذه نصيحة ياجو المخلصة، إذا لم تكن تنطوى على أغراض خبيثة، كما سيظهر فيما بعد. امتثل كاسيو لنصيحة ياجو، وذهب إلى ديدمونة، التى اقتنعت بسهولة بالقيام بما طلبه منها. ووعدته بأن ترجو زوجها بالعفو عنه، وهى تفضل أن تموت على أن تتخلى عن خدمته.

وعلى الفور بدأت ديدمونة فى طلب ذلك من زوجها بطريقة لطيفة رقيقة، حتى أن عطيل الذى كان غاضبا جدا من كاسيو لم يستطع أن يوقفها، وعندما طلب منها أن تتريث، لأنه لم يمض وقت طويل للعفو عن شخص مذنب، لم تتراجع وأصرت على أن يصدر أمره بالعفو عنه الليلة القادمة أو صباح بعد الغد على الأكثر. وأوضحت له كيف كان كاسيو يبدو تعسا ومسكينا وحزينا. وقالت إن خطأه لا يستحق عقابا كبيرا

كهذا. ولما كان عطيل لا يزال رافضا، قالت: " ماذا! يا زوجى؟ .. أينبغى على أن أتوسل كثيرا من أجل كاسيو.. ميشيل كاسيو الذى كان يأتينى وينقل إلى مشاعرك الغرامية، وعندما كنت أقول شيئا ضدك غالبا ما كان ينحاز لصفك!.. أعتقد أننى لا أطلب منك إلا القليل. وعندما أريد أن أختبر حبك حقيقة، فإننى سأطلب شيئا ثقيلا". ولم يستطع عطيل أن يرفض توسلاتها، لكنه طلب منها، أن تترك له اختيار الوقت المناسب، ووعدها بأن يعيد ميشيل كاسيو إلى منصبه. حدث عندما دخل عطيل وياجو إلى حجرة ديدمونة أن وجدا كاسيو خارجا لتوه من الباب الآخر بعد أن توسل إليها لمساعدته. فقال ياجو بنوع من الخبث التام فى صوت منخفض، كما لو أنه يحدث نفسه: " لا يعجبنى ذلك!".

لم ينتبه عطيل كثيرا لما قاله ياجو، لأن اللقاء الذى حدث بينه وبين زوجته فى الحال، محا أى شك من ذهنه، لكنه تذكر ذلك فيما بعد. ذلك أنه بعد انصراف ديدمونة سأله ياجو - وكان يريد أن يستوثق من شىء ما لنفسه فقط- عما إذا كان ميشيل كاسيو، عندما كان عطيل يحاول كسب عواطف ديدمونة لتصبح زوجته، يعرف شيئا عن حبه.

فقال عطيل، إنه يعرف، وأضاف إنه غالبا ما كان يستعمله كرسول لغرامه، وبدا التفكير العميق على ياجو، كما لو أنه فهم الكثير عن مشكلة صعبة وصاح قائلا : "حقا..؟".

أعاد ذلك إلى ذهن عطيل الكلمات التى نطق بها ياجو عند دخولهما الحجرة، عندما رأى ديدمونة مع كاسيو، وبدأ يفكر أن ثمة معنى لكل ذلك، لأنه كان يعتبر ياجو شخصا سويا، يكن له الحب والإخلاص.. وما كان يبدو أنه خدع من شخص كاذب، بدأ من خلال ياجو على أنه تصرف طبيعى من إنسان مخلص أمين، لذا طلب عطيل من ياجو أن يقص عليه ما يعرفه، ويصوغ أسوأ أفكاره فى كلمات.

قال ياجو: " وماذا يحدث، لو أن بعض الأفكار الخبيثة وجدت طريقها إلى قلبى، وكأنه القصر الذى لا يُسمح فيه بدخول شىء سيئ؟!".

عندئذ استمر ياجو فى حديثه قائلا، إنه سيكون شيئا مؤسفا لو حدثت أى متاعب لعطيل بسبب ملاحظاته غير الدقيقة، وليس فى مصلحة عطيل أن يتعرف إلى أفكاره، ولا داعى الآن يتعرض أولئك الناس ذوو السمعة الطيبة لأدنى شك.

عندما وصل حب الاستطلاع عند عطيل حد الجنون تقريبا من جراء هذه التلميحات، طلب منه ياجو - وكأنه يعمل على راحة عطيل - أن يحترس من الغيرة. وهكذا استطاع هذا الشيطان بمهارة أن يؤجج الشكوك فى عطيل، بتحذيراته التى تظاهر بتقديمها له لتهدئ من مثل هذه الشكوك.

قال عطيل: " أنا أعلم أن زوجتى جميلة، وتحب الصحبة، والمرح، والحديث المنطلق، والغناء واللعب، وترقص جيدا : وهذه كلها أشياء طيبة، ولابد أن تتوافر حيث توجد. يجب أن أجد الدليل، قبل أن أفكر فى خيانتها".

عندئذ، أعلن ياجو، كما لو أنه كان سعيدا بأن عطيل يتباطأ فى تصديق أن زوجته قامت بفعل أى شىء خاطئ، وأعلن بصراحة أنه ليس لديه دليل. لكنه طلب من عطيل، بشكل ما، أن يراقب سلوكها جيدا عندما يكون كاسيو موجودا. لا ينبغى أن يكون غيورا، ولا ينبغى أن يكون واثقا جدا من نفسه، لأنه (أى ياجو) يعرف الكثير عن السيدات الإيطاليات لأنهن نساء بلده، أكثر مما يستطيع عطيل أن يعرف. وقال، إن النساء فى فنيسيا يدعن السماء تطلع على خداعهن التى لا يجرؤن على اطلاع أزواجهن عليها. استطاع بكل مهارة أن يفترض أن ديدمونة خدعت والدها، عندما تزوجت من عطيل، واحتفظت بذلك سرا حتى أن الرجل العجوز المسكين تخيل أن ثمة سحرا قد استخدم، تأثر عطيل كثيرا بهذه المناقشة، لأنها، إذا كانت قد خدعت والديها، فلماذا لا تخدع زوجها؟ .

اعتذر ياجو لعطيل لأنه سبب له إزعاجا. لكن عطيل، تظاهر بعدم الاهتمام، بينما هو فى الحقيقة يرتج بحزن داخلى بسبب كلمات ياجو، وطلب منه أن يستمر.

وتكلم ياجو وهو يغلف كلامه بكثير من الاعتذارات، كما لو أنه لا يريد أن يثبت أى شىء ضد كاسيو، الذى كان يدعوه صديقه.

أخذ يُذكر عطيل بأن ديدمونة رفضت الكثير من الأزواج المناسبين من بلدها ولونها، وتزوجت به، وهو المغربي. وهذا يظهر أنها غير طبيعية ولها إرادة محددة. وعندما عادت إلى طبيعتها من المحتمل أنها أخذت تقارن بين عطيل وبين الوجوه السمحة لأولئك الشبان الإيطاليين من بلدها. وأنهى حديثه ناصحا عطيل بأن يؤجل مسألة العفو عن كاسيو لبعض الوقت، وفي نفس الوقت يرى عما إذا كانت ستطلب منه ديدمونة بلهفة أن يعفو عنه، ومن خلال ذلك تتضح الكثير من الأمور.

بهذه الطريقة الشريرة استطاع هذا النذل الشرير وبمهارة أن يخطط لاستخدام الخصال النبيلة لتلك السيدة لتحطيمها، وينسج لها شبكة من خلال خصالها الطيبة ليوقعها فيها. في البداية، شجع كاسيو ليتوسل إليها أن تساعده، ومن خلال ذلك خطط لتحطيمها. انتهت المقابلة وياجو يطلب من عطيل أن يثق بأن زوجته بريئة، حتى يكون لديه دليل أكيد، ووعده عطيل بأن يكون صبورا.

ومنذ تلك اللحظة أصبح عطيل المخدوع لا يعرف طعم السعادة. ولم يستطع شيء أبدا أن يعيده إلى الطمأنينة الحلوة التى استمتع بها بالأمس فقط. بدأ يكره وظيفته. ولم يعد يجد متعة فى مهنة الحرب. أما قلبه، الذى اعتاد أن يبتهج لرؤية الجنود وهم على استعداد للقتال، ويهتز ويثب من مكانه عند سماع صوت الطبول، فيبدو أنه فقد كبرياءه وطموحه، الذى كان يسعد الجنود. وكذلك اختفى شغفه ومرحه القديم.

أحيانا كان يفكر بأن زوجته بريئة، وأحيانا أخرى كان يتخيل عكس ذلك.. أحيانا كان يعتقد أن ياجو على صواب، وأحيانا أخرى لا يرى أنه كذلك، ثم يتمنى لو أنه لم يكن قد علم بكل هذا. لو أنها تحب كاسيو، فإن ذلك لن يحدث أى فرق بالنسبة له لأنه لن يكون على علم بذلك. وبينما كانت الأفكار تمزقه، أمسك برقبة ياجو وطلب منه أن يثبت جرم ديدمونة، وإلا فإنه يهدده بالموت السريع لأنه افترى عليها كذبا.

تظاهر ياجو بالغضب، لأن أمانته فسرت خطأ، فسأل عطيل عما إذا كان قد رأى أحيانا منديلا مطرزًا بثمر التوت فى يد زوجته.

فأجاب عطيل: " بأنه هو الذى أعطاها هذا المنديل، وأنه كان أول هدية منه".

فقال ياجو : " لقد رأيت كاسيو يمسح به وجهه".

قال عطيل: "لو أنك تقول الحقيقة، فلن يهدأ لى بال حتى يبتلعها ثأرى، حتى أثبت إخلاصك، فأنا أتوقع أن يقدم كاسيو للموت خلال ثلاثة أيام. أما بالنسبة لذلك الشيطان الجميل (يعنى زوجته) فسوف أذهب إليها وأفكر فى وسيلة سريعة لموتها".

إن الأشياء التافهة تعتبر بمثابة براهين قوية كالوثائق بالنسبة لمن تحرقهم الغيرة. فلمجرد رؤية منديل من مناديل زوجته فى يد كاسيو كان مبررا كافيا للزوج المخدوع لكى يرسلها للموت، دون أن يسأل حتى كيف حصل كاسيو على هذا المنديل. أما ديدمونة فإنها لم تعط أية هدية لكاسيو، ولا حتى فكرت فى فعل شىء مثل هذا. لقد كان كاسيو ديدمونة بريئين.. ولقد سخر الوغد ياجو زوجته (وهى امرأة طيبة لكنها ضعيفة) لتسرق منديلا من ديدمونة، مدعيا أنه يريد أن يصنع واحدا مثله، وكان غرضه الأساسى أن يضعه فى طريق كاسيو وربما يجده، وبالتالى يفسر افتراض ياجو بأنه هدية من ديدمونة.

ذهب عطيل بسرعة للقاء زوجته، مدعيا أنه مصاب بصداع وطلب منها أن تعطيه منديلها ليربط به رأسه.

قدمت إليه منديلاً.

فقال عطيل: " ليس هذا، بل أريد ذلك المنديل الذى أهديته لك!".

لم تعثر عليه ديدمونة (لأنه سرق فى الحقيقة كما سبق وقلنا).

قال عطيل: " ماذا ! هذه غلطة فى الحقيقة فلقد أعطته امرأة مصرية لأمى. وقالت لها أنها طالما تحتفظ بهذا المنديل فإن أبى سيحبها.. وإذا فقدته أو أعطته لأحد، فإن حب أبى لها سيتغير، ومن المحتمل أن يكرهها بنفس القدر الذى أحبها به. وقبل أن تموت أمى أعطته لى، وقالت لى، لو أننى تزوجت، أعطيه لزوجتك، ولقد فعلت ذلك، تذكرى ذلك. وقلت لك حافظى عليه مثل عينيك!"

فقالت السيدة الخائفة: " هل هذا ممكن؟!".

فأكمل عطيل: " أنها حقيقة، إنه منديل سحرى".

عندما سمعت ديدمونة صفات ذلك المنديل الرائعة، كادت تموت رعبا، ولما أدركت تماما أنها فقدته، خشيت، أن تفقد زوجها الحبيب.

أصر عطيل على طلب المنديل. وعندما لم تستطع أن تقدمه له، حاولت أن تحول تفكير زوجها عن ذلك الموضوع. قالت له بنوع من البهجة أنها اكتشفت أن حديثه عن المنديل كان الهدف منه منعها من الحديث فى موضوع ميشيل كاسيو. وبدأت تمتدح سجاياه (كما قال ياجو أنها ستفعل). أخيرا، انفجر عطيل خارجا من الحجرة بجنون، وفى هذه اللحظة بدأت ديدمونة تشك على غير رغبة منها، فى أن زوجها يغار.

لم تستطع أن تفكر فى الأسباب التى دفعت به إلى ذلك، وبعدها لامت نفسها لاتهامها عطيل بذلك وفكرت أنه ربما تكون بعض الأنباء السيئة قد وصلت من فنيسيا، أو بعض المشاكل الحكومية، قد أدت به إلى أن يكون غاضبا. وقالت : " إن الرجال ليسوا على ما يرام، ولا ينبغى أن نتوقع منهم عندما يتزوجون مثل تلك الرقة، التى يبدونها لنا يوم الزواج."وعندئذ غضبت من نفسها لأنها حكمت على قسوته بنوع من القسوة.

عندما تقابل عطيل مع ديدمونة ثانية، اتهمها بوضوح أكثر، بأنها خائنة، وتحب رجلا آخر لم يذكر اسمه.

بكى عطيل، وقالت ديدمونه: " واحسرتاه!.. يا له من يوم حزين!.. لماذا تبكى؟!"

فقال لها عطيل: " أنه يستطيع أن يتحمل كل متاعب الحياة بشجاعة.. الفقر، المرض، العار.. لكن عدم اخلاصها حطم قلبه". وقال لها أنها مثل العشب الضار، رغم منظره الجميل ورائحته الذكية، وتمنى لو أنها لم تولد قط!".

عندما تركها، اندهشت هذه السيدة البريئة للغاية من شكوك زوجها غير الصادقة تجاهها وأحست بالإجهاد الشديد وشعرت برغبة فى النوم العميق فأخبرت خادمتها أن

تجهز لها الفراش، وقالت إن الناس عندما يعلمون أطفالهم، فإنهم يفعلون ذلك بأساليب رقيقة، وكان ينبغى على عطيل أن يلومها بهذه الطريقة. كانت تلك هى شكواها الوحيدة! .

توجهت ديدمونة إلى الفراش وهى تتوقع أن يلحق بها زوجها. لم تكد تستغرق فى نوم مضطرب حتى دخل عطيل الحجرة يملؤه قصد أسود بأن يضع حدا لحياة زوجته! .

عندما رآها نائمة، فكر بألا يريق دماءها أو يخدش بشرتها البيضاء، لكنه كان مصمما على قتلها بأية حال من الأحوال. وإذا لم يفعل (كما قال) فإنها سوف تعيش لتخون رجالا آخرين، كما كانت خائنة له. قبلها للمرة الأخيرة، وكانت قبلة حانية للغاية، حتى أنه أجبر على تقبيلها مرة ثانية!.. وبكى، لكنه قال إنها دموع قاسية.

استيقظت ديدمونة على قبلاته. ونظرت إلى عطيل فوجدته يعض على شفته السفلى ويدير عينيه، وكانت تعلم أنه يُخشى منه وهو فى مثل هذه الحالة. أخبرها بأن تستعد لملاقاة الموت، وتتلو صلواتها.

توسلت إليه هذه الزوجة البريئة وهى تحت رحمته، تطلب الشفقة بها، وتسأل عن ذنبها . عندئذ ذكر اسم كاسيو، والمنديل الذى (كما قال) أعطته له. وبمجرد أن، بدأت تشرح له، فجأة رفض أن يصغى للمزيد، وغطاها بملاءة السرير، وكتم أنفاسها حتى ماتت!! .

فى نفس اللحظة، أحضر كاسيو إلى البيت مجروحا وينزف.. فلقد أرسل ياجو أحد رجاله لقتله، لكنه لم ينجح، وأثناء عودته، قتل ياجو الرجل حتى لا يكتشف الأمر. ووجدت بعض الخطابات فى جيب ذلك الرجل تلقى بالذنب على ياجو وتظهر براءة كاسيو تماما.

ذهب كاسيو إلى عطيل يطلب منه العفو، ويسأله عن الشكل الذى أساء به إليه، حتى يوظف ياجو لقتله.

كان هذا الاكتشاف بمثابة صاعقة وقعت على عطيل. فأدرك بوضوح تام أنه لم يكن أكثر من قاتل لنفسه، وأن زوجته كانت مخلصة له. وجعله الألم العظيم والأسى الشديد، الذى نتج عن هذا الاكتشاف، يرى الحياة غير محتملة، فألقى بنفسه على سيفه ليرقد بجوار جثة زوجته الغالية ويموت أيضا!! .

هذه الأحداث الجسيمة ملأت قلوب الحاضرين بدهشة شديدة ورعب. فقد كان عطيل يتحلى دائما بسمعة طيبة، حتى خدع بخبث من رجل شرير، حيث لم تكن طبيعته النبيلة تسمح بالشك. فلقد كان زوجا محبا مخلصا.

لم يكن يحب بعقله، بل بكل عواطفه وأحاسيسه ومشاعره. وسالت عيناه المليئتان بالرجولة بدموع غزيرة عندما أدرك غلطته، برغم أنه لم يعتد على البكاء.. وعندما مات كانت أخلاقه الحميدة وأفعاله الطيبة هى الذكرى.

وبقى هناك شيئان كى يُنفذا. فلقد اتخذ القانون مجراه ضد ياجو، الذى حكم عليه بميتة قاسية، وأذيع فى الدولة وبين الناس خبر موت قائدهم العظيم الشهير.. عطيل!! .

"بركليس أمير تايْر"(*)

عزل بركليس، أمير تايْر من منصبه ونُفِى، لتجنب كوارث فظيعة، هدد أنتيجوس إمبراطور اليونان الرهْيب، بإنزالها على مواطنيه فى مدينة تايْر، انتقامًا منه، لإكتشاف الأمير للفعل الصادم الذى قام به الإمبراطور سرًا؛ الذى يكشف عن خطر يتضمن عدة جرائم خفية فظيعة. ترك الأمير حكمه ومواطنيه بين يدى وزيره المخلص القادر على تسيير الأمور، هليكانوس، وأبحر تاركًا تايْر، وفى تصوره أنه سيعود بعد فترة، عندما يهدأ غضب أنتجيوس الشديد عليه.

أول مكان توجه إليه بركليس كان تارتوس، حيث سمع أن مواطنيها يعانون من مجاعة قاسية، فأخذ معه إمدادات ليخفف من أزمتها. عندما وصل إلى المدينة اكتشف أنها تعيش فى محنة قاسية؛ وكان وصوله إليها بمثابة رسول من السماء، لم يكن من المتوقع إنقاذها، وقام كليون حاكم تارتوس بالترحيب به وتقديم خالص الشكر له. لم يمكث الأمير عدة أيام، حتى وصلته رسائل من وزيره المخلص، يحذره من أن بقائه فى تارتوس غير آمن، لأن أنتيجوس علم بمكان إقامته بواسطة جواسيس سريين وينوى قتله، بعد أن قرأ بركليس هذه الرسائل، أبحر ثانية من تارتوس، وسط دعاء أهل المدينة له. الذين ساعدهم فى محنتهم وقدم لهم الطعام.

بعد أن أبحر لمسافة قصيرة، هاجمت السفينة عاصفة عاتيه، وغرق كل من عليها إلا بركليس الذى جرفته الأمواج إلى شاطئ مجهول، ولم يكد يتجول فى المكان حتى قابله مجموعة من الصيادين الفقراء، فدعوه إلى سكنهم، وأعطوه ملابس، وقدموا له

(*) أو أمير المتاعب .

الطعام. أخبره الصيادون باسم بلدهم بنتابوليس، وملكهم يدعى سيمونديس، وعادة ما يسمونه سيموننديس الطيب، علم منهم أيضا أن للملك ابنة جميلة، وأن يوم الغد يوم عيد ميلادها، حيث يقام بهذه المناسبة احتفال كبير بالقصر، يحضره كثير من الأمراء والفرسان من كل المناطق لاستعراض مهاراتهم فى استعمال السلاح، للفوز بحب الأميرة الجميلة ثايسا، بينما كان بركليس يستمع لهذه الحكاية، تذكر فجأة فقدانه لسلاحه، الأمر الذى سيمنعه من أن يكون واحداً من هؤلاء الفرسان البواسل، إلا أن صياداً جاء ومعه سترة حربية كاملة، أخرجها من البحر بواسطة شبكته، التى تبين أنها نفس سترة وسلاح بركليس المفقودة. عندما ارتدى بركليس سترته الحربية الكاملة. قال: " شكراً، أيها الحظ، فقد وهبتنى شيئاً يرفع من معنوياتى بعض الشيء، بعد كل العقبات التى لاقيتها. فهذه السترة الحربية ورثتها عن والدى الراحل، ومن أجل ذكراه العزيزة، وحبى لها فقد كنت آخذها معى أينما ذهبت. وكنت ما أزال أحتفظ بها حتى فرق البحر الهادر بينى وبينها، وبعد أن استعدت هدوئى وقد أعادها البحر إلى ثانية، قدمت شكرى إلى البحر حيث عادت إلى هدية أبى، وبالتالى فقد أعتبرت أن تحطم سفينتى لا يعد مأساة أو سوء حظ.

فى اليوم التالى، ارتدى بركليس السترة الحربية لوالده الشجاع متوجها إلى قصر سيمونديس الملكى، وأبدى إعجابه بالاحتفال، وفاز بسهولة على كل الفرسان الشجعان والأمراء البواسل الذين نازلوه على شرف الفوز بحب الأميرة، كان الفرسان والنبلاء أثناء الاحتفال للفوز بحب ابنة الملك على علم بأن من ينتصر على الجميع. تقوم الأميرة التى أقيمت هذه المنافسة الشجاعة من أجلها، بتقديم كل احترامها وتبجيلها للفائز، ولم تتخلى ثاسيا عن هذه العادة، فقامت بصرف كل الأمراء والفرسان الذى انتصر عليهم بركليس، وخصته بمديح حار وتقدير، وتوجته بإكليل النصر، باعتباره ملك السعادة فى هذا اليوم؛ وأصبح بركليس هو الحبيب المقرب جداً لمشاعر الأميرة الجميلة منذ اللحظة الأولى التى رآها فيها.

سرعان ما أبدى سيمونديس الطيب إعجابه ببركليس لشجاعته ونبله، الذى كان بحق رجلاً مهذبًا للغاية ذا تعليم راق ومتميزًا فى كل الفنون، ورغم أنه لم يكن يعرف المرتبة الملكية لهذا الغريب (لأن بركليس خشية من أنتجيوس، لم يذكر شيئًا عن كونه أنه حاكم مدينة تاير)، إلا أن سيمونديس لم يتردد فى قبول هذا الشجاع غير المعرف ليكون زوجًا لابنته، عندما أدرك أن مشاعر ابنته راسخة تمامًا تجاهه.

لم تمر عدة شهور على زواج بركليس من تاسيا، حتى وصلته معلومات تفيد بأن عدوه أنتجيوس قد مات ؛ وأن رعيته فى تاير، نفد صبرهم لغيابه الطويل. وهددوا بالثورة، وتحدثوا عن تنصيب هيلكانوس حاكما على عرشه. هذه الأنباء وصلته من هليكانوس نفسه. الذى ظل مخلصًا لسيده، ولم يقبل هذا المنصب الرفيع الذى عرض عليه، لكنه أرسل إليه ليعرف نواياهم تجاهه. وبالتالى لابد أن يعود إلى وطنه ويستأنف حقه الشرعى. كان ذلك مفاجأة كبيرة وفرحة غامرة لسيمونديس، ليكتشف أن زوج ابنته (الفارس المجهول) هو أمير تاير غير المعروف ومن ثم اعتذر له بأنه لم يكن يعامله بالقدر الذى يستحقه كأمير ولما رأى عزمه على الرحيل مع زوجته، ابنته العزيزة، التى كان يخاف عليها من تقلبات البحر، لأن تاسيا تخشاه منذ أن كانت طفلة، فى حين كان بركليس يرغب فى أن تبقى مع والدها حتى تضع مولودها، لكنها كانت ترغب بشدة فى الذهاب مع زوجها، واتفقوا أخيرا على سفرها، آملين أن تصل إلى تاير قبل أن تضع مولودها.

لم يكن البحر صديقا مواتيا لبركليس التعس، فقبل أن يصلوا إلى تاير بمسافة بعيدة، هبت عاصفة شديدة، أصابت تايسا بالرعب والفزع، ومرضت، وبعد فترة صمت جائت وصيفتها ليشوريدا إلى بركليس تحمل طفلاً على ذراعيها لتخبر الأمير الحزين بأن زوجته ماتت فى اللحظة التى ولدت فيها طفلها، وقربت الطفل نحو أبيه، قائلة: " ها هو شىء صغير جدًا ليس فى المكان المناسب. هذا هو طفل زوجتك المتوفاة". لا يستطيع لسان أن يعبر عن المعاناة الفظيعة لبركليس عندما سمع بموت زوجته. وعندما استطاع القدرة على الكلام. قال: " آه، يا إلهى، لماذا تجعلنا نحب

هداياك الطيبة، ثم تنتزع هذه الهدايا؟" . فقالت ليشوريدا : " الصبر، يا سيدى العزيز، هذا كل ما بقى حيًا من سيدتنا المتوفاه، بنت صغيرة، ومن أجل خاطر ابنتك يجب أن تكون أكثر صلابة. الصبر، يا سيدى العزيز.. ، من أجل هذا الحمل الثمين، تناول بركليس ابنته الوليدة بين ذراعيه. وقال للطفلة الصغيرة: " أمل أن تكون حياتك سهلة، لأن الولادة الصعبة لا ينتج عنها أطفال أبدًا ! قد تكون أحوالك رقيقة وناعمة، لأنك عانيت أسوأ استقبال تعرض له وقابله طفل أمير! أمل أن يكون المستقبل سعيدًا ، لأنك تمتلكين طبيعة فطرية، مثل النار والهواء والماء والأرض، ويبدو أن السماء أنقذتك منذ أن كنت فى الرحم! فمنذ البداية، كان الفقدان (يقصد موت أمها) ولست ككل الأطفال السعداء، اللذين ستجدينهم على هذا الأرض التى أتيت إليها زائرًا جديدًا، كانت العاصفة لا تزال تزمجر بعنف، وكان لدى البحارة اعتقاد بأنه طالما هناك جسد ميت على سطح السفينة فلن تتوقف العاصفة أبدًا، فجاؤا إلى الأمير وطلبوا منه، بأنه لابد أن يلقى جثمان الملكة فى البحر، وقالوا له : " تشجع ؛ يا سيدى؟ فلينقذك الله؟" فقال الأمير الحزين، لدى من الشجاعة ما يكفى، فأنا لا أهاب العاصفة، فقد أصابتنى أسوأ إصابة، لكن ما أخشى عليه هو تلك الطفلة الحبيبة المسكينة، المسافرة الجديدة الوافدة على البحر، وأود أن تتوقف العاصفة". فقال البحارة: " سيدى، يجب القاء جثمان مليكتك إلى البحر . فالبحر فى أشد حالات هياجه، والريح تزمجر، ولن تتوقف العاصفة حتى تتخلص من الجثمان بالقاءه إلى البحر." ورغم أن الأمير كان يعرف مدى زيف هذا الاعتقاد، إلا أنه خضع لرأيهم، وقال: " أفعلوا ما هو ملائم، لا مفر إذن من التخلص منها من على سطح السفينة. يا للملكة المسكينة".

وذهب الأمير التعس ليلقى النظرة الأخيرة على زوجته الحبيبة، وبينما كان ينظر إلى ثاسيا، قال: " يا له من مخاض صعب عانيته يا عزيزتى، لا ضوء، ولا دفئ، تكالبت عليك كل الظروف الصعبة، ولا مجال لكى أقوم بدفنك فى قبرك بكل جلال وتقديس، بل ينبغى علينا أن نلقى بتابوتك فى البحر حيث يهمهم البحر فوق مرقدك وتغمر المياه جثمانك وأنت راقدة بجوار الأصداف. لايشوريدا، أطلبى من نستور أن يحضر الطيب، والحبر وورقة وصندوق المجوهرات، وأطلبى منه أن يحضر الكفن

الحريرى. ضعى الطفلة فوق وسادة صغيرة، واذهبى لتنفذى ذلك فوراً، بينما أقوم أنا بوداع ثاسيا بشكل مقدس".

أحضروا لبركليس صندوقًا كبيراً (مبطنًا بالحرير) فقام بوضعها فيه، ونثر فوقها طيبًا ذا رائحة ذكية، ووضع بجوارها كيس المجوهرات الثمينة، والورقة المكتوبة، التى تفيد من هى، داعياً لو أن أحداً أسعده الحظ ووجد هذا الصندوق الذى يضم جسد زوجته، فليتفضل بدفنها ؛ ثم قام بنفسه بإلقاء الصندوق فى البحر. عندما هدأت العاصفة، أمر بركليس البحارة بالتوجه إلى تارسوس، وقال : " لأن الطفلة لا يمكن أن تحمل الرحلة حتى يصلوا إلى تاير. وهناك فى تارتوس سوف أتركها للعناية بها".

بعد تلك الليلة العاصفة، وبعد إلقاء ثايسا فى البحر، وحينما طلع النهار، وبينما كان سرميون وهو رجل فاضل شريف وطبيب ماهر من إفيسيوس، واقفًا عند شاطئ البحر، أحضر له خدمة الصندوق، وقالوا إن أمواج البحر ألقته إلى الشاطئ. وقال أحدهم : " أنا لم أر موجة كبيرة مثل هذه تندفع إلى الشاطئ" أمر سرميون بنقل الصندوق إلى بيته، وعندما ثم فتحه، فوجئ برؤية جسد سيدة شابة جميلة ؛ ورائحة الطيب الذكية وصندوق المجوهرات، مما جعله يستنتج أنها شخصية عظيمة، تم دفنها بهذه الطريقة الغريبة، وبالبحث فى الصندوق، وجد الورقة، التى اكتشف منها أن الجسد المسجى ميتًا أمامه، هو جسد ملكة، وزوجة لبركليس أمير تاير، وتعجب كثيرا لغرابة هذه الصدفة، وأشفق كثيراً على الزوج الذى فقد هذه السيدة الجميلة، وقال: "لو أنك على قيد الحياة، يا بركليس، لكان قلبك انفطر من الأسى" ثم لاحظ بهدوء أن وجه ثاسيا، ينبض بالحيوية ولا يشبه وجوه الموتى المعتاد، فقال: " لقد تعجلوا بإلقائها فى البحر"، لأنه لم يصدق أنها ميتة. فأمر باشعال نار، وإعداد شراب منبه، وبعزف موسيقى هادئة، ربما تساعد فى تهدئة روحها الذاهلة. إذا قدر لها أن تعيش.

قال للمحيطين، الذين فى حيرة مما يرونه؛ " أرجوكم، أيها السادة، ابتعدوا لتسمحوا لها بالهواء، هذه الملكة سوف تعيش، فلم يمر عليها خمس ساعات، وأنا أرى، أنها بدأت تستعيد الحياة ثانية، إنها حية، انظروا، جفونها تتحرك. هذه المخلوقة الجميلة سوف تعيش وتجعلنا نبكى عندما نسمع حكايتها ". لم تمت ثايسا بعد ولادتها

لطفلتها، لكنها أصيبت باغمائه طويلة، جعلت كل من رأها يعتقد أنها ماتت، والآن وبفضل عناية هذا الرجل العطوف، استعادت حياتها، وفتحت عينها، وقالت : " أين أنا؟ أين مليكى؟ ما هذا المكان الذى أنا فيه؟" . وبالتدريج قام سرميون بشرح ما حدث لها، وعندما تأكد أنها قد استعادت وعيها بما فيه الكفاية، قدم لها الورقة التى كتبها زوجها، وكذلك صندوق المجوهرات، نظرت إلى الورقة، وقالت: " هذا خط زوجى. أتذكر أننا كنا على ظهر السفينة، أثناء ولادة طفلى، وبحق الآلهة لا أستطيع أن أتذكر ما حدث بعد ذلك، لكن منذ أن تزوجنا أنا واللورد الذى لن أراه فسوف أعيش حياة الزهد، ولن استشعر البهجة ثانية". فقال سرميون: " سيدتى : إذ كنت تعنين ما تقولين، فإن معبد ديانا ليس بعيداً عن هذا المكان، يمكنك أن تقيمى هناك. بالإضافة إذا سمحت، فإن ابنة أختى ستكون مرافقة لك." قبلت ثاسيا هذا العرض بوافر الشكر، وبعد أن تم شفاؤها تماماً، صحبها سرميون إلى معبد ديانا. وأصبحت رئيسة كاهنات المعبد، وأمضت أيامها فى أسى وحزن على زوجها المفترض أنه مفقود، وعاشت فى ورع وتقوى والقيام بالطقوس كل ذلك الوقت.

حمل بركليس طفلته (التى أسماها مارينا، لأنها ولدت فى البحر) إلى تارتوس، قاصداً أن يتركها عند كليون حاكم المدينة وزوجته ديونايزا، ونظراً لما قام به من مساعدة لهم أثناء محنتهم، اعتقد أنهم سيعاملون طفلته الصغيرة التى لا أم لها بمنتهى الرعاية والعطف . عندما رأى كليون الأمير بركليس، وسمع عن الخسارة الفادحة التى حلت به قال: " آه، طفلتك الجميلة، إن احضارك إياها إلى هنا ليسعد السماء، ولكى تنعم عيناى برؤيتها!" ، فأجاب بركليس: " لابد أن ننصاع لإرادة القوى العليا. أينبغى على أن أغضب وأزمجر مثلما فعل البحر معى، حيث ترقد ثاسيا، فالنهاية يجب أن تتم كما حدثت. إن طفلتى الرقيقة مارينا هنا، وأنا أعهد إليك برعايتها بحق محبتنا واخلاصنا. أنا أترك طفلتى فى رعايتك، وأتوسل إليك أن تقوم بتربيتها تربية ملكية. " ثم التفت إلى زوجة كليون ديونايزا، وقال لها : " سيدتى الكريمة، دعينى أطمع فى رعايتك لتربية طفلتى" فأجابت: " إن لدى طفلة أيضا ولن تكون أكثر إعزازا أو احتراماً من طفلتك أيها اللورد". وقام كليون بنفس التعهد، قائلا:

" إن خدماتك النبيلة أيها الأمير بركليس، بانقاذ مواطنى من الجوع بما أحضرته من القمح (الذين يتذكرونك يوميًا فى صلواتهم) ينبغى أن توضع فى الاعتبار إزاء طفلتك. لو أننى تنكرت أو أهملت فى رعاية طفلتك، فإن شعبى الذى أنقذته سوف يجبرنى على القيام بواجبى، ولو قصرت فإن غضب الآلهة سيحط على، وسيظل يلاحق آخر سلالتى". عندما تأكد بركليس بأن طفلته ستكون فى رعاية كاملة، بصحبة كليون وزوجته، ترك معها وصيفتها ليوشوريدا. عندما انصرف، لم تدرك ماريانا الصغيرة إفتقادها له، لكن ليوشوريداً بكت بحرقة وأسى، لرحيل سيدها الملكى. فقال بركليس: "آه، لا دموع، يا ليو شوريدا، لا دموع، اعتنى بسيدتك الصغيرة، التى قد تعتمدى على كرمها فيما بعد".

وصل بركليس سالمًا إلى تاير، واستقر بهدوء على عرشه، فى حين كانت الملكة البائسة، التى كانت تعتقد أنه ميت، تقيم فى إفيسيوس. أما طفلتها الصغيرة ماريانا، التى لم تراها أمها سيئة الحظ، فقد تمت تربيتها برعاية كليون، بما يليق ومنزلتها الملكية. ومنحها تعليما راقيا، وعندما بلغت سن الرابعة عشرة، كانت متفوقة على كل أقرانها ممن هم فى سنها من الرجال. كانت تغنى أغنيات رائعة، وترقص مثل الآلهة. وكانت تقوم بشغل الإبرة بمهارة، وتكون تشكيلات من الطبيعة والطيور، والفاكهة أو الزهور، وأصبحت الزهور الطبيعية بالكاد أشبه بتلك التى تقوم مارينا بصنعها. عندما حصلت من تعليمها على كل تلك المهارات، جعلها ذلك محط إعجاب الجميع، وأصبحت ديونايزا زوجة كليون عدوها القاتل بسبب الغيرة، لأن ابنتها الوحيدة، بسبب بطء تفكيرها، لم تستطع أن تحصل على ما وصلت إليه مارينا من مهارات، ووجدت أن الجميع يثنون عليها، بينما ابنتها التى فى نفس سنها، والتى تلقت نفس التعليم مثل مارينا، لم تحقق نفس النجاح، مقارنة بها، فخططت لازاحة مارينا من طريقها، وتصورت عبثا أن ابنتها المتخلفة ستصبح أكثر احترامًا وتقديرًا عندما لا تعد تراها. ولإنجاز ذلك كلفت رجلاً ليقتل مارينا، وحددت زمن تنفيذ خطتها الشريرة عندما ماتت ليوشوريداً خادمتها المخلصة. أخبرت ديونايزا الرجل الذى أمرته بارتكاب الجريمة، أن يقوم بفعلته عندما كانت مارينا تبكى أمام جسد ليوشوريدا. إلا أن ليونين الذى

استأجرته لتنفيذ هذا الجرم، رغم أنه رجل شرير جداً، لم يكن مقتنعًا تماما بالقيام بهذه المهمة، لأن مارينا كانت تحظى بحب كل القلوب. فقال: " إنها إنسانة طيبة!". فأجابت عدوتها اللدود: " إذن فالآلهة أولى بها. ها هى قادمة تبكى بسبب وفاة خادمتها، فهل أنت على استعداد لطاعتى؟ " . خشى ليونين من عدم إطاعتها، فأجاب: " أنا على استعداد لطاعتك " وهكذا، وبعد هذه الجملة القصيرة أصبحت مارينا محكومًا عليها بالموت فى أى وقت. اقتربت مارينا وهى تحمل سلة من الزهور بين يديها، وقد قررت أن تقوم يوميا نثرها فوق قبر ليوشوريدا. بحيث تغطى قبرها زهور البنفسج القرمزية والنب بشكل دائم خلال أيام الصيف.

وقالت: " يا لتعاستى! ويا لخادمتى المسكينة التعسة، ولدت أثناء العاصفة، وماتت أمى.. إن هذا العالم أشبه بعاصفة دائمة، تدفعنى بعيداً عن أصدقائى." فقالت ديونايزا المخادعة : " كيف حالك الآن، يا مارينا، هل تبكين وحدك؟ كيف تصادف ألا تكون ابنتى معك؟ لا تحزنى على ليوشوريداً، فأنا كفيلة برعايتك. لقد تبدل جمالك بأسى وحزن لا يفيد. تعالى، أعطنى زهورك، سوف يفسدها هواء البحر، وتمشى مع ليونين، فالهواء جميل وسوف ينعشك. تعالى، يا ليونين، خذ بيدها وتمشى معها"، فقالت مارينا: " كلا يا سيدتى : دعينى لا أحرمك من خادمك". ولأن ليونين واحد من أتباعها، فقالت له بدهاء ومكر: " تعالى، تعالى" ، وكانت ترغب فى أن تتركها وحدها مع ليونين، ثم واصلت كلامها : " أنا أحب والدك، الأمير، كما أحبك أيضا، وكل يوم نتوقع حضور والدك إلى هنا، وعندما يأتى، ويراك تبدلت كثيراً بسبب الحزن، من قمة الجمال الذى نصفه له فى رسائلنا فسوف يعتقد أننا أهملنا رعايتك. إذهبى، أرجوك، تمشى، وعودى إلى بهجتك ثانية. إحرصى على مظهرك ومهاراتك، الذى استوليت به على قلوب الكبار والشباب" . وإزاء هذا الإلحاح من جانبها، قالت : " حسن، سأذهب لكن ليست بى رغبة لذلك". وعندما انصرفت ديونايزا، قالت لليونين، " تذكر ما قلته لك!"، كلمات صادمة، تعنى أنه لابد أن يقوم بقتل مارينا.

تطلعت مارينا إلى البحر، محل ميلادها وقالت: " هل هذه هى الرياح الغربية التى تهب؟ "، فأجاب ليونين : بل الغربية الجنوبية فقالت: " عندما ولدت كانت الرياح

شمالية، وعندما هبت العاصفة الهوجاء، بدأت أحزان أبى، ووفاة والدتى . تدافعت كل تلك الأحداث فى ذهنها ثم قالت: " وكما قالت لى ليوشوريدا، إن أبى لم يكن خائفا أبدا، بل كان يصرخ، الشجاعة أيها البحارة، الشجاعة، ويداه الساميتان تشدان الحبال بقوة، ويقبض على الصوارى، ليمنع البحر من شطر السفينة" . فقال ليونين: " متى كان ذلك؟ فأجابت مارينا: " عندما ولدت، ولم يحدث أن هبت رياح وأمواج بمثل هذا العنف من قبل، " بدأت بعد ذلك تصف العاصفة وما قام به البحارة من جهد، ورئيس الملاحين يصفر، ونداءات الربان بصوت عال، التى كما قالت: " زادت الارتباك فوق السفينة" . فقد كانت ليوشوريدا تحكى القصة كلها لمارينا وعن ميلادها، تلك الأحداث التى لا تفارق ذهنها أبداً. لكن ليونين قطع حديثها وطلب منها أن تتلو صواتها. فقالت مارينا وقد انتابها الخوف، ولا تعرف السبب : " ماذا تعنى بذلك؟" فقال لينونين: " إذا كنت تحتاجين لفترة قصيرة لصلواتك، فأنا اهبها لك، ولا داعى للبطء فالآلهة فى عجلة لسماعها، وأنا أقسمت أن أقوم بمهمتى بسرعة" . فقالت مارينا " هل ستقلتنى ؟ يا للأسف ! لماذا؟ "، فأجاب ليونين : " لأنال رضا سيدتى!"، فقالت مارينا: " ولماذا تود هى قتلى؟ فأنا لا أذكر أبداً أننى أهنتها أبداً طوال حياتى. ولم تصدر منى كلمة سيئة أو تصرف سخيف ضد أى مخلوق. صدقنى، أنا لم أقتل فأراً فى حياتى، أو حتى حشرة. وقد وطأت دودة عن غير قصد، فبكيت عليها . هل ارتكبت إثماً؟ فأجاب القاتل: " إن مهمتى لا تشمل تبرير ما سأقوم به، بل أقوم بتنفيذه". وعندما كان على وشك القيام بقتلها، حدث فى نفس اللحظة أن رست سفينة قراصنة، ورأوا مارينا، فاختطفوها غنيمة لهم.

قام القرصان الذى اختطف مارينا، عندما وصل إلى ميتلين، ببيعها كجارية، ورغم أنها كانت فى حالة يرثى لها، إلا أنها أصبحت معروفة فى المدينة كلها لجمالها وحسن خلقها، وصار الرجل الذى اشتراها ثريا، من خلال النقود التى كانت تكسبها له. كانت تقوم بتعليم الموسيقى والرقص.. وشغل الإبرة، وتعطى ما كانت تحصل عليه من مال من طلابها لسيدها وسيدتها، ووصلت شهرة ما كانت تقوم من تعليم وصناعات صغيرة، إلى مسامع ليسماشوس، وهو شاب نبيل وحاكم ميتلين، قام

ليسماشوس بالذهاب إلى حيث تقيم مارينا، ليرى هذا النموذج المتميز، الذى تمتدحه المدينة كلها لحد كبير، أسعد حديثها ليسماشوس إلى أقصى حد، ورغم أنه سمع الكثير من الإعجاب عن هذه الفتاة. لم يكن يتوقع أن تكون بمثل هذه الرقة والطيبة والفضيلة والتعقل. ولم يكن كما تصور أنها كذلك، وعندما غادر المكان قال لها أنه يأمل أن تواظب على عملها وما تقوم به من تعليم، وإذا سمعت منه ذلك ثانية فإن ذلك سيكون فى صالحها فكر لسيماشوس بأن فتاة مثل مارينا، تعد قمة فى التعقل، وذات تربية راقية، ومهارات مختلفة، وذات جمال أيضا وملامح سمحة، وجديرة بأن يتزوجها، دون التحرى عن وضعها المتواضع، على أن أمل يكتشف لها أصولاً نبيلة، وعندما كان يسألها البعض عن والديها كانت تجلس ساكنة وتبكى.

عندما عاد ليونين أخبر ديونايزا بأنه قتل مارينا خشية منها. وأعلنت المرأة الشريرة موت مارينا وقامت باعداد جنازة وهمية لها، وبناء نصب تذكارى لها. لم يمض وقت طويل حتى قام بركليس برحلة من تاير إلى تارتوس بصحبة وزيره المخلص هيلكانوس، بقصد رؤية ابنته، وفى نيته أن يأخذها معه إلى الوطن، ولم يحدث أن كان رآها أبداً منذ أن تركها طفلة تحت رعاية كليون وزوجته، كان هذا الأمير مبتهجًا لأنه سوف يرى ابنته وابنة الملكة المتوفاه، لكن عندما أخبروه أن مارينا ماتت، وشاهد النصب الذى أقاموه من أجلها، كم كان ذلك الحزن الذى اعترى هذا الأب المحطم، لدرجة أنه لم يكن قادراً على احتمال وجوده فى هذا البلد، الذى كان يوجد فيه آخر أمل والذكرى الوحيدة الباقية من أمها العزيزة ثاسيا الميتة. فاتجه إلى السفينة وغادر تارتوس. ومنذ اللحظة التى دخل فيها السفينة، تملكته حالة من الكآبة الفظيعة والحزن الشديد. ولم يتكلم مع أحد وبدا وكأنه غير واع بأى شىء يدور حوله.

مرت السفينة وهى فى طريقها من تارتوس إلى تاير بسواحل ميتلن، حيث تقيم مارينا، فلاحظ حاكمها ليسماشوس الذى كان قصره يطل على البحر سفينة ملكية تمر بالقرب من الشاطئ، ورغبة منه ليعرف من ذلك الذى على ظهرها، ركب قاربًا ووصل إلى جانب السفينة ليرضى فضوله. استقبله هليكانوس بترحاب كبير، وأخبره أن السفينة قادمة من تاير، وأنهم يعالجون أميرهم بركليس. وقال هليكانوس: " رجل، يا

سيدى، لم يتحدث إلى أحد منذ ثلاثة شهور. ويرفض الطعام يجتر أحزانه، وقد يكون من الممل أن أذكر الأسباب التى أدت إلى اعتلال مزاجه، لكن الدافع الأساسى لذلك فقدانه لابنته العزيزة وزوجته. طلب ليسماشوس رؤية ذلك الأمير الحزين، وعندما رأى بركليس، إكتشف أنه رجل طيب، فقال له: " مرحبًا أيها الملك، تحياتى إليك، فلترعاك الآلهة، مرحبًا بك أيها الملك!". عبثا حاول لسيماشوس أن يتحدث إليه، لكن بركليس لم يرد عليه، ولم يبد عليه أنه استوعب وجود أى شخص غريب. فكر ليسماشوس فى تلك الفتاة الفريدة من نوعها مارينا، التى قد تستطيع بكلامها الحلو أن تظفر بإجابة من ذلك الأمير الصامت، وبالاتفاق مع هيلكانوس أرسل فى استدعاء مارينا، وعندما صعدت إلى السفينة التى يجلس فيها والدها بلا حراك بسبب الحزن، تم استقبالها على سطح السفينة، كما لو أنها أميرتهم التى يعرفونها. وقالوا عنها. "إنها سيدة أنيقة". سعد ليسماشوس جدًا لذلك الاستقبال والمديح. وقال: " إنها بلاشك، ذات أصول نبيلة، هى التى أريدها وأنا متأكد من ذلك وأعتقد أنها أفضل اختيار، وقلما أجد زوجة أحسن منها، تحدث معها بطريقة ودودة، وكأنها أصبحت تلك السيدة ذات المحتد النبيل، التى كان يبحث عنها، وليست تلك الفتاة البسيطة المتواضعة، ونادها بالجميلة الرقيقة مارينا، وأخبرها أن هناك أميرًا عظيما على ظهر السفينة انتابه حزن شديد وصمت تام، وإذا كان لديها القدرة لتعيد إليه صحته وسعادته، فيرجوها أن تقوم بهذه المهمة لشفاء هذا النبيل الغريب من حالته المؤسية هذه. فقالت مارينا: "سأبذل قصارى جهدى لشفائه، ولا أبغى شيئا سوى أن تسهل لى ولخادمتى أن نكون بالقرب منه".

وإذا كانت مارينا قد أخفت عن عمد وهى فى ميتلين سر مولدها، وخجلت أن تقول إنها من سلالة ملكية، فهى الآن مجرد أمة أو جارية، وبدأت الحديث إلى بركليس عن التقلبات الصعبة التى واجهتها فى حياتها، وأخبرته كيف سقطت من أعلى مرتبة إلى الحضيض.

وكما لو أنها قد أحست أن من تقف أمامه هو والدها، فكانت كل الكلمات التى نطقت بها تعبر عن مأساتها، وكان منطقها فى ذلك، أنها كانت تدرك أنه لا شىء يجذب الانتباه بشكل كبير أكثر من أى شىء أخر، سوى سرد حكايات عن بعض الكوارث

المحزنة، لكى تتواصل معه، كان لوقع صوتها الجميل أثر بالغ فى استنهاض حواس الأمير، فرفع عينيه إلى أعلى، بعد أن كانت منكسة إلى أسفل وبلا حراك، بالإضافة إلى أن مارينا كانت صورة طبق الأصل من آمها، فاستحضر بصره الزائغ ملامح مليكته المتوفاة. وسُمع صوت الأمير بعد طول صمت يقول بصعوبة : " زوجتى الحبيبة كانت تشبه هذه الفتاة، وكأنها بعثت حية. حاجبا مليكتى، نفس قامتها السامقة، صوتها ذو الجرس الفضى، عيناها اللتان تشبهان الجواهر". ثم قال " أين تعيشين أيتها الفتاة الشابة؟ حدثينى عن والديك. أعتقد أنك قلت أنك قد قاسيت من الظلم والأذى. وأنك تعتقدين أن أحزانك تعادل أحزانى، لو تحدثنا عنها "، فأجابات مارينا :" إن ما قلته بعض الأشياء، ولم أقل المزيد، وأعتقد أنه يجعلنى أتساوى معك" فأجاب بركليس : " احكى لى قصة حياتك، لو أنك تعرفت على جزء من الألف من معاناتى، فسوف تتحملى أحزانك كرجل، وأنا عانيتها مثل فتاة، لأنك تبدين صابرة تحملقين على أحزان ملك، وتبتسمين ألما لما حدث. كيف فقدت اسمك، أيتها العذراء الطيبة؟ إحكى له قصة حياتك أتوسل إليك. تعالى، اجلسى بجانبى. كم ذهل بركليس، عندما قالت إن اسمها مارينا، لأنه يعلم أنه اسم غير مألوف فهو الذى ابتدعه بنفسه لطفلته، دلالة على أنها ولدت فى البحر: فقال : "أوه، لا يمكن، لا أصدق لقد بعث بك إلى هنا إلاه كريم، ليجعل العالم يضحك لى.، فقالت مارينا:" الصبر يا سيدى الطيب، وإلا سأتوقف عند هذا الحد". قال بركليس : " كلا، سأصبر. أنت لا تدركين كيف روعتنى عندما قلت إن اسمك مارينا، فأجابات مارينا: " الاسم، أطلقه على رجل ذو شأن، أبى، كان ملكا". فقال بركليس: " كيف، أنت ابنة ملك! واسمك مارينا؟ لكن هل أنت بشر من لحم ودم؟ ألست جنيه؟ تكلمى ؟ أين ولدت؟ حتى يُطلق عليك اسم مارينا؟"، أجابت مارينا: " لقد سميت مارينا، لأننى ولدت فى البحر، كانت أمى ابنة ملك، ماتت فى اللحظة التى ولدت فيها، كما قالت لى وصيفتى ليوشوريدا وهى تبكى، أبى الملك، تركنى فى تارتوس، حتى فكرت زوجة كليون القاسية فى قتلى، وأنقذنى مجموعة من القراصنة، وأحضرونى هنا إلى ميلتين. لكن ماذا تبكى يا سيدى؟ من المحتمل أنك تظننى دجالة. أنا فى الحقيقة ابنة الملك بركليس، إذا كان الملك بركليس ما زال حيا".

انتفض بركليس من هول المفأجاة المبهجة، وانتابه الشك أن يكون ذلك واقع، فنادى أتباعه بصوت عال، الذى سعدوا لسماع صوت مليكهم المحبوب، وقال لهليكانوس: " أوه، يا هليكانوس، إضربنى، إجرحنى، المنى، خشية أن يغمرنى البحر بأمواج السعادة، فيقهر شواطئ آلامى. أوه، تعالى إلى يا من ولدت فى البحر، ودفنت فى تارسوس، وبعثت مرة أخرى فى البحر. إركع على ركبتك يا هيلكانوس وأشكر الآلهة المقدسة! فها هى مارينا! ليست ميتة فى تارتوس، كما خططت ديونايزا المتوحشة. سوف تخبركم جميعاً، عندما تنحنون أمامها، وتنادونها بأميرتكم الغالية. من هذا الرجل؟". (عندما رأى ليسماشوس للمرة الأولى) فقال هليكانوس، إنه حاكم مدينة ميتلين، الذى علم بمرضك، فجاء ليراك. فقال بركليس: " دعنى أعانقك، ناولنى عباتئى! أنا سعيد لرؤيتك آه يا لسعادتى يا ابنتى مارينا! لكن أنصتوا، ما هذه الموسيقى؟" فقد كان فى هذه اللحظة، يتخيل أنه يستمع إلى موسيقى ناعمة، سواء أرسلت من قبل إلاه كريم، أو إنبعثت من خلال خياله المخادع. فأجاب هيلكانوس "أنا لا أسمع شيئا، سيدى اللورد". فقال بركليس: " لاشيء؟ بل هى موسيقى الرعاة". ولم لا تكون هناك موسيقى، استنتج ليسماشوس أن الفرحة المفاجئة قد أثرت على إدراك الأمير، وقال :" لا داعى لمعارضته، أتركوه على راحته". بعد ذلك قالوا له إنهم سمعوا الموسيقى فى حين كان يقاوم نوماً سيطر عليه. فأقنعه ليسماشوس أن يرتاح على الأريكة، ووضُعت وسادة تحت رأسه، ولما كان فى حالة زائدة من نشوة البهجة، فاستغرق فى نوم عميق، ومارينا تراقبه فى صمت وهى جالسة بجوار الأريكة التى ينام عليها والدها.

حلم أثناء نومه، حلماً قرر فيه أن يذهب إلى إفيسيسوس. حيث تجلت له ديانا إلهة معبد إفيسوس، وأمرته أن يذهب إلى معبدها، ويقف أمام مذبحها ليسرد قصة حياته التعسة: وأقسمت بقوسها الفضى، بأنه إذا نفذ أمرها، فسوف يلقى سعادة نادرة، عندما استيقظ شعر بتحسن كبير وأخبرهم بحلمه، وكان قراره تنفيذ رغبة الإلهة .

قام لسيماشوس بدعوة بركليز للنزول إلى الشاطئ، لينعش نفسه، ببعض المباهج فى مدينة ميتلين، فقبل بركليس عرضه السامى، وأتفق معه أن يبقى لمدة يوم أو يومين. خلال تلك الفترة يمكننا أن نتخيل مدى الترحيب والاحتفالات والعروض الفنية التى

أقامها حاكم ميتلين من أجل الأب الملكى لعزيزته مارينا، التى احترم فيها إخفائها لظروفها السيئة.

لم يتجهم بركليس عندما طلب منه لسيماشوس يد ابنته، عندما أدرك كيف عاملها وقدرها، فى تلك الأيام حين كان وضعها بسيطًا متدنيا، ولم تبد مارينا أى إعتراض على خطبتها. إلا أنه اشترط قبل موافقته أن يذهبوا معه لزيارة معبد ديانا المقدس فى إفيسيوس، وقام ثلاثتهم بالتوجه إلى ذلك المعبد، ولم تستغرق رحلتهم وقتا طويلا، فقد قامت الإلهة ديانا بملاء أشرعة السفينة بريح مواتية، ووصلوا بسلام بعد ثلاثة أسابيع.

كان يقف بالقرب من المذبح رجل، عندما دخل بركليس ومن معه المعبد، هذا الرجل هو سرميون الطبيب الذى أصبح عجوزًا الآن، وهو الذى أعاد ثاسيا زوجة بركليس إلى الحياة، أما ثاسيا الآن فقد أصبحت رئيسة كاهنات المعبد، وكانت تقف أمام المذبح، ورغم تلك السنين العديدة التى مرت فى حزن لفقدانها زوجها، والتى غيرت من شكل بركليس، إلا أن ثاسيا تمكنت من معرفة ملامح زوجها. وعندما اقترب من المذبح وبدأ يتكلم، تذكرت صوته، وأخذت تستمع إلى كلماته بدهشة وفرحة محيرة. وهذه نص كلمات بركليس التى نطق بها أمام المذبح : " التحية والاجلال لديانا! تنفيذًا لأوامراك، ها أنا ذا هنا، أعترف أنا أمير تاير، الذى طرد من وطنه، وفى بنتابوليس ثم زفافى على الجميلة ثاسيا، التى ماتت فى البحر أثناء الولادة، وأنجبت طفلة سميتها مارينا، وفى تارتوس تمت تربيتها على يد ديوتايزا، وعندما بلغت الرابعة عشرة فكرت فى قتلها، لكن لحسن طالعها وصلت إلى ميتلين، التى أبحرتُ منها، ولحسن حظها كانت على سطح السفينة وصيفتها، التى بواسطتها تمكنت من أن تعرف كل شيء عن نفسها وأنها ابنتى".

لم تستطع ثاسيا أن تتحمل الانفعالات التى بعثتها كلماته فيها، فصاحت قائلة: "إنه أنت، إنه أنت، مولاى بركليس" ، وأغمى عليها. فقال بركليس :" ماذا تقصد هذه المرأة؟". فصرخ سرميون : " إنها تموت، النجدة يا سادة. سيدى طالما أنك قلت الحقيقة أمام مذبح ديانا، فهذه المرأة زوجتك." فقال بركليس: " كلا، أيها الرجل المقدس، لقد

ألقيت بها فى البحر بيدى هاتين". عندئذ روى له سرميون، أنه فى باكورة صباح يوم عاصف، قذف البحر هذه السيدة إلى شاطئ إفيسيوس، وعندما فتح الصندوق وجد علبة المجوهرات وورقة، وكم كانت سعادته عندما استطاع أن يشفيها، وأودعها معبد ديانا. بعد أن استفاقت ثاسيا من إغمائها. قالت: " آه، يا مولاى، ألست أنت بركليس؟. أنت تتحدث مثله، وأنت تشبهه. ألست تذكر العاصفة، والميلاد، والموت؟" فقال مندهشا: " إنه صوت ثاسيا الميتة" فأجابت ثاسيا: " أنها ثاسيا التى تكلمك، المفترض أنها ميتة وغرقت". فصاح بركليس بمشاعر صادقة وكله دهشة : " لقد صدقت ديانا!" فقالت ثاسيا: " الآن تأكدت أنه أنت. خاصة وأنا أرى هذا الخاتم فى أصبعك. الذى أعطاه لك أبى الملك، عندما رحلنا من بنتابوليس والدموع فى أعيننا ونحن نودعه. صاح بركليس: " كفى أيتها الآلهة، فعطاياك الرحيمة جعلت مآسى الماضية مجرد لا شىء. تعالى يا ثاسيا، أغمرى نفسك ثانية بين هذين الذراعين".

فقالت مارينا: " إن قلبى يهفو الذهاب إلى رحم أمى". فقام بركليس بتقديم ابنته إلى أمها، قائلا. " انظرى إلى تلك الراكعة هنا، قطعة منك، قمت بولادتها فى البحر، وسميت مارينا، لأنها ولدت هناك". فقالت ثاسيا: " بوركت يا ابنتى!" وبينما كانت تحتضن طفلتها بنشوة وفرح، ركع بركليس أمام المذبح قائلا: " أيتها الطاهرة ديانا، باركى لنا بتجلياتك، ومن أجل ذلك، سوف أقدم القرابين لك كل ليلة". بعد ذلك قام بركليس وبموافقة ثاسيا، باعلان خطوبة ابنتها مارينا الفاضلة إلى ليسماشوس الجدير بزواجها.

وهكذا نرى فى بركليس ومليكته وابنتهما، مثالاً رائعًا للفضيلة التى تُهاجم بالنكبات (من خلال معاناة السماء، لنتعلم الصبر والجلد) ونسير على نهج الإرشاد لنصبح فى النهاية من الناجين، وننتصر على المخاطر والتغيرات. أما بالنسبة لهليكانوس فقد وجدنا فيه نموذجًا بارزًا للصدق والثقة والاخلاص، الذى كانت أمامه الفرصة للوصول إلى العرش، لكنه اختار أن يستدعى صاحب الحق، على أن يصبح عظيما بارتكاب خطأ. أما سرميون النبيل، الذى أعاد الحياة لثاسيا، فقد أعطانا درسًا مفاده أن الطيبة والصلاح ترتبط بالمعرفة، لتعود الفائدة على البشر، ويتقربوا من طبيعة

الآلهة. لم يبق فقط سوى ديونايزا زوجة كليون الشريرة، لنعرف ماذا حل بها، فقد لاقت مصيراً يتناسب مع ما فعلته، فعندما علم أهل تارسوس بالمحاولة البشعة التى قامت بها ضد مارينا، انتفضوا للانتقام لابنة الرجل المحسن الذى أنقذهم من المجاعة، وأشعلوا النيران فى قصر كليون وأحترق كلاهما، هو وهى، والقصر. ويبدو أن الآلهة قد سعدت بذلك، فإن هذه الجريمة البشعة، رغم أنها لم تتم، كان لابد من انزال العقاب عليهما بما يتناسب وفداحة الجرم.

المعدّان فى سطور :

تشارلز ومارى لامب :

قام تشارلز لامب (١٧٧٥ - ١٨٣٤) بالتعاون مع شقيقته الكبرى، "مارى آنى لامب" (١٧٦٤ - ١٨٤٧) بكتابة ثلاثة كتب للأطفال، ويُعد كتاب "حكايات من شكسبير أكثرها شهرة . فقد كان أول كتاب تناول حكايات شكسبير بأسلوب واضح، ولعب دورًا كبيرًا فى زيادة اهتمام الناس بكاتب مسرحى عظيم .

ولد تشارلز ومارى فى "كروان أوفس رو بحى معبد لندن:"(*)، حيث كان والدهما يعمل كاتبًا موثوقًا به لأحد المحامين . حظى تشارلز بمنحة دراسية بالمدرسة الخيرية التابعة لمستشفى المسيح، وهناك أصبح صديقًا لطالب أكبر منه، صامويل تيلور كولدريج . فى عام (١٧٨٩) بدأ لامب العمل ككاتب، فى أحد المتاجر بالمدينة أولاً، ثم انتقل عام (١٧٩١) للعمل فى مؤسسة بحر الجنوب، ثم فى النهاية بشركة الهند، وظل يدون الحسابات فى الدفتر المعروف (بدفتر الأستاذ) لمدة ثلاثة وثلاثين عامًا . وقد وصف تلك الفترة بأن كان حبيس مكتب مصنوع من الخشب .

كان أفراد عائلة لامب يتسمون بخلل ذهنى، لذا فقد قضى تشارلز فترة قصيرة عام (١٧٩٥) بإحدى المصحات النفسية. ورغم أنها كانت قصيرة فإنه عاش تحت ظل الجنون، وعانى من انتكاسات ذهنية أثناء حياته .

فى عام (١٧٩٦) قامت مارى فى إحدى نوبات جنونها بطعن والديها وبالكاد أصابت والدتها بجروح. وعاقبتها المحكمة بسبب جنونها بإيداعها بمستشفى للمجانين حيث قضت حوالى عام، حتى أفرج عنها تحت رعاية تشارلز، الذى قام برعايتها حتى نهاية حياته، ومقابل ذلك كانت ترد جميله بمنتهى التعاطف والرقة . اضطر الاثنان

(*) مبنى كروان أوفس معبد قديم يعود إلى عام ١٦٢١ ، ثم أصبح عام ١٨٨٢، مقرًا لمحكمة العدل الملكية، وتحيط به عدة خانات يسكنها المحامون، حيث كان والد شالرز يعمل مع أحدهم. (المترجم)

للانتقال من منزل إلى منزل بسبب الشائعات التى كانت تتردد عن ماضيها الجنونى . وأجبرا على الانتقال من منزل إلى آخر، عاشا فى لندن، ثم فى اسلنجتون بداية من عام (١٨٢٣)، ثم إنفيلد، وإدمونتون . توفى تشارلز لامب عام (١٨٣٤)، وكلاهما، تشارلز ومارى لم يتزوج أحدهما على الإطلاق .

بدأ تشارلز يكتب الشعر مبكرًا منذ عام (١٧٩٠)، وقام بالتعاون مع كولريدج بكتابة "سوناتات" لجريدة "مورنج بوست" وخلال صداقته مع مولريدج، تعرف تشارلز ومارى على "وردزويرث"، . و"سوثى"، و"هازلت" وأدباء آخرين من رواد الأدب المعروفين، وأصبحت منازلهم المتعددة أمكنة هامة لتجمع الأدباء الأصدقاء . قام تشارلز بمحاولة الكتابة الدرامية دون إحراز نجاح، من أعماله المسرحية، (مستر إتش..) من نوع الفارس (الهزل)، وقوبلت باستهجان شديد عندما عرضت على مسرح "دريرى لين" عام (١٨٠٦). أما أفضل كتاباته فمن الممكن أن نجدها فى مقالاته، والنقد، وكذلك فى كتب الأطفال - ومن ضمنها بالطبع حكايات من شكسبير ، التى كتبها بالتعاون مع مارى عام ١٨٠٧) .

كما كتب أيضًا (مغامرات يولوسيس عام (١٨٠٨)، والجميلة والوحش عام (١٨١١) . مع الأخذ فى الاعتبار بعض كتاباته النقدية المتميزة عن شعراء دراميين انجليز عاصروا زمن شكسبير عام (١٨٠٨)، كما كان له اهتمام بكتاب الدراما الإنجليز القدامى .

فى عام (١٨٢٠) بدأ يسهم بكتابة مقالات بإمضاء (إلياء) لمجلة "لندن ماجازين". وقد تم تجميع هذه المقالات تحت عنوان مقالات "إليا" عام , ١٨٢٣ كما طبعت كمجلد لاحق عام , ١٨٣٣ كان تشارلز رجلاً ذا قلب دافىء يتمتع بحب الكثيرين، وكان كاتب رسائل متميز، وتناثرت بعض أفضل ملاحظاته بين من كان يراسلهم .

بالإضافة إلى تعاون مارى مع شقيقها تشارلز فى حكايات من شكسبير (١٨٠٩)، وأشعار للأطفال، قامت أيضًا بكتابة جزء كبير من رواية "مدرسة مستر ليستر" عام (١٨٠٩). وهى مجموعة قصص للأطفال الذين ينجذبون بشده لتفاصيل الحياة الذاتية .

المترجم فى سطور :

الشريف خاطر :

* ترجم أكثر من سبعين عملاً مسرحيًا نشرت فى سلسلة المسرح العالمى بالكويت ومجلة المسرح والفنون والقاهرة وجريدة مسرحنا ، كما ترجم وأخرج العديد من الأعمال المسرحية التى لم تنشر لإذاعة البرنامج الثانى (الثقافى حاليًا). كذلك عدة روايات عالمية تشرت بالهيئة العامة للكتاب ولبنان ، إضافة إلى العديد من القصص المثيرة نشرت بجريدة المساء ومجلة سنابل ومجلة الكويت. شارك فى ترجمة الموسوعة العربية العالمية الصادرة فى السعودية ، وموسوعة الطفل الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب .

أيضًا عدة كتب متنوعة سياسية واجتماعية وفنية .

* حصل على عدة جوائز :

- الجائزة الأولى فى الإخراج الإذاعى فى مهرجان اتحاد الإذاعات الإفريقية الذى عقد بالرباط عام ١٩٧١

- شهادتا تقدير من اتحاد الإذاعات الأوروبية الذى عقد فى برلين عام ١٩٨١ .

- جائزة الترجمة والإخراج من الإذاعة المصرية عام ١٩٨٥ .

- جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة الإبداعية عام ١٩٩٣ .

* عضو اتحاد الكتاب .

- عضو لجان التحكيم بمهرجان الإذاعة والتليفزيون (الإعلام العربى حاليًا) .

- عضو لجان التحكيم المسرحى وقراءة النصوص المسرحية بالهيئة العامة لقصور الثقافة .

- عضو اللجنة العليا لقراءة النصوص بالبيت الفنى للمسرح .

* محاضر بأقسام المسرح والإعلام بالجامعات والمعاهد العليا الفنية لمواد فنون الدراما المسرحية والإذاعية ، والترجمة المسرحية والأدبية ، وبمعهد الدارسين الأفارقة الناطقين بالإنجليزية باتحاد الإذاعة والتلفزيون .

* مدير عام إذاعة البرنامج الثقافى الأسبق (البرنامج الثانى سابقًا) .

التصحيح اللغوى : لوتس على
الإشراف الفنى : حسن كامل